الدُّعَاةُ

المَفهُومُ والأَهَمِّيَّةُ والفَضلُ والأَخلاقُ والقِيَمُ
والحُقُوقُ والاحتِيَاجَاتُ وواجِبَاتُ الدُّعاةِ فِيمَا بَيْنَهُم والآفَاتُ

(٧)

الطَّبعَة الأولى

١٤٤٣ـ ٢٠٢٢

ⓒ محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٥-٧٥٨٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)
١ - الدعوة الإسلامية ٢ - الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٧١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٥-٧٥٨٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)

تم هذا المشروع برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

موسوعة دليل الداعية (٧)

الدُّعاة

المفهوم والأهمية والفضل والأخلاق والقيم والحقوق والاحتياجات وواجبات الدعاة فيما بينهم والآفات

مشروع بحثي قام به مكتب
الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٣-٢٠٢٢

المجلد السادس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

«إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]»[(١)].

وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ بلغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين..

وبعد:

يكفي الدعاة منزلة ورفعة أنهم خير هذه الأمة على الإطلاق، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ويفتتح بها كلامه وخطبته، أخرجها ابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١٨٩٢)، وأبي داوود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٢١٢٠)، والترمذي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١١٠٥)، والنسائي، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٣٢٧٧)، وصححها الألباني في كتاب خطبة الحاجة.

ويكفي الدعاة سموًّا وفلاحاً أنهم المفلحون والسعداء في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويكفي الدعاة شرفاً وكرامة أن قولهم في مضمار أحسن الأقوال، وأن كلامهم في التبليغ من أفضل الكلام، قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

ويكفي الدعاة منةً وفضلاً؛ أن الله سبحانه يشملهم برحمته الغامرة، ويخصهم بنعمته الفائقة قال عز من قائل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

ويكفي الدعاة أجراً ومثوبة؛ أن أجرهم مستمر ومثوبتهم دائمة قال ﷺ: **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)**(١).

ويكفي الدعاة فخراً وخيرية؛ أن تسببهم في الهداية هو خير النعم، فعنه ﷺ أنه قال: (.. **فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم**)(٢).

إنها لا منزلة تضاهي منزلة الدعاة!! ولا تكريم يعادل تكريم الدعاة!!

ومن هنا جاء الحديث في هذا الباب عن ركن أساسي من أركان الدعوة ألا وهو **(الدعاة)** إلى الله تعالى؛ تعريفاً بهم وبأهميتهم وفضلهم، ومقوماتهم، وأخلاقهم، وقيمهم، وحقوقهم، واحتياجاتهم، وواجباتهم تجاه إخوانهم الدعاة، والآفات التي يجب أن يحذروا منها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٦٧٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٧٠١) واللفظ له، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٦).

منهجية البحث:

والمنهجية التي سلكناها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.
- الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب العلماء عامة في صياغة البحث ومسائله.
- الالتزام بإيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.
- الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- اجتهدنا قدر الاستطاعة أنْ لا نذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور الدعاة إلا وندلل عليه من القرآن وما يفسره من السنة وأقوال أئمة السلف، وأفعالهم.
- الالتزام قدر المستطاع عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة.
- الاستفادة من الكتب المعاصرة نقلاً مباشراً أو الاستفادة من أفكارها وإعادة صياغتها مع مراعاة الأمانة العلمية في نسب الفكرة أو النص لأصحابه.

خطة البحث:

هذا البحث يشتمل على مقدمة وثمانية فصول، وخاتمة، وفهارس، وذلك وفق التالي:

الفصل الأول: الداعية تعريفه وأهميته وفضله:

المبحث الأول: تعريف الداعية.

المطلب الثاني: آفة الفتور.

المطلب الثالث: آفة العجلة.

المطلب الرابع: آفة التسويف.

المطلب الخامس: آفة المعاصي.

الخاتمة.

ثبت فهرس المصادر.

فهرس الموضوعات.

والله أسأل أنْ ينفع بهذا العمل وأنْ يجعله حجة لنا لا علينا وأنْ يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأنْ يجبر تقصيرنا في هذه الدراسة، وأنْ يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأنْ يبارك في الطيب منها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

المشرف العام على الموسوعة
أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أصول الدعوة

موضوع الدعوة

- بناء تصور عام عن رسالة الإسلام.
- بيان خصائص الإسلام.
- عرض مقاصد الإسلام.
- بيان تعاليم الإسلام.
- إظهار محاسن الإسلام.
- بيان التشريعات الحقوقية في الإسلام.

الدعاة

- الداعية تعريفه وأهميته وفضله.
- مقومات الدعاة.
- أخلاق الدعاة.
- قيم الدعاة.
- حقوق الدعاة.
- احتياجات الدعاة.
- واجبات الدعاة فيما بينهم.
- آفات الدعاة.

ميادين الدعوة

- ميادين إيصال الدعوة.
- ميادين الدعوة الأساسية.
- معالم الدعوة في الأماكن والمناسبات العامة.
- ميادين الدعوة في المواسم الفاضلة.
- ميدان الدعوة في الحج والعمرة.

المدعوين وخصائص دعوتهم

- التعريف بالمدعوين ومسائل في دعوتهم.
- معالم الخطاب الدعوي للمسلمين.
- معالم الخطاب الدعوي لغير المسلمين.
- أصناف غير المسلمين وكيفية دعوتهم.
- دعوة العصاة والمنافقين والمبتدعة.
- أصناف المدعوين حسب أعمارهم وكيفية دعوتهم.
- أصناف المدعويين حسب مستوياتهم وكيفية دعوتهم.
- أصناف المدعويين حسب إقامتهم وكيفية دعوتهم.
- أصناف أخرى للمدعوين وكيفية دعوتهم.

الوسائل والأساليب الدعوية

- مقدمات حول وسائل الدعوة وأساليبها.
- نماذج لوسائل الدعوة الأصيلة.
- وسائل الدعوة المعاصرة.
- أساليب الدعوة الجامعة.
- نماذج لأساليب دعوية أصيلة.

الفصل الأول

الداعية تعريفه وأهميته وفضله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الداعية.

المبحث الثاني: أهمية وفضل الدعاة.

المبحث الأول

تعريف الداعية

أولاً: الداعية لغة:

أصل الكلمة الثلاثي (دَعَوَ).

والدعوة: «المرة الواحدة من الدعاء، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة»[(١)].

و«**دعاه إلى الشيء:** حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب، حثه على اعتقاده»[(٢)].

فمعنى الداعية يدور في اللغة حول: الطالب والسائل والمنادي والحاث على الشيء.

ثانياً: الداعية اصطلاحاً:

للعلماء وجهات نظر كثيرة في تعريف الداعية[(٣)]:

(١) لسان العرب ١٤/ ٢٥٨.

(٢) المعجم الوسيط ١/ ٢٨٦.

(٣) الخلاف في التعريف ما هو إلا خلاف لفظي في طريقة العرض للتعريف، أو خلاف في مسألة: من هو المكلف بالدعوة إلى الله تعالى؟ مع العلم أن العلماء متفقون في أنه لا يجوز لمن لا يعلم أمراً من أمور الدين أن يدعو إليه من غير أن يعلمه ويتبصر به.
وهذه المسألة تم بحثها في كثير من كتب الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن النظر في الأقوال والأدلة بالرجوع إلى: كتاب أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان، وفقه الدعوة من صحيح البخاري د. سعيد القحطاني، والمدخل إلى علم الدعوة د. محمد أبى الفتح البيانوني، ومنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله د. ربيع المدخلي، ومنهج الدعوة إلى الله في ضوء الواقع المعاصر د. عدنان عرعور، والأسس المنهجية للدعوة الإسلامية أ. د. عبدالرحيم المغذوي.

ومنها: «الدعاة هم: الذين يدعون إلى دين الله، وعبادته ومعرفته ومحبته»[١].

ومنها: «الداعية: من يقوم بالدعوة ويحث الناس على الطاعة»[٢].

ومنها: «الداعية هو: المكلف شرعا بالدعوة إلى الله»[٣].

ومنها: «الداعية هو: المؤهل القائم بترغيب الناس في الإسلام، وحثهم على التزامه بالوسائل المشروعة»[٤].

ومنها: «هو: المسلم المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه»[٥].

ومنها: «كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، سواء كان شخصاً حقيقيا أو اعتباريا، وفق منهج الدعوة القويم»[٦].

وهذا التعريف الأخير من أفضل التعاريف حيث جمع بين (التأهيل، والدعوة، والمنهج).

ثالثاً: المكلف بالدعوة:

يقول د. عبدالكريم زيدان: «المكلف بالدعوة إلى الله هو: كل مسلم ومسلمة فلا يختص بالعلماء فقط، وإنما يختص العلماء بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه، نظراً لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته»[٧].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٤.

(٢) الدعوة الإسلامية ودعاتها د. طلعت أبو بصير ص ٣٨.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٢٩٥.

(٤) مقومات الداعية الناجح د. عمر بادحدح ص١٢.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبى الفتح البيانوني ص ٤٠.

(٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ. د. عبدالرحيم المغذوي ٢/ ٤٨٥.

(٧) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص٣٤٩ باختصار.

لقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقول النبي ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)[١].

فالتكليف بالدعوة يتنوع بين:

١- التكليف الشرعي: أي كل من يستطيع تبليغ دين الله أو بعضه، ويتعين على العلماء لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٢- التكليف النظامي: أي تكليف ولي الأمر أو الجهة المخولة بالدعوة، كما كلف النبي ﷺ مصعب بن عمير للدعوة في المدينة، وإرساله لمعاذ وأبي موسى للدعوة في اليمن وغيرهم[٢] رضي الله عنهم أجمعين.

فالداعية المقصود بالخطاب إجمالا هو:

- كل مسلم عرف شيئاً من الدين، وتبصر به، ودعا إليه فهو داعية إلى الله.
- كل طالب علم وعالم له تأثير في قيادة وانتشار وتوجيه الدعوة إلى الله، ممن تحتاجهم الأمة للقيام بواجب التعليم والإنذار؛ الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].
- كل مكلف شرعاً بالدعوة سواء كان تكليفاً عينيًّا نابعاً من حاجة المجتمع مع الأهلية، أو تكليفاً من ولي الأمر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، هم

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١).
(٢) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ. د. عبدالرحيم المغذوي ص٤٩٢ باختصار وزيادات.

الذين فرضت عليهم الدعوة إلى الله تعالى فرض عين لعدم وجود من يقوم مقامهم في هذا العمل.

- كل من نذر نفسه ووقته في سبيل دعوة الناس إلى دين الله ونشره في أقطار الأرض.

رابعاً: أنواع القائمين بالدعوة:

بين العلماء أن الدعاة أنواعٌ كثيرة باعتبارات متعددة، ومنها:

١- باعتباره فرداً، أو جماعة.

٢- باعتبار جنسه (داعية ذكر، وداعية أنثى).

٣- باعتبار السن (داعية شاب، داعية كبير).

٤- باعتبار التخصص (داعية متخصص في العلم الشرعي، داعية متخصص في العلوم الحياتية وعنده علم شرعي).

٥- باعتبار العلم الشرعي، (داعية عالم بالدين، داعية عنده معلومات عامة عن الدين).

٦- باعتبار التفرغ، (داعية متفرغ، داعية غير متفرغ).

٧- باعتبار التكليف، (داعية مكلف من قبل ولي الأمر، موظف، داعية متطوع).

٨- باعتبار أخذ الأجرة، (داعية يأخذ أجرة، داعية محتسب) والأصل أن الذي يأخذ أجر تكون نيته خالصة لله تعالى.

٩- باعتبار مجال تخصصه الشرعي (عقيدة، فقه، سيرة، سنة، إفتاء).

١٠- باعتبار مجال تخصصه العلمي والمهاري، (الإمام الداعية، المعلم الداعية، الطبيب الداعية، المهندس الداعية، الحرفي الداعية..).

١١- باعتبار الوسيلة والأسلوب (داعية واعظ، داعية محاور ومناظر، داعية خطيب، داعية مؤلف، داعية أكاديمي، داعية خدمي -خدمة الناس-).

١٢- باعتبار القول والفعل (داعية بالقول والفعل، الداعية الصامت -القدوة-).

١٣- من يقوم بخدمة الناس ومخالطتهم في أي تخصص كان.

١٤- من يكون قدوة يرى الناس منه الإسلام علماً وعملاً.

المبحث الثاني

أهمية وفضل الدعاة

يمكن بيان أهمية الدعاة من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان القرآن الكريم أهمية الدعاة وفضلهم.

المطلب الثاني: أهمية الدعاة في السنة.

المطلب الثالث: اهتمام الإسلام بتأهيل الدعاة بالعلم.

المطلب الرابع: كلام ابن القيم عن أهمية وفضل الدعاة.

المطلب الأول
بيان القرآن الكريم أهمية الدعاة وفضلهم

ونجمل تلك الأهمية في النقاط التالية:

◈ أولاً: أهمية وجود الدعاة لنشر التوحيد واستنقاذ الناس من الشرك:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. «فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم؛ ثم عهد نوح أول رسول إلى أهل الأرض إلى زمن خاتم النبيين -صلوات الله عليه وعليهم أجمعين- ودعوة الكل واحدة كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]»[(١)].

◈ ثانياً: أهمية وجود دعاة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور:

قال تعالى: ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

«يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة»[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل ٤/ ٥١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٢١.

◈ ثالثاً: أهمية وجود الدعاة لتعريفهم بالقرآن وتربيتهم عليه وتعليمهم له:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران ١٦٤].

فقوله: ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ أي: يعلمهم ألفاظها ومعانيها. ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ من الشرك والمعاصي والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق. ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، أو المراد بالكتاب -هنا- الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ، ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين»[(١)].

◈ رابعاً: أهمية وجود الدعاة للشهادة على الناس:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥٥ باختصار وتصرف يسير.

«وإنما اختار لفظ الوسط دون الخيرية لحكمة دقيقة: وهي التمهيد للتعليل الآتي: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فإن الشاهد على الشيء لا بد أن يكون عارفاً به، ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر، وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضاً»[١].

«**إن لشهادة الأمة مفهوم عميق:** فهو حضور معرفي منهجي دائم مؤثر، ومنازلة للواقع وتعديله باتجاه الوسط، وتصدّر العالم لكي تقيم الحجة على الناس. وهي حاضرة في الغائب بمعرفته ودراسته والحكم عليه.

فهذه اللفظة تعبر عن حال الأمة الإسلامية التي أخرجها الله للناس، فهي تصل بين الماضي والحاضر بكل ما فيهما، وتقف على تفاصيلهما وتربطهما معاً في صياغة حضارية تفيد حاضرها ومستقبلها، إنها الرابط بين مختلف الثقافات و الحاكمة عليها عن وعي وإلمام ودراية.

إنها مسؤولية وأمانة أن تكون هذه الأمة شهداء الله في أرضه تحكم على الناس وعلى الأمم، فترفع وتخفض وتزكي وتذم الخلق في ميزاني الآخرة والدنيا. فلنتق الله في هذه الأمانة!!»[٢].

◈ خامساً: أهمية وجود الدعاة في كل مجتمع ليحصل الفلاح:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٢/ ٤ باختصار وتصرف يسير.

(٢) مقال بعنوان: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، د. إيهاب برهم منشور على موقع إسلام أونلاين.

قال ابن القيم: «فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله، لا الداعون إلى رأي فلان وفلان»[(١)].

◈ سادساً: أهمية وجود الدعاة وقاية للأمم من الهلاك:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٦، ١١٧].

«لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسل، وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدًّاً.

وغاية الأمر؛ أنهم نجوا باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة.

وفي هذا؛ حثٌّ لهذه الأمة أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى.

وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماماً في الدين إذا جعل عمله خالصاً لرب العالمين»[(٢)].

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٦١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٢.

◈ سابعاً: أهمية وجود الدعاة لأنهم المبلغون لدين الله تعالى ووحيه، وحاملو ميراث النبوة، ومتبعوا سبيل الرسول:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالبلاغ أمراً مباشراً يدل على تبليغ ما أنزل على الرسول، وذكر الله تعالى الدعاة في سياق المدح أنهم مبلغون عن الله تعالى ويخشون الله وحده ولا يخشون سواه في طريق دعوتهم.. وأمر الناس بالاقتداء بالنبي ﷺ وهو الداعية الأول في هذه الأمة والنبي الخاتم.. فمن أعظم مجالات الاقتداء به: الاقتداء به في الدعوة..

كل هذا يدل على أهمية وجود دعاة يبلغون رسالات الله وآيات الله.

◈ ثامناً: الدعاة من أحسن الناس قولاً عند خالقهم جل وعلا:

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]. «أي: لا أحد أحسن قولاً، أي كلاماً وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده

من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

«فلا شيء أحسنُ منه، ولا أوضح من طريقتهِ، ولا أكثرُ ثواباً من عَمَلهِ»[٢].

«وفي هذه الآية منزع عظيم لفضيلة علماء الدين الذين بينوا السنن ووضحوا أحكام الشريعة واجتهدوا في التوصل إلى مراد الله تعالى من دينه ومن خَلْقه»[٣].

◈ تاسعاً: وجود الدعاة إلى الله من أسباب حصول الخيرية للمجتمعات:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال ابن كثير: «فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم»[٤].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها، وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحاً ومحبة للخير ودعوة وتعليماً وإرشاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان»[٥].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٤٩.
(٢) فتح القدير ٤/ ٥١٥.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٨٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٠٣.
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٧٢.

المطلب الثاني
أهمية الدعاة في السنة

يمكن بيان أهمية الدعاة في السنة من خلال النقاط التالية:

أولاً: بين النبي ﷺ أهمية الدعاة بضرب المثل:

فقد ضرب النبي ﷺ مثلا على أهمية الدعاة إلى الله، ودورهم في إنقاذ المجتمع بقوله ﷺ: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها؛ والمداهن فيها مثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها، فإذا هم استقوا الماء آذوا من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في موضعنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإذا هم تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً)[١].

وضَرَبَ المثل الطيب لمن يقوم بالدعوة وأن خيره باقٍ، بقوله ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم: كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً؛ فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس؛ فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى؛ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ!! فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به)[٢].

فمعنى هذا الحديث أن الأرض ثلاثة أنواع وكذا الناس:

فالأول من الأرض: ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتاً، ويُنبت الكلأ فينتفع به

(١) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٢٤٩٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢).

الناس والدواب؛ بالشرب والرعي والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس: يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيُحيِيَ به قلبه، ويعمل به ويعلِّمه غيره، فينتفع وينفع.

والثاني من الأرض: لا تقبل الانتفاع في نفسها! لكن فيها فائدة؛ وهي: إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس: لهم قلوب واعية لكن ليست لهم أفهام ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والأحكام، ولا اجتهاد عندهم في الطاعة، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب متعطش لما عندهم فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بَلَغهم.

والثالث من الأرض: السِبَاخُ التي لا تنبت ونحوها!! فهي لا تنتفع بالماء، ولا تمسكه لينتفع به غيرها، وكذا الثالث من الناس: لا قلب له حافظ، ولا فهمَ واعٍ، فإذا سمع العلم لا ينتفع به! ولا يحفظه لينفع غيره!!»[(١)].

«فشبة صَاحب الْعلم فِي نَفعه لِلْخلقِ بالغيث، وَشبه متحمل الْعلم فِي ذكائه بِالْأَرْضِ الطّيبَة المنبتة. وناهيك بهما فضلاً»[(٢)].

➢ ثانياً: دعاء النبي ﷺ للدعاة إلى الله:

فكفى الدعاة فضلاً دخولهم في دعوته ﷺ، حيث قال: (نَضَّر الله امرءاً سمع مني حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فَرُبَّ مبلغٍ أحفظ له من سامعٍ)[(٣)].

«**النضرة:** الْحسن والرونق، خُصَّ بالبهجة وَالسُّرُور والمنزلة فِي النَّاس فِي الدُّنْيَا،

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/ ٤٨.

(٢) المتواري على أبواب البخاري ١/ ٦٠.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (٣٦٦٠)، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السامع(٢٦٥٦)، سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب من بلغ علماً (١٨٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٧)، والسلسلة الصحيحة (٤٠٤).

وبنعمةٍ فِي الْآخِرَة حَتَّى يُرى رونق الرضاء وَالنعْمَة، لأنه سعى فِي نضارة الْعلم وتجديد السّنة»[١].

ثالثاً: كل المخلوقات تتواضع وتدعو للعلماء ولمعلم الناس الخير:

فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض –حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر– يصلون على معلم الناس الخير)**[٢].

«**أي**: يدعون بالخير **(على معلم الناس الخير)**: قيل: أراد بالخير هنا علم الدين وما به نجاة الرجل، ولم يطلق المعلم: ليُعلم أن استحقاق الدعاء لأجل تعليم علمٍ موصلٍ إلى الخير، وفيه إشارة إلى وجه الأفضلية بأن نفع العلم متعد ونفع العبادة قاصرٌ»[٣].

«**ومعنى يصلون عليه**: يستغفرون له ويتضرعون، ويطلبون له الزلفى، لأن نفع علمه يتعدى إلى جميع الحيوانات، حتى من هو مأمور بقتله!! فيقول: **(فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة)**[٤]»[٥].

«أولئك الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ١/ ٢١.

(٢) جامع الترمذي، كتاب العلم، باب فضل الفقه في الدين على العبادة(٢٦٨٥) واللفظ له، وسنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب ثواب معلم الناس الخير (٢٣٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب١/ ١٩، حسن لغيره.

(٣) مرقاة المفاتيح ١/ ٢٩٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٥).

(٥) فيض القدير ٣/ ٥٠٦.

منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان متعلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه»[(١)].

المطلب الثالث
اهتمام الإسلام تأهيل الدعاة بالعلم

ويظهر أهمية الدعاة في اهتمام الاسلام بطلاب العلم، لأنهم هم المبلغون لدين الله، ففضلهم ليس لذاتهم أو لذات العلم فقط، بل ولأنهم مأمورون مكلفون بالدعوة إليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة١٢٢].

قال الشيخ ابن سعدي: «ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم؛ من بركته وأجره، الذي يُنَمَّى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة

(١) من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة لابن رجب ص٢٣، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢/ ٨٢.

الحسنة، وترك تعليم الجُهَّال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً.

إنَّ المسلمين ينبغي لهم أنْ يُعِدوا لكلِ مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكم العامة النافعة في جميع الأمور»[(١)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم. وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض و كل شيء حتى الحيتان في جوف الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)**[(٢)].

ويكفي أن طالب العلم أراد الله به الخير، قال النبيّ ﷺ: (من يرد اللّه به خيراً يفقّهه في الدّين)[(٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: (من خرج في طلب العلم كان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥٥.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣١٥٧)، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه في الدين (٣٦٠٦)، سنن ابن ماجه، كتاب الفضائل، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢١٩). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (٧٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)،ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة(١٠٣٧).

في سبيل اللّه حتّى يرجع)[١].

وعن أبي الدّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من رأى أنّ الغدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله»[٢].

قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلَّموا العلم، فإنَّ تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والمصبِّر على البأساء والضراء، يرفع الله به أقواماً؛ فيجعلهم في الخير قادة سادة، هداة يقتدى بهم، أدلة في الخير، تقتصى آثارهم وترمق أفعالُهم، يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلا، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عَزَّ وَجَلَّ، وبه يعبد، وبه يوحد ويمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء»[٣].

وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «العالم أعظم أجراً من الصّائم القائم الغازي في سبيل الله، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثُلْمَة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة»[٤]. وذلك لدوره الكبير في الدعوة إلى الله تعالى.

وعن أبي ذرٍّ وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: «باب من العلم نتعلَّمه أحبُّ إلينا من ألف

(١) جامع الترمذي، كتاب العلم، باب فضل العلم (٢٦٤٧) وقال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه: الطبراني في الصغير ١/ ٢٣٤ (٣٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره برقم (٨٨).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٩.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٣٩. وقال ابن القيم: «رواه الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل ورواه أبو نعيم في المعجم من حديث معاذ مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولا يثبت وحسبه أن يصل إلى معاذ» انتهى. انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٢٠، وأخرجه الآجري في أخلاق العلماء برقم (٢٢).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، رقم: (٣٤٧).

ركعة تطوُّع»[١]، وذلك لأنَّ نفع العلم يعمُّ صاحبه والمسلمين، والنَّوافل المذكورة مختصّة به، ولأنَّ العلم مصحِّح، فغيره من العبادات مفتقر إليه، ولا ينعكس، ولأنَّ العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنّوافل تنقطع بموت صاحبها.

وعن حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك رحمهما الله تعالى، فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: «إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم؛ احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم»[٢].

المطلب الرابع
كلام ابن القيم عن أهمية وفضل الدعاة

قال ابن القيم: «إن أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة؛ فـــ ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وكيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده؛ في تبليغ رسالاته، وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه،.. وجعل أشرف مراتب الناس بعدهم مرتبة: خلافتهم ونيابتهم في أممهم، بأنهم يخلفونهم على مناهجهم وطريقهم؛ من نصيحتهم للأمة، وإرشادهم الضال، وتعليمهم الجاهل، ونصرهم المظلوم، وأخذهم على يد الظالم، وأمرهم بالمعروف وفعله، ونهيهم عن المنكر وتركه، والدعوة إلى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر برقم (٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/ ١٦٠.

الحسنة للمؤمنين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعرضين»(١).

«فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلِّغون عنه من أمته؛ لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن لا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه»(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٧٨.

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص ٣٣٩.

الفصل الثاني

مقومات الدعاة

ويشتمل على تمهيد، وسبعة مقومات:

تمهيد: حول مفهوم المقومات.

المقوم الأول: الإخلاص.

المقوم الثاني: سلامة العقيدة.

المقوم الثالث: الاتباع لا الابتداع.

المقوم الرابع: العلم الشرعي.

المقوم الخامس: الفهم الصحيح.

المقوم السادس: الثقة في الإسلام.

المقوم السابع: التجرد للحق.

تمهيد
حول مفهوم المقومات

لاشكَّ أن الداعي إلى الله لن يكون ناجحاً في القيام بالدعوة إلى الله موفقاً مسدداً إلا حين يلتزم بالمقوِّمات التي تجعله مستقيماً معتدلاً، بلا إفراط ولا تفريط.

ومعرفة الداعي للمقوِّمات التي تجعله ناجحاً في دعوته من أهم المهمّات؛ فذلك موقوف على مدى التزامه بتلك المقوّمات ونصيبه منها.

ومقومات الدعاة التي تعينهم على الدعوة إلى الله كثيرة؛ سنقتصر على أصولها، التي تتفرّع منها بقية المقوِّمات الأخرى[١].

وقبل الدخول في تعداد مقومات الدعاة نبين مفهوم المقومات:

فالمقومات: جمع مقوم، اسم فاعل من قوَّمَ[٢].

والقِوامُ: نظام الأمر، وعماده، وملاكه الذي يقوم به. يُقالُ: هذا قِوام الدين، وقِوام الحق: أي الذي يقوم به. ويقال: فلان قِوام أهل بيته: عمادهم. ويقال: قوّم الشيء تقويماً: أزال اعوجاجه وعدَّله، وقِوامُ كل شيء ما استقام به.. وقوَّمتُ الشيء فهو قويم: أي مستقيم[٣].

والمقَوِّم: مَنْ يُعطي قيمةً لعمل أو شخص أو مجموعة، من فرد أو مجموعة «خبراء مقوِّمون.

---

(١) للاستزادة ينظر كتاب: كتاب مقومات الداعية الناجح أ.د سعيد بن وهف القحطاني.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٨٧٩.

(٣) ينظر: لسان العرب ١٢/ ٥٠٤، والقاموس المحيط ص١٤٨٧، ومختار الصحاح ص٢٣٣، والمعجم الوسيط ٢/ ٧٦٨، وجمهرة اللغة لابن دريد٣/ ١٦٦.

والمراد به: كلُّ ما يتألَّف أو يتركَّب منه جسم أو جهاز أو مشروع، من عناصر أساسيّة تسهم في قيامه ووجوده وفاعليّته[١].

ومن خلال ما سبق يتبين أن:

مقوِّمات الدعاة: أي المعدِّلات التي تُعدّل الدعاة، وتقيم اعوجاجهم، وتنظم شؤونهم فتجعلهم: مستقيمين، معتدلين، حكماء، منضبطين في كل أمورهم، ناجحين في دعوتهم إلى الله.

أو هي: مجموعة العناصر الأساسية التي تساهم في بروز الدعاة ونهوضهم بفاعلية كبيرة.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٨٧٩.

المقوم الأول
الإخلاص

أولاً: أهمية الإخلاص في حياة الدعاة:

الإخلاص لله تعالى في هدف الدعاة إلى الله من جميع أعمالهم، سواء عباداته أو تعلمه أو تعليمه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

قال ابن سعدي: «﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب. ﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصاً لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه»(١).

أما قوله تعالى: ﴿ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلصه وأصوبه، قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً»(٢)، فالخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعاً فيه الشرع والسنة.

وقال ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٩.

(٢) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ص ٥٠، ٥١، حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

دنيا يصيبها؛ أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[١].

فبالإخلاص يصلح دين الداعية وتصلح أهدافه، ويعينه الإخلاص على تحمل مشاق الدعوة إلى الله والاستفادة من الفرص.

وهو أمر شاق كما يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي»[٢]. لأن آفات الإخلاص كثيرة، والشهوات والمطامع لا تنقطع، فكم ممن خرج مخلصاً ولكن تحولت النية وتقلبت به الأهواء.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يا رسول الله: أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: **(لا يا بنت أبي بكر** -أو: **يا بنت الصدّيق- ولكنه الرجل يصوم، ويتصدَّق، ويصلِّي وهو يخاف ألا يُتقبَّل منه)**[٣].

ويُذكر عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «لئن أستيقن أن الله تقبَّل لي صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]»[٤]، فإذا أراد الداعية التوفيق في حياته عامة فعليه بالإخلاص، وإذا أراد معه نشر دين الله والدعوة إليه فعليه بالإخلاص، ففي الإخلاص البركة في الجهد والتوفيق لكل أمر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدْء الوحي، باب كيف كان بدأ وحي النبي ﷺ (٢)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ **(إنما الأعمال بالنية)** وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٩٠٧).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٨.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي في العمل (٤١٩٨)، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون (٣١٧٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

ثانياً: من مظاهر إخلاص الدعاة[١]:

١- انطلاق أعمال الدعوة من شعور غامر بالرحمة والشفقة على عباد الله أجمعين.

٢- الفرح بكل كفاءة تبرز في ساحة الدعوة إلى الله.

٣- طلب الحق وتعظيم أهله، من كانوا وحيث كانوا.

٤- الصبر والصفح عن المدعوين والمخالفين.

٥- العدل والورع والتثبت عند الحكم على الرجال والطوائف.

ثالثاً: من مظاهر وآثار ضعف إخلاص الدعاة:

١- الانفصال بين العلم والعمل.

٢- هيجان الرعونات النفسية والحظوظ الشخصية.

٣- الاختلاف والافتراق.

٤- التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف.

٥- حب الدنيا والسقوط في فتنتها.

رابعاً: أسباب تحصيل الإخلاص ودفع الرياء:

١- معرفة عظمة الله تعالى وأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ فإن العبد إذا عرف أن الله وحده هو الذي ينفع ويضرُّ، ويُعزُّ ويُذلُّ، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، إذا عرف ذلك، وعلم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فسيُثمرُ ذلك إخلاصاً وصدقاً مع الله، فلابد من معرفة أنواع التوحيد كلّها معرفةً صحيحة سليمة.

٢- معرفة ثمرات الإخلاص وفوائده في الدنيا والآخرة، فالإخلاص سبب للنجاة

---

(١) هذه النقطة والتي تليها من كتاب معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٥٢- ٥٥ باختصار.

من عذاب الله، ورفْع المنزلة والدرجة في الدنيا والآخرة، والسلامة من الضلال في الدنيا، والفوز بحب الله للعبد، وحب أهل السماء والأرض، والصِّيت الطيِّب، وتفريج كروب الدنيا والآخرة، والطمأنينة والشعور بالسعادة والتوفيق، وتحمّل المتاعب والمصاعب، وتزيين الإيمان في القلوب، واستجابة الدعاء، والنعيم في القبر والتبشير بالسرور، والله الموفق سبحانه(١).

٣- الخوف من خطر العمل للدنيا والرياء المحبط للعمل، فقد قال النبي ﷺ: **(إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)**، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **(الرياء؛ يقول الله تعالى لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)**(٢).

٤- الإكثار من أعمال الخير والعبادات غير المشاهدة، وإخفاؤها: كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خالياً من خشية الله، وصلاة النوافل، والدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، والله ﷻ يحب العبد التقيّ الخفيّ.

٥- عدم الاهتمام بذمِّ الناس ومدحهم؛ لأن ذلك لا يضرُّ ولا ينفع، بل يجب أن يكون الخوف من ذمِّ الله، والفرح بفضل الله.

٦- الخوف من سوء الخاتمة، فعلى العبد أن يخاف أن تكون أعمال الرياء هي خاتمة عمله، ونهاية أجله، فيخسر خسارة فادحة عظيمة؛ لأن الإنسان يُبعث يوم القيامة على ما مات عليه، والناس يُبعثون على نياتهم، وخير الأعمال خواتمها.

---

(١) انظر: كتاب الإخلاص للعوايشة، ص٦٤-٦٦.

(٢) مسند أحمد، ٣٩/ ٣٩ (٢٣٦٣٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

٧- مصاحبة أهل الإخلاص والتقوى؛ فإن الجليس المخلص لا يعدمك الخير، وتجد منه قدوة لك صالحة، وأما المرائي والمشرك فيحرقك في نار جهنم إن أخذت بعمله.

٨- القراءة في سير السلف الصالح، والدعاة المخلصين، ومواقفهم في الإخلاص، وثمرة إخلاصهم في الدعوة.

٩- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وقد علَّمنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: **(يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل)**، فقال بعض الصحابة: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: **(قولوا: اللهمّ إنا نعوذ بك أن نُشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لِمَا لا نعلمه)**[(١)].

١٠- عدم الطمع فيما في أيدي الناس؛ فإن الإخلاص لا يجتمع في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما في أيدي الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس مما في أيدي الناس، ويسهِّل ذبح الطمع العلم يقيناً أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره، ولا يُؤتي العبد منها شيئاً سواه[(٢)].

---

(١) مسند أحمد، ٣٢/ ٣٨٤ (١٩٦٠٦)، قال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٦).

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص٢٦٧-٢٦٨.

المقوم الثاني
سلامة العقيدة

❑ أولاً: مفهوم سلامة عقيدة الدعاة:

والمقصود أن تقوم عقيدة الدعاة على إقامة التوحيد لله تعالى، والتنقية من الشركيات والمخالفات العقدية، وذلك بالتزام منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والإيمان بالغيبيات وباليوم الآخر، وسائر أركان الإيمان مما يقوم عليه التصديق الذي يتبعه العمل، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

إن سلامة الاعتقاد تعني أن يستقر في قلب الدعاة معنى وحقيقة شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويجري اللسان نطقاً بهما، تجري الأعضاء والجوارح تنفيذاً لمقتضاهما، بمعنى أن يتحقق توحيد الله ﷻ، وتوحيد شرعه - علماً وقولاً وعملاً.

وتعني أن يستقر في قلب الدعاة ويظهر على سلوكهم إيمانهم بأركان الإيمان جميعاً، وعدم الاقتصار على طلب علمها، أو ممارسة أعمالها في باب دون باب، وفي أصل دون أصل!

بل المطلوب تحقيق: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، مع تحقيق التلازم بين ربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، بجوانبها العلمية والعملية، والسعي لتطبيق الشريعة وتحقيق عقيدة الولاء والبراء(١).

---

(١) معنى العقيدة الصحيحة، مقال: للشيخ سعد ندى منشور على شبكة الألوكة، باختصار وتصرف.

إن دعوة الإسلام لا تقبل من الدعاة ظناً أو شكاً في عقيدتهم بل لا بد أن يكون كل داعية صاحب عقيدة صحيحة ليس فيها انحرافات أو شكوك.

❑ ثانياً: أهمية سلامة العقيدة في حياة الدعاة:

من أول الواجبات على الدعاة أن يعملوا على إصلاح عقيدتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].

قال شيخ الإسلام: «فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني.. وبالاستغفار يُغْفَر له ويدفع عنه عذابه... فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، فإنه لا بد منه، وإذا لم يحصل له لم يزل فقيراً محتاجاً معذباً في طلب ما لم يحصل له، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل له غناه وسعادته، وزال عنه ما يعذبه»(١).

فالتوحيد عمدة الأصول التي ينطلق منها الدعاة في إصلاح نفوسهم وإصلاح المدعوين الذين يدعوهم إلى دين الله، وهو المنطلق الأساسي في الإسلام، إذ يدعونهم ينبني عليه، و هو المحور الرئيس للإيمان، فلا يتحقق إلا بها.

ويمكن إجمال أهمية سلامة عقيدة الدعاة في النقاط التالية:

١- إذا سلمت عقيدة الدعاة فإنَّ كلَّ شيء بعدها سيكون سليماً؛ فما بُني على حق كان حقَّاً، وما بُني على باطل كان زهوقاً.

٢- سلامة عقيدة الدعاة فهماً وعملاً، يعود عليهم صلاحاً في الظاهر والباطن.

٣- العقيدةَ المشوَّشة تنتج أفكَاراً شاذة تنادي بأنْ لا عَلاقَةَ للدين بالدنيا، وأن كلاهما منفصلٌ، ولا داعيَ للدمج بينهما، أو إقحام الدين -على حَدِّ قولهم- في مجريات الدنيا، فهذه نقرة، وتلك نقرة، ولا جمع بينهما.

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٥٦.

٤- العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل الصالح.

٥- الدعاة بلا عقيدة صحيحة يكونون فريسة للأوهام والشكوك.

٦- الدعاة بلا عقيدة صحيحة سيفتقدون للنجاح والتوفيق والسعادة في عملهم لله تعالى.

❑ ثالثاً: مظاهر سلامة العقيدة في حياة الدعاة:

فمن من أهم مظاهر سلامة الاعتقاد في حياة الدعاة:

١- أن لا يسأل الدعاة أحد إلا الله، وألا يستعينوا إلا بالله، وأن يعلموا ويوقنوا ويعتقدوا بأن النافع والضار هو الله، وذلك لقوله ﷺ: **(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)**[1].

٢- التجاء الدعاة إلى الله وتفويض الأمر وحده، كما في قوله تعالى عن مؤمن آل ياسين ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

٣- الدعوة إلى هذه العقيدة، وتبصير الناس وتعليمهم إياها والاهتمام بها وجعلها من الأولويات في الدعوة فهماً وإيماناً، شعوراً وسلوكاً، الأولويةَ المطلقة على ما سواها.

٤- إن سلامة العقيدة لدى الدعاة تجعلهم يدعون إليها بشمولية فلا يغلبون جانب عقدي على جانب آخر، فيؤكدون على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وجميع أركان الإيمان.. ويحاربون الشرك بجميع أنواعه، ويحذرون من المكفرات المخرجة من الملة.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب ٩٥ (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

رابعاً: من مظاهر ضعف العقيدة عند الدعاة:

١- اعتقاد النفع والضر بيد فلان، والخوف من فلان أو فلان مما يمنعه من قول الحق، أو الرجاء في فلان أو فلان مما يجعل قلبه يتعلق بغير الله تعالى.

٢- التقليل من شأن العقيدة؛ بعدم اعطائها أولوية في الخطاب الدعوي والتربية الدعوية، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٣- التأثر بما يبثه أعداء الإسلام وأعداء التوحيد؛ وموالاتهم وحبهم ومداهنتهم والتقارب معهم، كما يدعون إلى التقارب بين الأديان.

خامساً: وسائل معينة على سلامة العقيدة:

١- العلم بالعقيدة الصحيحة، وهذا لا يحصل إلا بالتعلم وأخذ علوم العقيدة من علمائها الثِّقات.

٢- المعرفة بنواقض العقيدة التي تخرجه من الدين كليًّا أو جزئيًّا.

٣- الحذر من أن تتحول قضية التوحيد إلى مجرد حفظ آلي حرفي جاف، بعيداً عن التأثر القلبي، فلابد من وظهور آثرها على الجوارح والسلوك والأخلاق.

٤- التفكر في أسماء الله وصفاته والعمل بمقتضاها، فمثلاً أن يعتقد الدعاة بأن المعز والمذل والمالك للملك هو الله وهو المعطي وهو المانع، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

٥- الحذر من الانجراف إلى فلسفات أو نظريات، يكون من شأنها زعزعةُ العقيدة، والانهزامية والتمييع لأمور الدين، كمن يقولون بديموقراطية الإسلام واشتراكية الإسلام.. والإسلام بريء من ذلك.

٦- مراقبة الدعاة دائما لأنفسهم وعقيدتهم، فلربما يفاجؤون بأنَّها تحمل بين طياتها -دون أن يدروا- ما ينقص من سلامة عقيدتهم أو متانتها، أو على الأقل يُشوِّش علاقتهم بربهم وخالقهم.

٧- الثقة الكاملة في أن عقيدةَ الإسلام هي الراسخةُ غيرُ المشوبة ولا المعيبة، منزلة من ربٍّ عظيم خَلَقَ فسوَّى، وقدَّر فهدى.

٨- لا يكون الدعاة إمعاتٌ يعتقدون ما يعتقده بعض الناس في الأفهام الخاطئة والمعتقدات الزائفة، وليكونوا مميزين بعقيدة صافية لا يشوبها شكٌّ ولا ريب.

المقوم الثالث
الاتباع لا الابتداع

أولاً: حقيقة الاتباع وأدلته:

المقصود من هذا المقوم: «الاهتداء بالكتاب الكريم والسنة النبوية، والتأسي بما سار عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بقية السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، وعدم الخروج من هذا المسار»(١).

فحقيقة الاتباع: تصديق النبي ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعارض الأمر والنهي بترخص جاف، ولا بتشدد غالٍ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد(٢).

إن توحيد المتبوع ﷺ يأتي بعد توحيد المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالاتباع شرط القبول الثاني بعد تجريد الإخلاص، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)(٣). وقال: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)(٤).

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ١/ ٢٩٧.

(٢) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٥٩.

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في البيوع، باب النجش، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨).

(٤) سنن ابن ماجه، مقدمة الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين برقم (٤٢)، ومسند أحمد ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٢) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

ثانياً: أهمية الاتباع:

١- الاتباع الصادق سبيل إقامة الأمر، وحصول الأجر، والأمن من الفتنة ومغفرة الوزر، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

٢- الاتباع دليل محبة الله ﷻ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٣- الاتباع سبيل النجاة من الابتداع والافتراق في الدنيا، وفي الآخرة من النار والعذاب، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: (**وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**)[١].

ثالثاً: أهمية الاتباع في الدعوة وعدم الابتداع فيها:

الاتباع في أمر الدعوة أمر واجب وحتم لازم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

«فحيث إن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الوظائف الدينية ومن أفضل القربات الشرعية، كان على الداعي إلى الله أن يحرص على اتباع السنة والبعد عن البدعة في موضوع دعوته وأسلوبها، فيقدم الموضوعات المشروعة ويتجنب المحدثات والبدع

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة (٢٦٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٤٤ (٥٣٤٤).

فلا يدعو إليها، بل يحذر منها وينبه إليها»[(١)].

فسبيل البدع والشبهات والضلالات من أخطر ما يهدد الدعوات، فلا يملك الدعاة في منهج الدعوة وأصولها ومسالكها إلا أن يأخذوا بسنن الهدى وأن يجتنبوا سبل الردى، إذ البدعة اتهام لمقام النبوة بالخيانة في أداء الأمانة، فهي تستدرك على الشريعة تهمة لها أو مضادة لأصلها[(٢)].

رابعاً: مقتضيات الاتباع والابتداع في الدعوة:

«فعلى الدعاة الأخذ بالنصوص وعدم إهمالها، وترك المبتدعات في مسار الدعوة، والعناية بالنقل وتقديمه على العقل»[(٣)].

ولا بد أن «يحرص الداعي على استعمال الوسائل والأساليب الشرعية، والبعد عن السبل غير المشروعة، أو التي تخالف أصول الدين وقواعده الكلية؛ لأن الوسائل لها حكم المقاصد، فلا بد من سلوك السبل المباحة التي لا تخالف الشرع لتحقيق مقاصد الدعوة الإسلامية، وكون المقصد سامياً ونبيلاً لا يبرر سلوك الأساليب المحرمة أو التي تخالف الشرع.

ولا يعني ذلك الاستدلال لكل وسيلة دعوية بدليل مخصوص من الكتاب أو السنة وإلا صارت الوسيلة غير مشروعة! وإنما يستعمل الدعاة في دعوتهم الوسائل المباحة المتاحة في كل عصر بشرط ألا تخالف الشرع؛ لا أن ينص عليها الشرع، لأن الأصل في الوسائل الإباحة، ولا يُمنع منها إلا ما خالف الدين، ودليل ذلك عموم

---

(١) مقال بعنوان الاتباع لا الابتداع في الدعوة، د. خالد الربيع منشور على موقع الفرقان.

(٢) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٦٠.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ. د. عبدالرحيم المغذوي ١/ ٢٩٧.

قوله ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [الحج: ٦٧]، ولم يقيد سبحانه ذلك بوسيلة معينة وإنما وضع ضوابط عامة كالحكمة.

ومنها قول النبي ﷺ: **(إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها)**[١] فالأشياء المسكوت عنها محمولة في الشرع على السعة والفضل.

فهناك فرق دقيق بين البدع في الدين وهي المذمومة شرعاً، والمصالح المرسلة التي لم يرد دليل على اعتبارها ولا إلغائها فتكون محل نظر، فإذا أدت إلى مصالح خالصة أو راجحة كانت مشروعة وإلا صارت ممنوعة، والوسائل الدعوية من هذا الباب»[٢].

«ولا بد للداعية من حسن الاقتداء وكمال الاهتداء، والحذر من اتباع الهوى، مع جواز الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص قاطع أو إجماع، مع الحذر من الزلات، وضبط مسائل الخلاف والاختلاف، بالعناية بمنهج الاستدلال، وفقه الدليل لكي تنضبط الفتوى، ولا بد من التفريق بين البدع المحدثة والمصالح المرسلة، والجمع بين الاتباع العلمي والعملي.

مع التنبيه إلى أن جواز التمذهب بلا تعصب، وتقديم الراجح بدليله بلا تردد، والعالم المنتهي فرضه الاجتهاد، والعامي فرضه التقليد، فمذهبه مذهب من أفتاه»[٣].

---

(١) سنن الدارقطني ٥/ ٥٣٧ (٤٨١٤)، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ١٢٩ (٧١١)، المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ١٨٣ (٥٨٩)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ١/ ١١٧، وقال ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه منقطع، انظر: المطالب العالية ١٢/ ٤١٦).

(٢) مقال بعنوان الاتباع لا الابتداع في الدعوة، د. خالد الربيع منشور على موقع الفرقان، باختصار.

(٣) معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص٦٤ باختصار.

المقوم الرابع
العلم الشرعي

العلم من أعظم مقوّمات الدعاة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله تعالى لهذه الآية بقوله: «باب: العلم قبل القول والعمل»[(١)].

وذلك أن الله أمر نبيه محمد ﷺ بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فدلَّ ذلك على أن مرتبة العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل[(٢)].

وقد مدح الله ﷻ أهل العلم وبيَّن فضلهم، وأثنى عليهم، قال سبحانه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

ولهذا قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[(٣)].

فيجب أن يكون الدعاة على بيّنة فيما يقومون به؛ قال سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، قبل الحديث رقم (٦٨).
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١/ ١٦٠، وحاشية ثلاثة الأصول للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ص١٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (١٠٣٧).

والعلم الصحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن كل علم يتلقَّى من غيرهما يجب أن يعرض عليهما، فإن وافق ما فيهما قُبل، وإن كان مخالفاً وجب ردّه على قائله كائناً من كان(١).

فالعلم الشرعي مقومٌ أساسيٌّ للداعي إلى الله، فهو يجعله على بصيرة بما يدعو إليه واثقاً فيه مطمئن إليه، مطبقاً له وثابتا عليه، مدافعاً عنه، وهذا كله يعطيه مصداقية بين من يدعوهم إلى الله(٢).

مع التركيز في العلم على العلم النافع الذي يقيم به الداعية دينه، ويقيم به دين أمته ومجتمعه، وهذا يجعل الداعية حريصاً على تلمس جوانب النقص في نفسه ومجتمعه، ويتعلم ما يسدُّ ذلك النقص، مبتعداً عن غرائب المسائل وما لا يترتب على العلم به عمل.

(فالداعي إلى الله ينبغي له أن يتمكن من:

١- معرفةٍ صحيحةٍ بالمسائل الاعتقادية.

٢- وإلمامٍ وافٍ بالأحكام الشرعية العملية، وطرائق استنباطها.

٣- معرفة أصول الاجتهاد والفقه الدعوي.

٤- دراسة تاريخ الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وعقباتها ومعوقاتها، وما يرتبط بالواقع من دراسات تمس هذا التخصص.

فلا غنى عن اجتماع العقيدة والشريعة والمنهج والسيرة والتاريخ، والأسلوب العلمي الأمثل لتتحقق البصيرة؛ وبذلك كله يكتمل بنيان هذا العلم»(٣).

(١) ينظر: زاد الداعية إلى الله للعلامة ابن عثيمين ص٦.

(٢) سيأتي الحديث في الباب القادم عن العلم الذي يحتاجه الداعية.

(٣) مبادئ في علوم أصول الدعوة ص٤٩ بصرف يسير.

ونختم بقول الحسن البصري: «فالعامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم؛ حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»[١].

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٦٨٢ وقال: خرجه ابن وهب بسند مقطوع عن الحسن.

المقوم الخامس
الفهم الصحيح

أولاً: أهمية الفهم الصحيح في الدعوة:

إن الداعية يقوم في دعوته على حسن استخدام فهم القرآن الكريم كما أراده الله ﷻ، والسنة النبوية كما وردَ عن النبي ﷺ فهماً دقيقاً، وفقهاً مركزاً، وذلك يكون بمراعاة الأسس والضوابط الشرعية، والالتزام بالأحكام والتوجيهات الربانية إيماناً وعملاً ودعوة.

«إن الفهم الشموليَّ الصحيح للإسلام أمرٌ ضروري ورئيسيٌّ في صحَّة المنهج وسلامتِه واستقامته؛ لأنَّ الإسلام دينُ الله تعالى وشريعته، وهو الدِّين الباقي إلى يوم القيامة، ولأنَّ الله تعالى وعَد الأُمَّة الإسلامية -إذا استقامت على منهج الله وشريعته وحُكمِه- أن يُمكِّنها في الأرض، ويرفع شأنَها، ويؤتيها خيريَّتَها.

ومِن هنا نعلم أنَّ الانحراف عن الفهم الصَّحيح لمنهج الإسلام لن يوصل إلى ذلك النَّصر المنشود، ولن يؤدِّي إلى ذلك التمكين الموعود، ولو بقي الدُّعاة في دعوتهم عشراتِ السِّنين؛ لأنَّهم ما أحسنوا فَهْمَ الإسلام، وما أحسنوا تبليغ رسالته الصحيحة الكاملة للعالَمين، فحينَها لن يقوم نصرٌ ولا تَمكين ولا حكم شرعي؛ لأنَّ قاعدة الإسلام مشوَّهة ومنقوصة، وفيها من البِدَع والأهواء الشيءُ الكثير، والتي يستحيل معَها قيامُ دولةٍ ومُجتمع إسلاميٍّ صحيح»(١).

---

(١) الفهم الشمولي الصحيح للإسلام، مقال، د. عاطف الفيومي، منشور على شبكة الألوكة، مختصراً.

فالفهم السليم يتيح للداعية التعامل الصحيح مع المعلومات وإدارتها بطريقة سليمة، ويتيح له التفكير المنظم في مشكلاته التي تواجهه، ويتيح له فهم الأحداث والواقع فهما سليماً متزناً.

«وسلامة الدعوة تكون نتيجة للفهم السليم للشريعة، بمبادئها وأصولها وثوابتها وأهدافها وغاياتها، وكذلك للواقع بطبيعته ومكوناته ومؤثراته وإفرازاته»[(١)].

لذلك كانت نعمة الفهم السليم مع حسن القصد من أعظم نعم الله على العبد، كما قال ابن القيم: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلُّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمدّه حسن القصد وتحرّي الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى»[(٢)].

كما أن سوء الفهم أصل كل بلية، يقول ابن القيم: «سوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ؛ أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول و الفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد»[(٣)].

---

(١) نواسف الفهم السليم، مقال، د. جمال زواوي، منشور على الشبكة الدعوية.

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٦٩.

(٣) الروح لابن القيم ص ٦٣.

«فالتحرك السليم نتاج الفهم السليم، والتحرك الخاطئ نتاج الفهم الخاطئ، وقد تُرفضُ في كثير من الأحيان أفكارٌ سليمةٌ ومواقف حكيمة!! بسبب الفهم الخاطئ والسقيم لها»(١)، كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا سليما ... وآفته من الفهم السقيم(٢)

ثانياً: أدلة أهمية الفهم الصحيح:

وقد جاءت الإشارات العديدة في كتاب الله تبارك وتعالى لأهمية العقل، وتكررت الدعوة لإعمال العقل كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وهذا يتطلب الاعتناء بتنمية العادات العقلية الجيدة، واكتساب مهارات التفكير وتنميتها، ببرامج ممنهجة ومنظمة ترتقي بتفكير وعقول الدعاة، بعيدة عن الانحرافات الفكرية، وبذلك يضبط الداعية تفكيره واتجاهاته ولا يتأثر بكل ناعق.

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية الفهم السليم، أن الأئمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يهتمون كثيراً بالفهم الجيد، فهذا الإمام أحمد يجلس عند شابٍّ يطلب منه العلم فسأله أحد أصحابه: «يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة عنده الزهري وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعون ما الله به عليم!! فقال له: اسكت. **فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول، ولا يضرك في دينك ولا في عقلك، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة!!** ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ من هذا الفتى القرشي. فقال: من هذا؟ فقال الإمام: هو محمد بن إدريس الشافعي»(٣).

---

(١) نواسف الفهم السليم، مقال، د. جمال زواوي أحمد، منشور على الشبكة الدعوية.

(٢) هذا البيت للمتنبي، انظر محاضرة الأدباء للراغب الأصفهاني١/ ٦٣.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٢٠٣ باختصار.

وقال سعيد بن الحداد المالكي: «ليس الفقه حمل الفقه، وإنما الفقه معرفة الفقه والفطنة فيه، والفهم بمعانيه»[١].

ثالثاً: وسائل الفهم السليم[٢]:

١- الإخلاص لله تعالى:

فالعمل لدعوة الله الغاية منه مرضاته عز وجل، والمقصود به وجهه سبحانه، فإن قصد به غير ذلك، ودخلت فيه الأهواء الجانحة، والشهوات الخفية، والنزوات الدفينة، أظلمت القلوب، واختلت العقول، وطاشت الإفهام، وهنا تتأثر الدعوة، وتتعثر المسيرة.

٢- العلم:

مستحيل أن يفهم الإنسان شيئاً يجهله، أو لا يعلم منه إلا القليل، والجهل بقواعد الدعوة وأصولها وثوابتها وأبجدياتها، قد يؤدي إلى معاداتها والإضرار بها من حيث يراد نفعها، إن على مستوى التبليغ والاستيعاب، أو على مستوى النشاط والممارسة، لأن من جهل شيئا عاداه، قال سهل بن عبدالله التستري: «ما عُصِيَ الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل، قيل له: يا أبا محمد هل تعرف شيئا أعظم من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل»[٣].

فالعلم يؤدي للفهم السليم، ويقلل دوائر الخلاف، وقلة العلم والفقر المعرفي والثقافي، تضيّق مساحة التصور، وتمنع من النظر إلى المسألة أو الموقف أو المشكلة من كل جوانبها، وتحجب الرؤية السليمة والعميقة والمتكاملة، ممّا يؤثر سلبا على سلامة الفهم وصحته.

---

(١) رياض النفوس في طبقات العلماء ٢/ ٦٩.

(٢) نواسف الفهم السليم مقال. د. جمال زواوي أحمد، منشور على الشبكة الدعوية، باختصار وتصرف.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٩.

٣- التجرد للحق وعدم اتباع الهوى:

فإن اتباع الهوى يصدُّ عن الحق، بحيث تظهر الأدلَّة المقنعة والحجج الدامغة، لكن صاحب الهوى لا يقنعه كل ذلك، ويترتب عليه فساد العقل، كما قال الشاعر:

إنَّ الهوى يفسد العقل السليم ومن يعصي الهوى عاش في أمن من الضرر

ويترتب على ذلك حرمان التوفيق في الفهم والسلوك والممارسة، فقد قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات، انقطعت عنه موارد التوفيق»[(١)].

ومن انقطع فكيف يوفق إلى فهم سليم؟!

٤- الرفق والحلم:

فالتأنِّي والتريث، يؤدي إلى صواب الفهم وما يصدر عنه من رأي، يقول ابن الجوزي: «ما اعتمد أحد أمراً إذا همَّ بشيء مثل التثبت، فإنه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب؛ كان الغالب عليه الندم، ولهذا أُمِرَ الإنسان بالمشاورة، لأن الإنسان بالتثبت يطول تفكيره، فتعرض على نفسه الأحوال وكأنه شاور»[(٢)].

٥- الحرص على التعمّق في النصوص:

إن عدم التعمق في فهم الأفكار والمعاني مرض اشتكى منه علماؤنا قديماً، حيث قال ابن الجوزي: «فأقلُّ موجود في الناس؛ الفهم والغوص في دقائق المعاني»[(٣)].

والسطحية في التعامل مع الأفكار والآراء والمواقف والأحداث؛ تجعل العقل لا يستوعب بالطريقة الصحيحة، ومِن ثَمَّ لا تكتمل الصورة لديه، فلا يتعمق ولا يدقِّق، فينتج

(١) روضة المحبين ص٤٧٩.
(٢) صيد الخاطر ص٣٨٥.
(٣) صيد الخاطر ص٤٨٦.

عنها فهمٌ غير سليمٍ وسطحي وقاصرٍ، فيبني عليه مواقف وأحكاماً تكون عواقبها وخيمة على الفرد والمجموع، لأن ضعف الفهم نتيجته ضعف كلّ ما يرتبط به ويبنى عليه.

٦- ترك الحقد والحسد:

إن سلامة الصدر ونقاء القلب وصفاء السريرة وراحة البال وطهارة النفس؛ كلها دوافع إلى الفهم والتفكير بشكل صحيح.

والصدر الضيق يهدم ما يمكن أن يبنيه العقل الواسع، ويؤدي إلى طغيان الأحقاد على القلب، وتجعل صاحبه كثير الاضطراب شديد الظلمة، وإذا اشتدت ظلماته بسبب دفعات الأحقاد المتتالية عليه، صدَّرها بدوره إلى العقل، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة، وتحرمه الفهم السليم، وتمنعه التقدير الصائب.

٧- الثقة بالله وعدم اليأس:

فإن اليأس يمنع الرؤية، فينعكس على الأفكار والأشخاص والأشياء، فتنتقل الصورة القاتمة المترسخة -جرَّاء غلبة منطق اليأس والقنوط والتشاؤم عليه- إلى طبيعة فهم الأمور، فيحرم بذلك الإصابة والرزانة والموضوعية، تكون بينه وبين الفهم السليم والنظرة الصائبة والتقدير الصحيح حجبا كثيفة تسد أفقه، وتظلم الدنيا من حوله وإن كانت ملأى بالأنوار والآمال.

٨- الطاعة وترك الذنوب والمعاصي:

وتأثير ذلك على الفهم واستيعاب العلم، أمر لا يختلف عليه اثنان في الميزان الإسلامي، كما ذكر ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الميزان بقوله:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... ويورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

فإذا مات القلب اختل العقل واضطرب التفكير، فينحرف بذلك التقدير والفهم.

قال الإمام ابن الجوزي: «رب شخص أطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو آثر شبهة في مطعمه فأظلم سره وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة»(١).

وقال شاه الكرماني: «من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشبهات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوَّد نفسه أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة»(٢).

٩- الوسطية وترك الغلو والتشدد:

إنما يوفق إلى الفهم الصائب والسليم بمقدار المحافظة على الاعتدال والوسطية، فقد جاء في الحديث: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)(٣).

فإن الجنوح إلى الغلو والتشدد يعتبر من أكثر ما يؤثر على الفهم السليم، ويحوله لدى الغالي إلى تنطع في اختياراته العلمية والعملية وكذا في المواقف والمعاملات، وقد عدَّ ﷺ هذا المسلك من موجبات الهلاك في قوله ﷺ: **(هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)**(٤).

والمتنطعون هم: «المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»(٥).

---

(١) صيد الخاطر ص٥٢.

(٢) الاعتصام ١/ ٧٢.

(٣) الشريعة للآجري ١/ ٢٦٨، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٣٥٣ (٢٠٩١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٨٢ (٢٤٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٢٦٧٠).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢٢٠.

فالغالي يظهر سوء فهمه وانحرافه جليًّاً في سلوكه، بحيث تجده يريد مالا يكون ويطلب مالا يوجد، ويتخيل مالا يقع، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها.

ولعل معظم مصائب الفرق المنحرفة التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، نتجت عن خيارات الغلو والتشدد، إن بشكل عام أو في قضية محددة، فالفكر الخارجي على سبيل المثال لا الحصر، لم يؤت أصحابه من فساد ضمائرهم، وإنما أوتوا من فساد تفكيرهم وسوء فهمهم واعوجاج فقههم.

١٠- الحلم وترك الغضب:

إذا استطاع الإنسان أن يملك نفسه، استطاع أن يفكر بشكل سليم، «فقد قيل لحكيم: متى يملك الإنسان نفسه؟ قال: إذا لم تذله الشهوة، ولم يصرعه الهوى، ولم يغلبه الغضب»[١].

فإن سرعة الغضب يغيّب العقل بالكامل، فلا يتمكن من الفهم السليم، كما قال ابن عقيل الحنبلي: «قلَّ أن يصحَّ رأي مع فورة طبع، فوجب التوقف إلى حين الاعتدال»[٢].

وقد بيَّن الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلاقة الوثيقة بين الغضب وتغييب العقل، ومن ثَمَّ غياب الفهم السليم، فقال: «مهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها، أعمت صاحبها وأصمَّته عن كل موعظة، فإذا وُعِظَ لم يسمع، بل زاده ذلك غضباً، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر، إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٠.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ص ١٦٠.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٢.

فالشخص الغضوب كثيراً ما يذهب به غضبه -وإن كان من أهل الصلاح- إلى حرمانه من الرأي الحصيف، وإفساد الأمور في ظل غيبة وعيه، لذلك كان ضبط النفس والتحكم فيها عند سوران الغضب واستشاطته؛ دليلاً لا يخطئ على رجاحة عقل المرء وقوة تماسكه، وقدرته على البلوغ وخوض الملمات، والتعامل مع المنعطفات الكبرى والأحداث العظيمة بشكل سَوِيٍّ وطريقة مُثلى.

المقوم السادس
الثقة في الإسلام

والمراد الاطمئنان وما يتبع ذلك من تصديق وانقياد.

وهذه الكلمات هي ما ينبغي أن يستحضرها الداعي لدين الله ﷻ حين ارتضي لنفسه السير في طريق الدعوة.

فالثقة اطمئنان الداعية إلى المنهج الذي يدعو إليه، اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فلفظ الاستسلام يشيع في النفس السكينة والهدوء، لأنها اطمئنان عميق يُلاحق كل بذور القلق، ويدفع بقايا الشك في النفس فيدمغها، فلا يبقى في النفس إلا الاطمئنان والثقة.

وعلى قدر الثقة في المنهج تكون قوة الدعوة، وجودة خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب.

والثقة في المنهج الدعوي هي سبب نجاح الدعوة، ولهذا يجب أن يسأل الداعية نفسه هذه الأسئلة ليتعرف على مدى ثقته بمنهجه:

١- هل تعرّف إلى دين الإسلام كمال التعرف؟

٢- هل اطمأن إلى كفايته وكماله وشموله؟

٣- هل هو مستعد لاعتبار أوامر الله ورسوله قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد، ولا للانتقاص ولا للتحوير؟

٤- هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي المنهج الإسلامي الصواب المطلق إذا تعارض ما أَمر به الشارع الحكيم مع ما يعتقده أو ما هو منتشر في بيئته؟

٥- هل هو مستعد لأن يؤقلم ظروفه الحيوية مع ظروف الدعوة واحتياجاتها؟

٦- هل تتحكم الدعوة في حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة وأشباهها يستطيع الداعية أن يطمئن على مدى ثقته بالمنهج الإسلامي، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء.

فالثقة المطلوبة من الداعية لا بد أن تشمل:

١- **الثقة بالله تعالى:** وهي الإيمان القوي، والاعتقاد الجازم، واليقين الثابت، والاطمئنان القلبي بالله وحده، وبقدرته وقوته وعزته وحكمته، وأنه جل وعلا هو الحق وما عداه باطل، وأن هداه هو الهدى، وليس بعد الهدى إلا الضلال، وأنه لا ناصر إلا الله، ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، وأنه من حفظ الله حفظه الله، ومن توكل عليه نصره، وأن كل ما يقدره سبحانه فهو الخير، وأن العاقبة للمتقين، وأنه لا عدوان إلا على الظالمين.

٢- **الثقة بالرسول ﷺ**، وبأوامره وأنه ما من خير إلا ودلنا عليه وما من شر إلا وحذرنا منه، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، به أكمل الله الدين وأتم الله به النعمة، ومن خلال قيم الاقتداء بالناجحين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٣- الثقة في المنهاج: فقد رسمه لنا رسول الله ﷺ، وقال: **(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)**[١]، وكلما اشتد الكيد والصد جدد السائرون العهد هاتفين بشعار الموقنين: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩].

فهو منهج من عند الله، ونحن نجزم بأنه الحق المبين على سبيل الإجمال والتعميم، تصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣١].

(١) مسند أحمد ٢٨/ ٢٦٧ (١٧١٤٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن، سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٩٣٧).

المقوم السابع
التجرد للحق

والمقصود أن يتجرد الداعية من كل ما سوى الله، وأن يستعين بالله وحده، وأن يضحي بكل ما يملك في سبيل الله، وأن يصبر على المكاره مهما بلغت.

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولذلك كان لزاماً أن يتجرد كل داعية لدعوته لله دون سواه، فيتجرد من أهوائه ومنافعه، ومن الأفكار الأخرى، ومن كل شيء؛ من أجل نصرة دين الله ونشره للعالمين.

فالتجرد قريب من الإخلاص ويزيد عليه أموراً هي:

١- أن لا يتعلق قلب الداعية بكل سبب مادي، وأن يتمسك بكل سبب رباني.

٢- أن يتهم الداعية نفسه باستمرار، ويعرضها في كل حادثة على القرآن والسنة؛ مخافة أن تضعف نفسه وتنحرف عن الخط الصحيح.

٣- أن يكون الداعية مستعداً لتقديم النفس وما يملك رخيصاً في سبيل الله.

فإن من أخطر عوامل سقوط الدعوات اختلاف غاياتها، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة الراغبين الحريصين على التزعم والقيادة، وكل ذلك من علامات ضعف التجرد للدعوة إلى الله.

فالدعوة دين الله وهي دعوة إلى الله؛ غايتها رضا الله، ووسائلها وأساليبها وفق سنن الله، ومنهجها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ترتكز على الإسلام عقيدة وشعيرة وشريعة، وتستمد منه، وله تجاهد، وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل.

فالداعية المجرد لا يعدل بالإسلام نظاماً، ولا يرضى سواه إماماً، ولا يقدم عليه أي حكم آخر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

إن الإسلام دعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

فالدعوة إلى الله طبيعتها الإخلاص لله والتجرد من كل شيء سوى الرغبة في تحقيق الهداية الخاصة والعامة، والتجرد في ذلك من كل شواغل وغايات الدنيا.

فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم الخير الكثير، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين، كما قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

فالداعي إلى الله دعوته نزيهة، قد تسامى في نزاهته حتى جاوز المطامع الشخصية، واحتقر المنافع المادية، وخلف وراءه الأهواء والأغراض، ومضى قدما في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:١٠٨].

والذي يدعو إلى الله لا يسأل الناس شيئاً، ولا يستزيد بهم وجاهة، ولا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً، شعاره: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩]، إنْ أجره في ذلك إلا على الله، كما أمر الله نبيه ﷺ أن يصدع بها في المدعوين: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦].

الفصل الثالث

أخلاق الدعاة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثاني: أهمية الأخلاق في حياة الدعاة.

المبحث الثالث: جوامع الأخلاق التي تُؤهل الدعاة.

المبحث الرابع: تعريف بنماذج لأهم أخلاق الدعاة.

الخلق الأول: الصبر.

الخلق الثاني: الرحمة.

الخلق الثالث: الصدق.

الخلق الرابع: الأمانة.

الخلق الخامس: الرفق.

الخلق السادس: الحلم.

الخلق السابع: الشجاعة.

الخلق الثامن: العفة.

تمهيد

إن الأخلاق والقيم لا بد أن تكون جزءاً من شخصية الداعية ليكون داعياً إلى دين اللّه بحق، فلا من تربية الدعاة إلى اللّه عليها، وأن يغرسوها في شخصيتهم وذلك لسببين:

الأول: ليكون الداعيةُ صالحاً في نفسه؛ فينجو من العذاب وينال الثواب من الله تعالى في الدنيا والأخرة.

الثاني: أن أفضل وأسهل طرق الدعوة إلى الله وأشدها تأثيراً هو الدعوة من خلال القدوة الحسنة التي يلتزم فيها الداعية أخلاقيات وقيم الإسلام العامة.

ويتضح ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول
مفهوم الأخلاق

⌑ أولاً: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً:

الأخلاق في اللغة: جمع خُلُق، والخُلُق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلِق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء. يقال: فلان خليق بكذا أي: قادر عليه وجدير به، والخلاق: النصيب لأنه قد قُدِّر لكل أحد نصيبه[١].

والخَليقة: الطبيعة، والخِلْقة (بالكسر) الفطرة، والخُلُق: السّجية، وفلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلفه[٢].

والأخلاق اصطلاحاً: «غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار»[٣].

وقيل: «مجموعة القواعد السلوكية التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه، يحتذيها الإنسان فكراً وسلوكا في مواجهة المشكلات الاجتماعية والمواقف الخلقية المختلفة بما يتفق وطبيعة الآداب والقيم الاجتماعية السائدة»[٤].

وقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في الإسلام بأنها عبارة عن: «مجموعة المبادىء والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره، على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه»[٥].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢١٤.

(٢) الصحاح ٤/ ١٤٧١.

(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي ص ٥.

(٤) دراسة لبعض المشكلات التي تعوق الوظيفة الخلقية للمدرسة الثانوية، عبدالودود مكروم، رسالة ماجستير ص٢٢.

(٥) التربية الأخلاقية الإسلامية، رسالة دكتوراة لمقداد يالجين ص ٧٥.

ثانياً: خصائص الأخلاق في الإسلام[١]:

للنظام الأخلاقي في الإسلام خصائص أهمها:

الأولى: الربانية من حيث المصدر والجزاء، فالمسلم يتعرف من الوحي -قرآن وسنة- على الخُلُق الحسن ليعمل به والخلق السيء لينتهي عنه، ويعلم أنه مثاب من الله على تخلقه بالخلق الحسن، وعدم تخلقه بالخلق السيء.

والثانية: مراعاة الطبيعة الإنسانية، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية.

الثالثة: الأخلاق والممارسة الإيمانية، فالأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريات مذهبية، ولا مصالح فردية، ولا عوامل بيئية تتبدل وتتلون تبعا لها، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها، فليست الأخلاق فضائل منفصلة، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة، عقيدته أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقاً في إيمانه، يقول الرسول ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن)**[٢].

فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قويّاً أثمر خُلُقاً قويّاً.

الرابعة: دوام الأخلاق وثباتها، فالأخلاق في الإسلام ليست لوناً من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوباً يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء، بل إنها ثوابت؛ شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تتغير بتغير الزمان.

---

(١) ينظر: بحث بعنوان: خصائص الأخلاق في الإسلام منشور على موقع د. علوي سقاف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] (٥٥٧٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة (٥٧).

المبحث الثاني
أهمية الأخلاق في حياة الدعاة

يمكن بيان أهمية حسن الخلق في حياة الدعاة من خلال النقاط التالية:

- **أولاً: حسن الخلق سمة الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-:**

قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومدح الله جميع المرسلين بحسن الخلق، فقد قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان:١٧] أي: «حَسَنُ الخلق»[(١)].

وكذلك أُمِر ﷺ بحسن الخلق قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال الشيخ السعدي: «هذه الآية الكريمة جامعة لمعاني حسن الخلق مع الناس، وما ينبغي للعبد سلوكه في معاملتهم ومعاشرتهم، فأمر تعالى بأخذ«العفو»: وهو ما سمحت به أنفسهم، وسهلت به أخلاقهم من الأعمال والأخلاق، بل يقبل ما سَهُلَ، ولا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، ولا ما لا يطيقونه، بل عليه أن يشكر من كل أحد ما قابله به من قولٍ وعملٍ وخلقٍ جميلٍ، وما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغض طرفه عن نقصهم، وعما أتوا به وعاملوه به من النقص، ولا يتكبر على صغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف، وما تقتضيه الحال الحاضرة، وبما تنشرح له صدورهم، ويوقر الكبير، ويحنو على الصغير، ويجامل النظير»[(٢)].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٨٣ وعزاه إلى مقاتل.

(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي ص ١٢١.

• **ثانياً: صلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه:**

إن الأخلاق لها تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، فسلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، «فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح، حتى لا تتحرك إلا على وفقها؛ لا محالة»[(١)].

فصلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع كما قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم؛ أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، فبدأ بالتزكية قبل التعليم في الوصفين.

وأكد الإسلام على صلاح النفوس، وبيَّن أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذل؛ كل ذلك ونحوه تبعٌ لتغيير ما بأنفسهم من معانٍ وصفاتٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

• **ثالثاً: جعل النبي ﷺ الغاية من بعثته الدعوة للأخلاق:**

وهذا الأمر كان دعوة إبراهيم عليه السلام لأهل مكة حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٧.

فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فاستجاب الله دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فبعث محمداً ﷺ، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ بقوله: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[١]، وفي رواية: **(صالح الأخلاق)**[٢].

«فالخُلق هو أبرز ما يراه الناسُ، ويُدركونه من سائر أعمال الإسلام؛ فالناس لا يرون عقيدةَ الشخص؛ لأن محلَّها القلبُ، كما لا يرون كلَّ عباداته، لكنهم يرَوْن أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها؛ لذا فإنهم سيُقيِّمون دِينَه بِناءً على تعامله، فيحكُمون على صحتِه من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، وقد حدَّثَنا التاريخ أن الشرق الأقصى -ممثَّلاً اليوم في إندونسيا والفلبين وماليزيا وغيرها- لم يعتنقْ أهلُها الإسلام بفصاحة الدعاة، ولا بسيف الغزاة، بل بأخلاقِ التجَّار وسلوكِهم، وذلك لما تعاملوا معهم بالصدق والأمانة والعدل والسماحة، وكذا الحال في وسط أفريقيا وغربها وجنوبها، وأصقاع شتى من الأرض.. وإن مما يؤسَفُ له اليوم أن الوسيلةَ التي جذبت كثيراً من الناس إلى الإسلام هي نفسها التي غدَت تصرِفُ الناس عنه؛ وذلك لمَّا فسَدت الأخلاق والسلوك، فرأى الناس تبايناً -بل تناقضاً- بين الادِّعاء والواقع»[٣].

وحسن الخلق يكون مع كل الناس صغيرهم وكبيرهم، قال النبي ﷺ: **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)**[٤].

---

(١) موطأ الإمام مالك ٢/ ٩٠٤(١٦٠٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٦٧٠ (٤٢٢١)، الأدب المفرد للبخاري ١/ ١٠٤(٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٨١ (٨٩٣٩) وعلق شعيب الأرناؤوط بقوله: صحيح وهذا إسناد قوي.

(٣) ينظر: الأخلاق أهميتها وفوائدها، مقال د. عبدالسلام حمود غالب منشور على شبكة الألوكة.

(٤) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب رحمة الصبيان (١٩١٩)، ومسند أحمد ٢/ ٢٠٧(٦٩٣٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح سنداً ومتناً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦٩).

• **رابعاً: الخُلُق عبادةٌ يؤجر عليها المسلم، ومجالٌ للتنافس بين العباد:**

فقد جعله النبيُّ ﷺ أساسَ الخيريَّة والتفاضل يوم القيامة، فقال: **(إن أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم مني في الآخرة مجلساً، أحاسنُكم أخلاقاً، وإن أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم مني في الآخرة أسوَؤُكم أخلاقاً، الثَّرثارون[١] المُتفَيْهِقون[٢] المُتشدِّقون[٣])**[٤].

وقال رسول الله ﷺ: **(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم)**[٥].

ولذا يقول العلماء: «اعلم أن الدّين كله خلقٌ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين»[٦].

وجعَل الله أجره ثقيلاً في الميزان، بل لا شيء أثقلُ منه وجعَل كذلك أجرَه كأجرِ العبادات، مِن صيام وقيام، فقال ﷺ: **(ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)**[٧].

(١) **الثرثارون:** هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق، والثرثرة: كثرة الكلام ينظر: النهاية ١/ ٢٠٩.

(٢) **المتفيهقون:** هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، ينظر: النهاية ٣/ ٤٨٢.

(٣) **المتشدقون:** المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: المستهزئ بالناس ينظر: النهاية ٢/ ٤٥٢.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٢٦٧ (١٧٧٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، والترمذي في الجامع كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٢٠١٨) وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) مسند أحمد ١٦/ ١١٤ (١٠١٠٦)، والترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داوود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٤٦٨٢).

(٦) بصائر ذوي التمييز للفيروزبادي ٢/ ٥٦٨، وهذا في مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٩٤.

(٧) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٣) واللفظ له، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق رقم (٤٧٩٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢ أخرجه الترمذي والبزار ورجاله ثقات، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٥٣٥ وسنده جيد.

بل بلَغ من تعظيم الشارع لحُسن الخُلق أنْ جعَله وسيلة من وسائل دخول الحنة؛ فقد سُئل ﷺ عن أكثرِ ما يُدخِل الناسَ الجنَّةَ؟ فقال: **(تقوى اللهِ وحُسن الخُلق)**[١].

وضمِن لصاحب الخُلق دخولَ الجنة، بل أعلى درجاتها، فقال: **(أنا زعيمٌ ببيت في ربَضِ**[٢] **لِمَن ترَك المِراءَ وإن كان محقّاً، وببيتٍ في وسَط الجنة لِمَن ترَك الكذبَ وإن كان مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنَّة لمن حسُن خلُقه)**[٣].

- **خامساً: حسن الخلق من أسبابِ المودة، وإنهاء العداوة:**

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال ﷺ: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)[٤].

والواقع يشهد بذلك، فكم من عداوةٍ انتهت لحُسن الخُلق «فالواجب على العاقل أن يتحبَّب إلى الناس بلزوم حُسن الخُلق، وتَرْكِ سوء الخُلق؛ لأن الخُلق الحسَن يُذيب الخطايا كما تذيب الشمسُ الجليد، وإن الخُلق السيِّئ لَيُفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسلَ»[٥].

وباختصار فإن حسن الخلق مفتاح الدعوة إلى الله، ورسالة الداعية هي حسن الخلق فمن خلاله تظهر الصورة الحقيقية للإسلام، وتصحح الصورة السلبية عن

(١) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق رقم (٢٠٠٤) قال الترمذي: صحيح غريب.

(٢) **ربض الجنة**: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن، ينظر: النهاية ٢/ ١٨٥.

(٣) سنن أبي داوود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (٤٨٠٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٥٥٢ (٢٧٣).

(٤) مسند البزار ١٥/ ١٧٧ (٨٥٤٤)، قال العراقي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار، ورجاله ثقات. ينظر: تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ١٥٧٧.

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٢.

الإسلام والمسلمين، وتجعل من حوله ينظرون إليه على أنه أنموذج مثالي يمكن أن يتأثروا به ويتخلقوا بأخلاقه.

- **سادساً: حسن الخلق من أسباب نجاح الدعوة:**

فقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. والصحابة لم ينفضوا عن رسول الله ﷺ بل كانوا معه ثابتين معاونين له في دعوته.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. فدفع السيئة بالحسنة من أعظم الأخلاق التي تقرب العلاقات بين الناس عامة وبين الداعية والناس خاصة.

وإذا رزق الداعية حسن الخلق حصل له التوفيق والقبول، وعمّ نفعه وأثرت دعوته، وبه ينال المنزلة العالية عند الله في الدار الآخرة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتاً»[(١)].

فحسن الخلق أساس النبوغ في العلم والدعوة، فعلى الداعية أن يكون طاهر النفس عن رذائل الأخلاق، ولو حصّل سيئ الأخلاق العلم، فإنه لن ينتفع به ولن ينفع به، فكأنه لم يحصله.

فعلى الداعية أن يلتزم حسن الخلق مع المدعوين عامةً -المسلمين وغير المسلمين-، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٢، ٢٣]، أي: «يعاشرون الناس بحسن الخلق فإن عاملهم أحد بالجفاء قابلوه بالوفاء ليحوزوا على البقاء بعد الفناء -أي في الجنة- أو العاقبة الحميدة»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٢٦.

(٢) روح المعاني ١٣/ ١٧٧ باختصار يسير.

المبحث الثالث
جوامع الأخلاق التي تُؤهل الدعاة(١)

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء؛ وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى؛ الذي هو: شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، وهو حقيقة الشجاعة، وهي: ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإسراف والبخل. وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس. ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة»(٢).

---

(١) لا يمكن هنا استيعاب الأخلاق ولكن سأشير إلى جماعها إجمالا من خلال كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. وغيره ويمكن في تفصيلها الرجوع إلى كتاب نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين فهو كتاب جامع وقيم، وكتاب الأخلاق الإسلامية لعبدالرحمن حبنكة الميداني، وموسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، مطبوع ومنشور على موقع الدرر السنية على الإنترنت.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٩٤.

ويقول ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحاديث الأخلاق تجتمع في أربعة أحاديث:

الأول: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**)(١).

الثاني: (**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**)(٢).

الثالث: (**لَا تَغْضَبْ**)(٣).

الرابع: (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)(٤)»(٥).

فهذه الأحاديث الأربعة -وكلها من أحاديث الأربعين للإمام النووي- جمعت الأخلاق والآداب، فمن وُفِّق لفهم هذه الأحاديث وتطبيقها فإنه يكون قد اجتمعت فيه أركان الأخلاق وأعمدته وهي الصمت، وترك مالا يعني، وترك الغضب، ومحبة الخير للآخرين.

وبعد التأمل -وبالإضافة إلى ما سبق- نجد أن من أهم الصفات وأجمعها، ولها تأثير كبير في الدعوة، ثلاثة صفات وهي **الصدق، والأمانة، والرحمة**.

فالصدق والأمانة: هما أول الأخلاق التي عُرف بها النبي ﷺ حتى اشتهر بها قبل البعثة وبعدها، ولُقِّبَ بالصادق الأمين، وهذا هو ما يميز صاحب الرسالة عن غيره، والفرق بين صاحب الدعوة ومدَّعيها، هي هذه الشهادة من الناس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١٧٣).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، والترمذي كتاب الزهد، باب١١ (٢٣١٧) وقال: حديث غريب، وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٦٦(٢٢٩) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٠٢٧ (٥٩١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان برقم (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه رقم (٤٥).

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٢٨٨.

فالصدق والأمانة هما البنية التحتية للتعريف بهذا الدين، فلا يمكن لداعيةٍ أن يفقد تلك الصفتين، لأن الداعية عندما يتحرك في طريق الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون أول صفاته هاتين

أما الرحمة فهي صفة هذه الرسالة كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فلا بد لمن يدعو إلى الله أن يكون رحيماً بالناس، ليستطيع أن يحمل تلك الرحمة للناس.

وبهذه الأخلاق وتوابعها يُؤهَّل الداعية، وينبغي أن تُغرس في قلبه وسلوكه، ويُذَكَّر بها دائماً، فهي أهم الدعائم والمقومات للنجاح وبالأخص من يعمل في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع

تعريف بنماذج لأهم أخلاق الدعاة

سنعرض بنوع من البسط بعض الأخلاق الأساسية للدعاة:

الخلق الأول: الصبر.

الخلق الثاني: الرحمة.

الخلق الثالث: الصدق.

الخلق الرابع: الأمانة.

الخلق الخامس: الرفق.

الخلق السادس: الحلم.

الخلق السابع: الشجاعة.

الخلق الثامن: العفة.

الخلق الأول

الصبر

حقيقة الصبر: خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[(١)]، وهذه القوة تمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق، والآلام[(٢)].

فإن القيام على الإيمان والعمل الصالح، وحراسة الحق والعدل، من أعسر ما يواجه الداعية، فلا بد من الصبر على النفس والغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على الباطل والشر، والصبر على طول طريق الدعوة، والصبر على جهل المدعوين، والصبر على العمل والأخذ بالأسباب وعدم استعجال النتائج.

والقيادة في الدنيا والدين لا تنال إلا بالصبر واليقين بالله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة ٢٤].

والعاقبة للمتقين الصابرين، **قال تعالى**: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود ٤٩].

وهي وصية الله للمرسلين، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف ٣٥] وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

ووصية الله للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

(١) ينظر: عدة الصابرين لابن القيم ص٢٩.

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية للميداني ٢/ ٣٠٥.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ٢٠٠].

قال ابن كثير: «أُمِروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم؛ وهو الإسلام، فلا يَدَعوه لسرّاء ولا لضرّاءَ ولا لشِدَّة ولا لرِخَاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم»(١).

فالصبر هو زاد الداعية في طريق دعوته إلى الله، فهو طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والابتلاء.. لا تصوره حقيقة الكلمات، إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشق طريق الدعوة.

«فالدعوة إلى الله سبيلها طويل تحف به المتاعب والآلام؛ لأن الدعاة إلى الله يطلبون من الناس أن يتركوا أهواءهم وشهواتهم التي لا يرضاها الله ﷻ، وينقادوا لأوامر الله، ويقفوا عند حدوده، ويعملوا بشرائعه التي شرع، فيتخذ أعداء الدعوة من هذه الدعوة عدوًّاً يحاربونه بكل سلاح، وأمام هذه القوة لا يجد الدعاة مفرّاً من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيف لا ينبو، ومطية لا تكبو، ونور لا يخبو.

والصبر يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق، فيدخل فيه **الحلم**: فإنه صبر عن دواعي الانتقام عند الغضب، **والأناة**: صبر عن إجابة دواعي العجلة، **والعفو والصفح**: صبر عن إجابة دواعي الانتقام، **والجود والكرم**: صبر عن إجابة دواعي الإمساك، **والكَيَس**: صبر عن إجابة دواعي الكسل والخمول، **والعدل**: صبر إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين، **وسعة الصدر**: صبر عن الضجر، **والكتمان وحفظ السر**: صبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره، **والشجاعة**: صبر عن إجابة دواعي الفرار، وهذا يدل على أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى، وأن الداعية لا يسعه أن يستغني عنه في جميع أحواله»(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٩٥.

(٢) مقومات الداعية الناجح د. سعيد القحطاني ص ١٨٢.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ ﴾ [العنكبوت ٦٩] «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين جاهدوا فيه، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل اللام في قوله: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾»[١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعجب الأشياء مجاهدة النفس، لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة.. فالحازم من تَعْلَم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه»[٢].

ويدخل في الصبر: مجاهدة النفس، وهي تشمل: مجاهدة النفس على الاجتهاد في الدعوة، ومجاهدة النفس في التزام شعائر الله والاعتزاز بها، ومجاهدة النفس في عدم الوقوع في الشهوات وما تهواه وتحبه؛ من الراحة والمعصية، خصوصاً في هذا الواقع المعاصر الذي يعج بالشهوات والملهيات.

وكذلك مجاهدة النفس بمقاومة الشبهات التي تطرأ على العقل والقلب، وطردها وإزالتها، خصوصا في هذا الزمن الذي تكاثرت فيه العقائد والأفكار المنحرفة.

وكذلك مجاهدة النفس على تبليغ دين الله تعالى، والإحسان والإتقان في ذلك، ليكون صورة مشرقة متميزة تُعْرَضُ للمسلم.

فإذا حقق الداعية هذه المرتبة من المجاهدة فسيعينه ذلك على النجاح في إيصال الحق للناس على يديه بإذن الله.

---

(١) أضواء البيان ٦/ ٢٤٨.

(٢) صيد الخاطر ص ٩١.

الخلق الثاني

الرحمة

الرحمة هي خُلُقُ هذا الدين، فلكل دين خلق، وخلق الإسلام الرحمة، وقد كتبها الله على نفسه، وتَسمى سبحانه بها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢].

فلا بد أن تنطلق أعمال الداعية من شعور غامر بالرحمة والشفقة على عباد الله تعالى، فالرحمة هي رسالة هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. قال ابن بطال: «فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخَلْقِ؛ فيدخل المؤمن والكافر والبهائم؛ المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدِّي بالضرب»[(١)].

وقد قال الله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وامتن الله على هذه الأمة بنبي الرحمة ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهذا رسول الله ﷺ من رحمته وشفقته على المدعوين يقول الله له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

والرحمة صفة مطلوبة في كل مؤمن وهي للدعاة ضرورة دعوية فضلاً عن

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٢١٩.

أنها واجب شرعي، ولذلك صح عن النبي ﷺ أنه قال: **(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)**(١)، وقال: **(الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)**(٢).

ويصف رسول الله ﷺ نفسه ورحمته بقوله: **(إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه)**(٣).

وعن قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه)**(٤).

إن الرحمة مظهر من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام، يقول أبو البقاء الكفوي: ولذا فإن «الرحمة: حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدءاً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان»(٥).

فلابد أن يكون الداعية رحيماً بالمدعوين؛ لأن حرصه عليهم ورأفته بهم ستكون سر إصراره في دعوته، واستمراره فيها، وتذكره أن هؤلاء عرضة لأن يكبهم الله على وجوههم في النار، فهو يرحمهم، ويسعى للحيلولة بينهم وبين ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **(يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)** إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ(١٢٨٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت(٩٢٣).

(٢) مسند أحمد١١/ ٣٣ (٦٤٩٤)، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وسنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٩٤٣)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته على أمته (٢٢٨٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (٧٠٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تخيف الصلاة لبكاء الصبي (٧٠٧).

(٥) الكليات ١/ ٧٤٢.

والرحمة تقتضي من الداعية ألا يخاطب الناس من منطلق الترفع والتعالي، بل يخاطبهم من واقع الحرص عليهم؛ لينجيهم من عذاب الله.

«والرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي، وقد أراد الإسلام أن يطبع الناس بها حتى تمتلئ قلوبهم خيراً وبراً، وتفيض على الدنيا رجاء وأملاً، إن طبيعة الإسلام سهلة سمحة رحيمة، وهو يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة، وأن ينشئهم على هذه الفضيلة؛ حتى ينعم الناس في ظلها الوارف، ويعيشوا في كنفها آمنين، وينزل عليهم سلام الله ورحمته وبركاته»[(١)].

الخلق الثالث

الصدق

الصدق علامة الإيمان، كما أن الكذب علامة النفاق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [محمد: ٢١].

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** حفظت من رسول الله ﷺ: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)**[(٢)].

---

(١) مقال بعنوان: الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، د. حمزة بن سليمان الطيار، وعزاه للشيخ سيد سابق ولم أقف عليه. ينظر موقع مجلة أخبار الثقافة الجزائرية ابريل ٢٠١١م.

(٢) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٦٠) (٢٠١٨) وقال الترمذي حسن صحيح.

وقال ﷺ: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[١].

وحقيقة الصدق أوسع من كونها الصدق في الحديث فقط، وإنما حقيقة الصدق شاملة لصدق النية والعزيمة، وصدق اللسان، وصدق الأعمال، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والله تعالى يختبر خلقه ليظهر منهم الصدق: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وصفة الصدق من صفات المسلم حتى يكون داعية، بكل ما تحمله هذه الصفة من معانٍ ودلالات، فهذا رسول الله شهد له قومه بالصدق، وأشهد قومه على ذلك يوم أَعْلَنَ في الدعوة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: (يا بني فهر يا بني عدي..) لبطون قريش حتى اجتمعوا،.. فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير[٢] عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: (فإني

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٦٨٠٥).

(٢) تُغير: الإغارة: إقدام على أخذ مال قهراً أو حربا، ينظر: مقاييس اللغة ٤/ ٤٠١.

نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[١].

وفي رواية: «أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط»[٢].

فالنبي ﷺ أُرسل من أجل الدعوة، وأول خطوة من خطوات الدعوة أن يثق الناس في صدق الداعي، فسأل النبي ﷺ قومه ليقروا بصدقه ويطمئنوا إليه، ويقيم عليهم الحجة.

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ للنجاشي ويقول: «حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه **وصدقه**، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه»[٣].

وجاء في قصة أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل أن هرقل سأل أبا سفيان عن الرسول: «قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب؟ فقال أبو سفيان: لا»[٤].

ومن هنا تبرز أهمية الصدق في حياة الدعاة فلا بد:

أولاً: أن يصدق الداعية مع الله بالإخلاص له بأن تكون الدعوة والجهاد لأجل الله عز وجل وابتغاء مرضاته، فلا تكون لأجل مال أو منصب أو جاه أو كسب شهرة أو تعصب لشيخ أو حزب أو طائفة، فقد ورد أن أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير حينما أقبل عليهما أسيد بن حضير قال: «هذا سيد قومه، وقد جاءك **فاصدق الله فيه**»[٥].

وثانياً: على الداعية أن يبادر إلى تصديق قوله وما يدعو إليه بفعله، وأن يجاهد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤](٤٧٧٠).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٠٠ ولم أقف على الحكم عليها.

(٣) مسند أحمد١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردته مختصراً.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (٧)، ومسلم، كتاب المغازي (الجهاد والسير)، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٦.

نفسه على الوفاء بواجبه تجاه دينه، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

«فصدق العهد يكون عند ذوي الهمم العلية، والأخلاق الزكية، لشدة ذكرهم له ومحافظتهم على الوفاء به»[(١)].

ومن الصدق في الدعوة أن يحذر الداعية من الكذب على الناس عامة، وعلى إخوانه المسلمين والدعاة المصلحين، ومن شر ذلك: إشاعة الأخبار قبل التحقق من صحتها، واستخدام الأساليب الملتوية والمراوغات، بحجة السياسة والمصلحة!!

الخلق الرابع
الأمانة

أمر الله تعالى بخلق الأمانة سواء كانت مع الله أو مع الخلق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، ومدح الله تعالى المؤمنين المفلحين بمراعاتها بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

ونهى الله تعالى عن خيانة الأمانة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ٩٣.

خان)[١]، وقال ﷺ: **(لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)**[٢].

ومن شدة أمر الأمانة أيضا قال ﷺ: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) فقال رجل: وما ضياعها؟ فقال ﷺ: **(إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)**[٣].

ومفهوم الأمانة شامل لــ «كل شيء يؤتمن الإنسان عليه، من أمر ونهي وشأن دين ودنيا، فالشرع كله أمانة»[٤].

فالإنسان مؤتمن على كل ما أعطاه الله من النعم، مؤتمن على نعمة البصر، والسمع، والشم، والعقل، والجوارح كلها، والصحة، والعلم، والزوجة، والأولاد، وقبل ذلك كله نعمة الإسلام. فسيحاسب الله العبد عليها يوم القيامة، فيجب على الإنسان أن لا يستخدمها إلا فيما يحبه الله ويرضاه، ولا يستعملها فيما يبغضه الله لكي لا يكون غاشاً لرعيته، ويستخدمها فيما وضعت له.

والأمانة صفة الدعاة إلى الله، وصفة الأنبياء والمرسلين، فقد وصف الله جبريل عليه السلام وامتدحه بصفة الأمانة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩- ٢١].

وكان كل نبي يعرف نفسه لقومه بقوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]، وقد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق (٥٩).

(٢) مسند أحمد ١٩/ ٣٧٦ (١٢٤٠٦) قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن وإسناده رجاله ثقات رجال الشيخين، وصحيح ابن حبان ١/ ٤٢٢ (١٩٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثة فأتم الحديث ثم أجاب ١/ ٣٣ (٥٩).

(٤) المحرر الوجيز ١٢/ ١٢٦.

ورد هذا الوصف لنوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة السلام.

وجاء في وصف يوسف عليه السلام، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

وهذا موسى عليه السلام تصفه ابنة الرجل الصالح بقولها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ووصفه الله كذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧، ١٨].

وكان من صفات النبي ﷺ الصدق والأمانة، ثم لما بعث ظل الكفار يضعون عنده أماناتهم، حتى إنه ترك على بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة عند هجرته إلى المدينة لإرجاع الأمانات إلى أصحابها(١).

والمهمات الصعبة لا يقوم بها إلا من اتصف بالأمانة، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

فالدعوة إلى الله لا يقوم بها إلا من تخلق بخلق الأمانة فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس، وهذا أدعى لقبول دعوته.

وأهم مظاهر الأمانة في الدعوة إلى الله: تبليغ دين الله كاملا من غير نقص ولا إفراط ولا تفريط ولا تحريف أو تحوير.. بأدائه كما أُنزل، مستناً بسنة رسول الله والصحابة من بعده ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام في حادثة الهجرة ٢/ ٤٨٢.

الخلق الخامس

الرفق

الرفق هو: لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف[(١)].

وقد حث الإسلام على الرفق حثاً عظيماً؛ لما فيه من الفوائد والمنافع على الفرد والأمة والدعوة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النّبيّ ﷺ أنه قال: **(إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلّا زانه، ولا ينزع من شيء إلّا شانه)**[(٢)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: سمعت من رسول اللّه ﷺ يقول في بيتي هذا: **(اللّهمّ من ولي من أمر أمّتي شيئا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)**[(٣)].

وعن أبي الدّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النّبيّ ﷺ **قال**: **(من أُعطِيَ حظّه من الرّفق فقد أُعْطِيَ حظّه من الخير، ومن حُرِمَ حظّه من الرّفق حُرِمَ حظّه من الخير)**[(٤)].

والرفيق اسم من أسماء الله تعالى، وهو سبحانه يحب الرفق في كل شيء، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ)[(٥)].

وقد أوصى رسول الله ﷺ بالرفق حتى بالحيوان، فقال: (إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٢/ ٤١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١٨٢٨).

(٤) الأدب المفرد برقم (٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، وجامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق (٢٠١٣) وقال حديث حسن صحيح.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٦٠٢٤) ومسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٢١٦٥).

الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا[(١)])[(٢)].

فالرفق خلق مهم لا يستغني عنه الداعية، فقد حث الله ﷻ موسى وهارون باستخدامه في دعوة فرعون قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، فأمرهم باستخدام أسلوب الرقة واللين مع فرعون -رغم أنه ادعى الألوهية من دون الله- عسى أن يؤثر فيه.

والمطلع على أساليب الأنبياء في محاورتهم قومهم، يجد أن دعوتهم قائمةٌ على الرفق معهم، وأعظم قدوة لنا في هذا الموضوع حبيبنا ورسولنا ﷺ، فهو قدوة الدعاة إلى الله تعالى، فها هو يعرض عليه مَلَك الجبال أن يطبق على أهل مكة أخشبيها بعد ما رجع من الطائف حَزيناً لِمَا لَقِيَ منهم فيقول: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)[(٣)].

فالداعية هو مربي المجتمع، ويقوم بدور الطبيب ودور الأب في الأسرة، وهو محل نظر الناس؛ فيجب أن تكون علاقته بالناس طيبة، ويكون صدره رحباً واسعاً، فيستطيع استيعاب كل السلوكيات المختلفة، فيحسن إلى المحسن ويصبر على المسيء، ويستخدم أسلوب الرفق مع الجميع، وهذا هو سر النجاح، فتكون الخطوط بينه وبين الجميع مفتوحة يستطيع أن يوصل رسالته، فإن كانت هناك حواجز اجتهد في إزالتها.

---

(١) **النقي**: الشحم، والمعنى أن ينجوا عليها وهي في عافيتها؛ حتى يحصل في بلد الخصب، ينظر: اللسان ١٥/ ٣٣٨.

(٢) موطأ مالك، كتاب الاستئذان، باب ما يؤمر به من العمل في السفر برقم (١٧٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٥).

يقول الإمام الغزَّالي: «اعلم أنَّ الرّفق محمود ويضادُّه العنف والحدَّة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرِّفق واللِّين نتيجة حسن الخلق والسَّلامة، وقد يكون سبب الحدَّة الغضب، وقد يكون سببها شدَّة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التّفكّر ويمنع من التّثبّت، فالرّفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلَّا حسن الخلق، ولا يحسِّن الخلق إلَّا بضبط قوَّة الغضب، وقوَّة الشَّهوة وحفظهما على حدِّ الاعتدال. ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرِّفق، وبالغ فيه، لأنه لما كانت الطِّباع إلى العنف والحدَّة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرِّفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشَّرع على جانب الرِّفق دون العنف، قال سفيان الثَّوريّ لأصحابه: تدرون ما الرِّفق؟ قالوا: قل يا أبا محمّد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشِّدَّة في موضعها، واللِّين في موضعه، والسَّيف في موضعه، والسّوط في موضعه»[١].

وأخيراً فالرفق سبب لنجاح الداعية وتقبله، وطريق موصِّل لرضا الله وجنته، يثمر محبَّة الله ومحبَّة النَّاس، وينمِّي روح المحبَّة والتَّعاون بين النَّاس.

الخلق السادس

الحلم

الحلم ضبط النفس، وكظم الغيظ، والبعد عن الغضب، ومقابلة السيئة بالحسنة. وهو لا يعني أن يرضي الإنسان بالذل أو يقبل الهوان، وإنما هو الترفع عن شتم الناس، وتنزيه النفس عن سبهم وعيبهم.

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٤.

وهو حالة متوسط بين رذيلتين هما الغضب والبلادة، ولذا نجد الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قُرن فيها ذكر الحلم بالعلم كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢] فهو حلمٌ عن علم وليس عن ضعف أو جهل، فإن «الحلم لا يكون إلا بعد العلم، ورسوخ العلم سبب لوجود الحلم»(١).

ومن مظاهر الحلم المغفرة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، أي: «لا يعاجلهم بالأخذ. والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى»(٢). فقرن الله بين المغفرة والحلم في وصف لنفسه.

ويقرن سبحانه بين الشكر والحلم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]. «فصفة الشكر تناسب مضاعفة الأجور، وذِكر الحِلم مناسب لذِكر المغفرة»(٣).

وهذا يدل على أن خلق الحلم ليس عن ضعف وعدم قدرة على الغضب والانتقام، فالله تعالى يقول في وصفه لنفسه: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] «أي: لا يعاجل من عصاه، بل يرزقه وينصره، وهو يعصيه ويكفره»(٤).

والحلم من أخلاق النبوة والرسالة، فهذا نوح عليه السلام كان حليما على قومه، رغم أذيتهم له وسخريتهم به، وذلك حينما رموه بالضلالة كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فما رد عليهم ولا سفههم بل اكتفى بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) [الاعراف: ٦٠، ٦١].

ويقول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال:

(١) نظم الدرر ٦/ ٣٢٦.
(٢) نظم الدرر ٦/ ٣٢٦.
(٣) البحر المحيط ١٠/ ١٩٣.
(٤) نظم الدرر ١/ ٥١٧.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]، حليم على من آذاه. ولقد آذاه أبوه وقومه فكان حليماً معهم.

ولقد بعث الله له من ذريته غلاماً حليماً ونبيًّا كريماً؛ إنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١]. «أي متسع الصدر حسن الصبر والإغضاء في كل أمر، والحلم رأس الصلاح وأصل الفضائل»[١].

وشهد قوم شعيب عليه الصلاة والسلام له بالحلم، بقولهم: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

وقد وجه الله تعالى نبيه ﷺ إلى هذا الخلق العظيم بقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

ومدح النبي ﷺ خلق الحلم وبيَّن أنه من الخصال التي يحبها الله عَزَّ وَجَلَّ، قال ﷺ لأشج عبدالقيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)[٢].

ورغبنا ﷺ في الحلم بقوله: (من كظَم غيظاً وهو قادر على أن يُنفذه، دعاه الله عَزَّ وَجَلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة؛ حتى يُخيِّرَ من الحور العين ما شاء)[٣].

وقد بلغ النبي ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله تعالى الغاية المثالية، ومن

---

(١) محاسن التأويل ٨/ ٢١٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١٧).

(٣) مسند أحمد ٢٤/ ٣٩٨ (١٥٦٣٧)، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب (٤١٨٦)، سنن أبي داوود كتاب الأدب، باب من كظم غيظا (٤٧٧٩)، جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ (٢٠٢١) وقال: حسن غريب.

ذلك ما حدَث حينما كُسِرت رَباعيَتُه وشُجَّ وجْهُه ﷺ يوم أُحد، وقد شقَّ ذلك على أصحابه كما يروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادعُ على المشركين، قال ﷺ: **(إني لم أُبعَث لعَّاناً؛ وإنما بُعثت رحمة)**[١].

ومن هذا وغيره من الأدلة والشواهد يتبين أن الحلم من أخلاق الداعية الناجح، وهو دليل على قوة إرادة صاحبه، وتحكمه في انفعالاته، وهو وسيلة لكسب المدعوين والتغلب عليهم وتحويلهم إلى أصدقاء، ونيل محبة الناس واحترامهم.

فالحلم سلاح الداعية الذي يقابل به سفه المعرضين وأذاهم، فلا يستفزه ذلك؛ بل ينفي ما يوجه إليه بالحجة والبرهان، ويحصر جداله مع من يخالفه في موضوع الدعوة، فالداعية لا ينتصر لنفسه ولا يغضب لها، بل يحلم ويصبر، وهذا واضح وجلي من مواقف الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

فلا بد للداعية أن يربي نفسه ويجاهدها على هذا الخلق، وقد يحتاج لتكلف النفس إياه، ويساعده على ذلك تذكر ثواب الحلم وفوائده، وعقوبة السفه والغضب، ومصاحبة الحلماء ومراجعة سيرهم.

الخلق السابع

الشجاعة

تعرف الشّجاعة بأنها: «الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، مع الاستهانة بالموت»[٢].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٥٩٩).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٢٧.

وقيل: «هي بذل النَّفس للذَّود عن الدِّين أو الحريم أو عن الجار المضطهد أو عن المستجير المظلوم، وعمَّن هضم ظلماً في المال والعرض، وسائر سبل الحقِّ سواء»[(١)].

والنبي ﷺ ربى أصحابه وأمته على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، ومنها الشجاعة والتضحية وعدم الخوف من قول كلمة الحق، فقال رسول الله ﷺ: **(ألا لا تمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه)**[(٢)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو: نقول- بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[(٣)].

فالشجاعة في قول الحق دليل على رسوخ إيمان صاحبه وقوة شخصيته، فالمسلم الذي يحمل الحق يؤمن أن ما يحمله من الحق يجعله أقوى من الباطل وأعوانه، وبالتالي تتصاغر أمامه هيبة الباطل وأعوانه، ويعلو هو باعتزازه بإيمانه.

وهذه القيمة هي أم القيم، قال الأبشيهيّ: «اعلم أنَّ الشَّجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة، ويعبَّر عنها بالصَّبر وقوَّة النَّفس»[(٤)].

قال الطرطوشيّ: «واعلم أنَّ كلَّ كريهة ترفع، أو مكرمة تكتسب؛ لا تتحقَّق إلَّا بالشّجاعة، ألا ترى أنّك إذا هممت أن تمنح شيئاً من مالك خار طبعك، ووهن قلبك،

---

(١) مداواة النفوس لابن حزم ص٨٠.

(٢) جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة (٢١٩١)، وقال: وهذا حديث حسن، وسنن بن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب، كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٧٠٩).

(٤) المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي ١/ ٣١٠.

وعجزت نفسك فشحت به، وإذا حقّقت عزمك، وقوّيت نفسك، وقهرت ذلك العجز، أخرجت المال المضنون به، وعلى قدر قوّة القلب وضعفه تكون طيبة النّفس بإخراجه، أو كراهية النّفس لإخراجه مع إخراجه، وعلى هذا النّمط جميع الفضائل..

فبقوّة القلب يصاب امتثال الأوامر والانتهاء عن الزّواجر، وبقوّة القلب يصاب اكتساب الفضائل، وبقوّة القلب ينتهى عن اتّباع الهوى والرّذائل، وبقوّة القلب يصبر الجليس على إيذاء الجليس وجفاء الصّاحب، وبقوّة القلب يكتم الأسرار ويدفع العار، وبقوّة القلب يقتحم الأمور الصّعاب، وبقوّة القلب يتحمّل أثقال المكاره، وبقوّة القلب يصبر على أخلاق الرّجال، وبقوّة القلب تنفّذ كلّ عزيمة أوجبها الحزم والعدل.

وليس الصّبر والشّجاعة وقوّة النّفس أن تكون لجوجاً في الباطل، وجلداً عند الضّرب، صبوراً على التّعب، مصمّما على التّغرير والتّهوّر؛ ولكن أن تكون صبوراً على أداء الحقوق عليك، صبوراً على سماعها وإلقائها إليك، غالبا لهواك، مالكاً لشهواتك، ملتزماً للفضائل بجهدك، عاملاً في ذلك على الحقيقة الَّتي لا يحيلك عنها حياة ولا موت، حتَّى يكون عندك موتك على الخير الَّذي أشار به العلم وأوجبه العدل، خيراً من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل»[(١)].

ولذا فلن يستطيع الداعية أن يقدم على قول كلمة الحق، ونشرها بين الناس وإقامة دينه، والاعتزاز به والثبات عليه؛ إلا إذا تميز بالشجاعة، وأن لا يخشى في الله لومة لائم مهما واجهته الأخطار، فكل شيء يزول ويمكن أن يتنازل عنه إلا الدين، خصوصاً في مثل تلك البيئات التي تعج بالشهوات والشبهات التي تحتاج من المسلم الثبات على الحق، وأن يقول «لا» بكل قوة في وجه كل من يريد أن يقف في طريق ثباته على الدين.

---

(١) سراج الملوك للطّرطوشي ٢/ ٦٦٨- ٦٧٠ بتصرف يسير.

نعم. لا بد أن يكون الداعية شجاعاً في قول الحق، قوي القلب ولا يخاف من النظرات والعقوبات في سبيل المحافظة على دينه، فالثبات على المبادئ والقيم من أهم الأمور التي تجعل من المسلم الداعية شخصاً شجاعاً في حياته لا جباناً.

الخلق الثامن

العفة

«**العفة**: حصول حالة للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشَّهوة، والمتعفِّف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر»[(١)].

وقيل: «العفّة هي ضبط النّفس عن الملاذّ الحيوانيّة، وهي حالة متوسّطة من إفراطٍ هو الشّره، وتفريطٍ وهو جمود الشّهوة»[(٢)].

فالداعية يعيش في واقع لا يخلو من الفتن والرذائل، وتكثر فيه دواعي الانحراف، وتتوفر وسائلها؛ ولا عصمة له إلا بالاستعفاف عن مواقعة الحرام، والاستعلاء عن مقارفة الفواحش، والاستعصاء عن الرغبات الجَامِحَةِ والإرادات المهلكة، ومجاهدة النفس وصونها عن الأقذار، وكَبْتها عمَّا لا يَحِلّ.

«فالعفة تُحفظ بها الأعراض في الدّنيا، وتَجلبُ اللذّة والنّعيم في الآخرة. وهي ركنٌ من أركان المروءة الّتي ينال بها الحمد والشّرف، وهي نظافة للفرد والمجتمع من المفاسد والمآثم، وهي دليلُ كمال النّفس وعزّها. صاحبها مستريح النّفس مطمئنّ البال. وهي دليل وفرة العقل، ونزاهة النّفس»[(٣)].

---

(١) المفردات للراغب (٣٣٩)

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (٣١٥).

(٣) ينظر: نضرة النعيم ٧/ ٢٨٨٨ باختصار.

ومتى استسلم الداعية لنوازع الشهوة والغريزة واللذة المحرمة؛ فقد تردَّى في مستنقع البؤس والخيبة، وخَرَّ في دركات الضياع والقلق والتوتر والحيرة، وهوي في حَضِيض الانحلال والاضطراب والشقاء، وكان أنموذجاً سيئاً مشوِّهاً للإسلام والمسلمين، يُفْتَن به الكفار عن الدخول في الإسلام.

ولكي يكون الداعية قادراً على الدعوة إلى الله فعليه أن يكون عفيفاً في جانبين:

الأول: العفة بالابتعاد عن الفواحش:

قال تعالى في وصف المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧]. «ومن تمام حفظها: تجنُّب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما»(١).

فهذه الآية تعني طهارة الفرد والمجتمع، فالإسلام يريد فرداً ومجتمعاً طاهراً نظيفاً صريحاً، تلبى فيه كل دوافع الفطرة، بغير فوضى ترفع الحياء الجميل، والصراحة النظيفة.

والداعية في أشد الحاجة إلى هذا الأمر في ظل زمن ظهرت فيه الفواحش والإغراءات وتيسرت سبلها، فهو يحتاج لهذا الخُلُق حفظاً لدينه ودنياه، وليستطيع القيام بالدعوة إلى الله، فالذي يقع في الفواحش ذليلاً لشهوته، لن تقوم له قائمةٌ ولن يُحصِّل التوفيق الذي يرجوه.

وليعلم الداعية أن العفة عن الفواحش من أسباب التمكين، فهذا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تتوفر له جميع سبل الفاحشة ولكنه يقول: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٤٨.

﴿تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، فابتلي بالسجن كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥]، ولكنه خرج عزيز مصر.

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للنجاشي ومما ذكر من صفاته العفاف، فقال: «حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته **وعفافه**»[١].

فالتزام الداعية بالعفة يكون سبباً لتمكين دين الله سبحانه في الأرض وتمكين أولياءه، وهذا واجبٌ ثقيلٌ وخُلق قويمٌ يحتاج الكثير من مجاهدة النفس والصبر مع الاستعانة بالله.

الثاني: العفة والقناعة عما في أيدي الناس:

إن الناظر إلى قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن يجد أنهم في دعوتهم دائماً ما يقرنون ذلك بقولهم: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الأنعام: ٩٠] وقولهم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] وقولهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ [هود: ٥١] وقولهم: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] وقولهم: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩] وهذه العبارة تكررت منهم في سورة الشعراء على لسان خمسة أنبياء، وهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب على الترتيب والتوالي.

وبهذا يتبين أن الأنبياء والرسل كان كسبهم من عمل أيديهم، وهو مصدر قوة لهم في دعوتهم، فقد رأى منهم المدعوين المستجيبين والمعاندين أنهم لا يطلبون المال، بل هم ينفقون على الدعوة من كسبهم الخاص، ولا يريدون من دعوة الناس أيَّ منفعة.

---

(١) مسند أحمد ١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

قال رسول الله ﷺ: **(من تكفل لي أن لا يسأل أحداً شيئاً أتكفل له الجنة)**»[١].

ومما يعين على ذلك أمران:

١- الكسب من عمل اليد:

خاصة عند الحاجة، وعند عدم وجود مبالغ يتقاضاها لتفرغه من جهة عامة أو متخصصة، لقوله ﷺ: **(ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)**[٢].

٢- القناعة والزهد في الدنيا:

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال: **(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)**[٣].

«فيقنع من القوت بما تيسر، ومن اللباس بما يستر، فالصبر على ضيق العيش ينال به سعة العلم، ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال، فتفجر فيه ينابيع الحكم»[٤].

قال الحسن البصري رحمه الله: «لا تزال كريما على الناس، ولا يزال الناس يكرمونك؛ ما لم تتعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك»[٥].

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة (١٦٤٣) وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٢/٨ إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبو داوود (١٤٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده، رقم (٢٠٧٠).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا (٤١٠٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤٤).

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص٧٠.

(٥) الزهد للإمام أحمد ص ٣٢٤.

وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يُقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عما يكون منهم»[(١)].

والخلاصة: أن الداعية يعيش في واقع معاصر مادي، ينظر للناس بهذه المادة، فكل واحد منهم يطمع في الآخر، فإذا وطَّن الداعية نفسه على أن لا يسأل أحداً؛ كان هذا مصدر قوة، يجعله يُقْدِم بعزة نفس وقوةٍ في الحق.

(١) حلية الأولياء ٣/ ٥ بنحوه.

الفصل الرابع

قيم الدعاة

وهو عبارة عن:

تمهيد: مفهوم القيم وأهميتها.

وأهم القيم التي يحتاجها الداعية عشرة، وهي:

القيمة الأولى: العزة.

القيمة الثانية: الثبات.

القيمة الثالثة: التضحية.

القيمة الرابعة: المسؤولية.

القيمة الخامسة: الإيجابية.

القيمة السادسة: الاتقان.

القيمة السابعة: علو الهمة.

القيمة الثامنة: الورع.

القيمة التاسعة: النظافة وحسن المظهر.

القيمة العاشرة: الاهتمام بأمور المسلمين.

تمهيد:
مفهوم القيم وأهميتها

أولاً: المعنى اللغوي للقيم:

القيمة: واحدة القيم، وجاءت في اللغة على عدة معان:

١- **ثمن الشيء بالتقويم، وقومت السلعة تقويما**: أي ثمنتها وقدرتها.

٢- **العدل**: استقام المرء: اعتدل، وقومته: عدلته فهو قويم. كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [التوبة: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

٣- **والقُوام بضم القاف**: ما يعاش به ويقوم بحاجاته الضرورية، والقِوام بكسر القاف: نظام الأمر وعماده ومالكه الذي يقوم به[١].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للقيم:

ذكر الباحثون تعريفات متعددة للقيم منطلقة من رؤى مختلفة الزوايا لمفهوم القيمة، وتبعا لمجالاتهم المعرفية وتخصصاتهم العلمية، ومن هذه التعريفات:

القيم: «مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي، بطريقة مباشرة وغير مباشرة»[٢].

---

(١) ينظر: تاج العروس من، باب الميم ١/ ٦٣ والمعجم الوسيط ٢/ ٧٦٧.

(٢) القيم الإسلامية والتربية د. علي خليل مصطفى ص ٦٢.

وقيل: «هي الفضائل الدِّينيَّة والخُلقيَّة والاجتماعيَّة التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني»[(١)]. وهذا تعريف القيم بشكل عام.

أما تعريف القيم الإسلامية، فلها عدت تعريفات منها:

«حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محدداً المرغوب فيه، والمرغوب عنه من السلوك»[(٢)].

كما عُرفت بأنها: «مجموعة المبادئ والقواعد والمثل التي نزل بها الوحي، ويؤمن بها الإنسان، ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله ﷻ»[(٣)].

وفي الإسلام مجموعة كبيرة من القيم تختلف باختلاف الاتجاهات والتخصصات، فهناك قيم دينية، وقيم اجتماعية، وقيم اقتصادية، وقيم سياسية.. وهناك قيم خاصة بالأطباء وقيم خاصة بالمعلمين وقيم خاصة بالإعلاميين...إلخ.

ولذا فلا بد من بيان **مفهوم القيم الدعوية** الذي يمكن من خلاله تحديد مجموعة من القيم التي لا بد أن يلتزمها الداعي إلى الله.

فقد عُرِّفت القيم الدعوية بأنها: «مجموعة المبادئ والقواعد والمثل التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي يعتقدها الداعية ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات، ويحقق بها رسالته كداعية مسلم»[(٤)].

---

(١) معجم اللغة العربية العاصرة ٢/ ١٨٧٨.

(٢) الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، السيد الشحات ص٤٣.

(٣) القيم السلوكية، د. محمود عطا حسين ص ٣٣.

(٤) ينظر: بحث بعنوان: القيم الدعوية في السنة النبوية دراسة حديث: **(يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا)** د. هند بنت مصطفى شريفي- بحث محكم في جامعة طيبة. ص١١.

ثالثاً: أهمية غرس القيم لدى الدعاة:

إن تحديد الهدف من الدعوة وتحديد قِيَمِه يمكن من خلاله تقييم سلوك الداعية، وتحديد ما هو مرغوب أو غير مرغوب منها، خصوصاً وأن الداعية يقوم بنقل رسالة الإسلام والتعريف به.

ولكي نُكسب الداعية السلوكيات الحسنة ونُبعده عن السلوكيات السيئة «فإنه ينبغي أن: نعزز لديه منظومة القيم الفاعلة والصحيحة، المبنية على **القناعة والقدرة والإرادة**، ونعمل بذلك على تحديد مسارات الفرد واتجاهاته في مواقف الحياة المختلفة، فيسلكها عندما يواجهه الموقف أو المشكلة وفقا لما لديه من تصورات وقيم»[(١)].

فالقيم تشكل إطاراً مرجعيَّاً يحكم تصرفات الداعية ويضبط سلوكه ويوجهه، وهي تنتظم مع بعضها لتحقيق أهدافه، فتزوده بالطاقات، وتمكنه من التفاعل الإيجابي مع المواقف التي ستمر به، فالثبات والمبادرة وعلو الهمة قيمٌ إذا تبناها الداعية جنباً إلى جنب، وواجهته مشكلة تحول دون وصوله إلى هدفه، فإن هذه القيم ستدفعه بقوة لمواجهة هذه العوائق بعيداً عن العجز والاستسلام.

إنَّ «القيم هي الشرط المسبق الذي يحدد سلوك الذات الإنسانية، وينظم مقومات الفعل الإنساني، وهي العلة الكامنة وراء كل سلوك هادف»[(٢)].

ومن جانب آخر: فإن الداعية أثناء مواجهته للمواقف الدعوية ومخالطته للمدعوين؛ لا يسلك سلوكا عشوائيا، وإنما يسلك سلوكاً واعياً يسعى به إلى تحقيق هدف معين، وهنا يأتي دور قيمة البصيرة المنطلقة من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فتجعل الداعية يسير بمراحل وتعقلٍ، وتعطيه

(١) تعلم القيم وتعليمها، د. ماجد زكي ص ٢٤.
(٢) القيم في الفكر الغربي، د. عبدالودود مكرم ص ٢٤.

الطاقة التي تجعله يبذل الجهد لإتقان العمل وتجويده، بعيداً عن التسرع والعشوائية والحماسة غير المنضبطة وحرق المراحل وعدم الاتقان في العمل.

إن معرفة الداعية بقيمة دوره ورسالته سيجعله قادرا على تحقيق أهداف دعوته، وهي: «إخراج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومنْ ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جور الأدْيَان إلى عدل الإسلام»[1].

ويمكن عرض أبرز القيم التي يحتاجها الداعية ويتفرع عنها غيرها من خلال المطالب العشرة التالية:

القيمة الأولى

العزة

يمكن بيان قيمة العزة في النقاط التالية[2]:

أولاً: مفهوم العزة:

العزُّ خلاف الذُّل، وهو القوَّة والشِّدَّة والغلبة، يقال: عزَّ، يعزُّ إذا اشتدَّ، ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر، وعَزّ يَعِزُّ بالكسر عِزاً وعزّةً وعزازةٍ وهو عزيز: قلّ حتّى لا يوجد.

(١) ينظر القصة بطولها في: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩ حوادث سنة خمسة عشر.

(٢) ينظر رسالة ماجستير بعنوان: العزة في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة موضوعية، لوائل بن محمد علي جابر، في جامعة أمر القرى، وكتاب العزة مصادرها أسبابها مواقف وأحداث للشيخ محمد الهبدان.

ففي اللغة تدور حول معاني: الغلبة والقهر والشدة والقوة ونفاسة الشيء وعلو قدره[١].

وفي الاصطلاح: حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلَب[٢].

قال الغزالي: من رزقه الله القناعة حتى استغنى بها عن خلقه، وأمده بالقوة، والتأييد حتى استولى بها على صفات نفسه فقد اعزه الله في الدنيا وسيعزه في الآخرة بالتقريب إليه[٣].

وهي: ارتباطٌ بالله وارتفاعٌ بالنفس عن مواضع المهانة والتحرر من رِقِّ الأهواء ومن ذُلِّ الطمع وعدم السير إلا وفق ما شرع الله ورسوله ﷺ[٤].

فقيمة العزة تعني: شعور الداعية أنه صاحب حقٍّ، وأنّ دينه هو الدين الحقُّ الذي لابد أن يسود وينتشر، وأنَّ الداعية صاحب حق وكرامة لابد أن تُحفظ، وألا يُتعدى عليها. ومن هذه الحقوق أن يبلغ دين الله وأن يستمع الناس له، وأن يسعى لنيل حقوقه هذه دون تهاون أو مهادنة، وألاَّ يتنازل عن شيء من دينه أو دعوته تحت ضغط أو إكراه[٥].

ثانياً: تنبيهات حول مفهوم العزة:

١- الإسلام هو مصدر العزة:

فكلما كان الارتباط بالإسلام علماً وعملاً ودعوة، وصبراً، حصلت العزة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٤/ ٣٨، ولسان العرب ٥/ ٣٧٤، والمفردات للراغب ص٣٣٢.

(٢) المفردات للراغب ص٣٣٣، وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٦١، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٢٤١.

(٣) المقصد الأسنى (٤٧).

(٤) العزة مصادرها، أسبابها، مواقف وأحداث للهبدان ص٥.

(٥) مقال بعنوان: العزة.. في حياة رسول الله، لسحر الشيمي، منشور على موقع نداء الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩]، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

ففي الآية: «التَّهييج على طلب العزَّة من جناب الله تعالى، والالتجاء إلى عبوديّته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الّذين لهم النّصرة في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد»[١]، «وعلى هذا فالعزّ كلّه لله، والعزّة الّتي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلّا إذا استظلّت بظلّ الله، واحتمت بحماه»[٢].

فقد جعل الله العزة صنو الإيمان في القلب، عزة مستمدة من الله تعالى، لا تهون ولا تهن، فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة.

ولذا قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[٣].

٢- العزة ليست بمعنى التكبر:

فالعزة ليست بمعنى التكبر على الناس والاستعلاء عليهم!! والنظر إليهم على أنهم لا يستحقون الاهتمام فضلاً عن الاحترام!! لقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣٥.

(٢) موسوعة له الأسماء الحسنى لأحمد الشرباصي ص٧٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ٦٢ (٢٠٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٦٣: صحيح موقوف.

٣- العزة من المؤمنين على الكافرين:

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة ٥٤]، «يتضمن الذل معنى الحنوّ والعطف كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع. وأنهم- مع شرفهم وعلوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين- خافضون لهم أجنحتهم»[١].

«الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات.. لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل. وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول»[٢].

فالذل للمؤمنين المقصود بها الطواعية واليسر واللين، فالمؤمن ذلول للمؤمن، غير عصي ولا صعب، هين لين، ميسر مستجيب، سمح ودود.

ثالثاً: تحذير الدعاة من صور غير شرعية من العزة:

- **الاعتزاز بالكفار** من يهود ونصارى ومنافقين وعلمانيين وحداثيين وغيرهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

- **الاعتزاز بالكثرة** سواء كان بالمال أو العدد، قال تعالى في قصة أصحاب الجنة ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: ٣٤] قال ابن كثير: «أي أكثر خدماً وحشماً وولداً، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر»[٣]، ومنه ما حصل في حنين، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ

(١) محاسن التأويل ٤/ ١٧٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ١٥٧، وقول قتادة أخرجه الطبري جامع البيان ١٨/ ٢٢.

كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

◆ **الاعتزاز بالجاه والمنصب**، قال تعالى عن سحرة فرعون ﴿ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤].

◆ **الاعتزاز عند النصح والإرشاد**، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

◆ **الاعتزاز بالأصنام والأوثان**، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ [مريم: ١٩، ٢٠].

◆ **الاعتزاز بجمال الثياب**، فقد قال رسول الله ﷺ: **(من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً)**[١].

◆ **الاعتزاز بالآباء والأجداد**، قال رسول الله ﷺ: **(إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب)**[٢]، وقال: **(اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)**[٣].

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٤٧٦ (٥٦٦٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، وابن ماجه في كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب (٣٦٠٧) وصححه الألباني.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في التفاخر بالأحساب (٥١١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت (٦٧).

رابعاً: من صور العزة في الدعوة إلى الله:

١- عدم الخوف إلا من الله تعالى في كل الأمور وفي تبليغ الدعوة خاصة:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

«فخوف الملامة ليس عذراً في ترك أمر شرعي، وهذا فيه وجوب التمسك بالحق وإن لامه لائم. وإنه مع تمسّكه به صيَّره محلَّة أعلى ممن تمسّك به من غير لوم؛ لأنه تعالى مدح من هذا حاله»[(١)].

٢- ليحذر الدعاة من الانبهار بغير المسلمين والركون إليهم، ابتغاء العزة:

فمن صفات المنافقين اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ابتغاء الغزة، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]، يقول الشيخ السعدي: «وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين؛ ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون، والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين»[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل ٤/ ١٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٢٠٩.

٣- عدم الجلوس مع من يخوض ويستهزؤون بالدين:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

«فمن خاض في آيات الله تُركت مجالسته، وهُجر؛ مؤمناً كان، أو كافراً»(١)، «وقال بعض المفسرين: وجوب الإعراض عن مجالس المستهزئين بآيات الله أو بحججه أو برسله، وأن لا يقعد معهم، لأن في القعود إظهار عدم الكراهة»(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء ١٤٠].

«لما كانت آية الأنعام مكية؛ اقتصر فيها على مجرد الإعراض، وقطع المجالسة؛ لعدم التمكن من الإنكار بغير القلب. وأما هذه الآية فمدنية، فالتغيير عند إنزالها باللسان واليد ممكن لكل مسلم، فالمجالس من غير نكير راض»(٣).

فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فله ثلاث حالات:

١- فإما أن يدفع الاستهزاء.

٢- وإما أن يقاطع المجلس وأهله.

٣- وإما أن يتغاضى ويسكت، وهذه أول مراحل الهزيمة، تعبر بصاحبها إلى النفاق.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٤١٩.
(٢) محاسن التأويل ٤/ ٣٩٣.
(٣) نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٣٣٧.

٤- على الدعاة أن يدركوا أنهم في علو فلا يهنوا ولا يحزنوا:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، «فإن الإيمان يوجب قوة القلب ومزيد الثقة بالله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه والإيمان بالله تعالى يقتضي العلو لا محالة»(١).

٥- عدم الركون للظالمين والمسارعة إليهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقال تعالى: تحذيرا ممن لا عزة لهم: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

٦- فوائد دعوية جامعة للعزة:

وأخيرا: «العزة هي التي تعود الداعية على المطالبة بحقوقه، وعدم التفريط فيها، وهي التي تهون عليه التضحية من أجل الدفاع عن دينه وأرضه، وتقديم فداءً للدين..

العزة هي التي تجعل نفس الداعية تأبى وجود المنكر فضلاً عن رؤيته دون إنكار عليه، ومحاولة تغييره وتجعل الداعية يرفض الخضوع للظلم الذي يريد أن يستبد ويفرض رأيه، ويسيِّر المجتمع كالقطيع من خلفه، ولا يخاف من أحدٍ ما دام لم يخطئ، وإن أخطأ فالعزة هي التي تدفعه للاعتراف بالخطأ مع الاستعداد لمواجهة نتائجه دون خوف ووجل»(٢).

---

(١) روح المعاني ٤/ ٦٧.

(٢) مقال بعنوان: العزة.. في حياة رسول الله، لسحر الشيمي، منشور على موقع نداء الإيمان.

القيمة الثانية

الثبات

◈ أولاً: مفهوم الثبات:

الثبات «هو عدم احتمال الزّوال بتشكيك المشكِّك، والثَّابت هو الموجود الَّذي لا يزول بتشكيك المشكِّك»[١].

أي: الاستمرار في طريق الهداية، والالتزام بمقتضيات هذا الطريق، والمداومة على الخير، والسعي الدائم للاستزادة، ومهما فتر المرء فهنالك مستوى معين لا يقبل التنازل عنه أو التقصير فيه، وإن زلت قدمه فلا يلبث أن يتوب، وربما كان بعد التوبة خيراً مما كان قبلها، ذلك هو حال المتصف بخلق الثبات[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] أي: «ثبتوا على الإقرار بقولهم ربنا الله ومقتضياته بأن لا تزل قدمهم عن طريق العبودية قلباً وقالباً ولا تتخطاه»[٣]. «ثبتوا فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل الأوامر وترك النواهي»[٤].

فالمقصود: أن يظل الداعية ثابتاً على دينه، مستمسكاً وعاملاً به واثقاً فيه مطمئناً إليه، وثابتاً كذلك في دعوته للناس، مجاهداً في ذلك، مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، وحامت حوله الشبهات والشهوات، وقلَّ النصير والمجيب.

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٢٦٤.

(٢) هذه أخلاقنا، محمود الخزندار، ص٣٠٩.

(٣) روح البيان ٨/ ٢٥٤.

(٤) أيسر التفاسير ٤/ ٥٧٥.

يَثْبُتُ حتى يلقى الله على ذلك، فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويكون من الطائفة المنصورة التي قال النبي ﷺ عنها: **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله سبحانه)**[(١)].

◈ ثانياً: أهمية قيمة الثبات:

الثبات يحتاجه الناس عموماً، ومن سلك سبيل النبيين في الدعوة والبلاغ خصوصاً، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]. **قال ابن كثير**: «يأمر تعالى رسوله والمؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر»[(٢)].

والله تعالى ينبه الناس عموماً والدعاة خصوصاً على قضية الثبات بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

وإذا كان النبي ﷺ يحتاج إلى التثبيت فما بالك بغيره، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، «في هذه الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقاً لربه أن يثبته على الإيمان، ساعياً في كل سبب موصل إلى ذلك؛ لأن النبي ﷺ -وهو أكمل الخلق- قال الله له: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ فكيف بغيره؟!»[(٣)].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

---

(١) صحيح مسلم الإمارة، باب قوله ﷺ: **(لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)** برقم (١٩٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٠٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٤.

«أي نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل من قبلك، وتعلم أن العاقبة لك، كما كانت لهم»[(١)].

وقال السعدي: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به»[(٢)]، فلقد كان يجد من قومه، ومن انحرافات النفوس، ومن أعباء الدعوة، ما يحتاج معه إلى التسلية والتسرية والتثبيت من ربه.

ومن أوضح الأدلة على أهمية الثبات قوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤]، فلم يقل فتزل قدم بعد تذبذبها، ولذا تجد كثيراً ما نجد الناس عموما والدعاة خصوصاً كانت لهم بدايات قوية، كانوا يتفجرون فيها حيوية، ويتدفقون حماساً في العمل الصالح والدعوة، فيبالغون في الحرص على دقائق السنن، ناهيك عن البعد عن دائرة الحرام والشبهات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم كلَّت النفوس، وفترت الهمم، واكتفى بعضهم بأن يكونوا من عامة الناس، وهذا أحسن حالاً ممن انقلبوا على أعقابهم؛ فغدوا يعادون الدعوة ويسخرون من أهلها، ويحذرون من سبيلها، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ في سجوده: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[(٣)].

◈ ثالثاً: مجالات الثبات في حياة الدعاة:

١- الثبات عند الشبهات والشهوات:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) محاسن التأويل ٦/ ١٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٢.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣٤)، جامع الترمذي، في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٢١٤٠) وقال الترمذي: وهذا حديث حسن.

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، «فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها»[١].

٢- الثبات في المعركة بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ومن الكبائر في الإسلام الفرار من الزحف؛ كما قال رسول الله ﷺ، **(اجتنبوا السبع الموبقات)**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **(الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)**[٢].

٣- الثبات على عهد الله بتبليغ الدين ونصرته:

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

«**فقوله:** ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته، ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤدياً لحقه، لم ينقصه شيئاً، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء يحبه ولما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٩).

يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد، ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال»[١].

٤- الثبات على الدين في أيام الفتن:

ومن مجالات الثبات، الثبات في الفتن في أيام الصبر التي وصفها رسول الله ﷺ: **(يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه، كالقابض على الجمر)**[٢].

٥- الثبات على الطاعات:

ومن أهم صور الثبات المداومة على الطاعات، فالمطلوب في بعضها المثابرة عليها، فحين سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **(أدومه وإن قلَّ)**[٣].

◈ رابعاً: وسائل الثبات في حياة الدعاة:

١- المداومة على قراءة القرآن من أسباب الثبات على دين الله:

فكثرة قراءة القرآن مما يعين على الثبات، لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

ففي القرآن الوعد والوعيد والبشرى والنذير، وفيها قصص وتجارب الأنبياء السابقين، الذين ثبتوا فكانت عاقبتهم الفلاح، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود١٢٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٠.

(٢) جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب٧٣، (٢٢٦٠). وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢).

٢- سؤال الله الثبات:

فالتثبيت من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ولذا كان من دعاء طالوت ومن ومعه من الثابتين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقال تعالى عن نبي من أنبياء بني اسرائيل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

ومن دعاءه ﷺ في سجوده: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[(١)].

٣- الصبر:

فقد ثبت الله نبيه ﷺ بأمره بالصبر مصحوباً بالتأكيد على وعد الله النافذ وعدم الركون إلى تثبيط الكفار: قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

وأمر الله نبيه ﷺ بالصبر اقتداء بالأنبياء قبله، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة، وأمره بالاتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد»[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٩١.

(٢) جامع البيان ٢٢/ ١٤٥.

٤- التوكل على الله والاعتماد عليه وإحسان الظن به وبنصره:

فقد تثبيت الله نبيه على الحق بأمره بالتوكل، فقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]. «أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. ﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الواضح، والذي على الحق -يدعو إليه ويقوم بنصرته- أحق من غيره بالتوكل؛ فإنه يسعى في أمر مجزوم به، معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية. وأيضا فهو حق في غاية البيان لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حُمِّلت، وتوكلت على الله في ذلك؛ فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هداهم»[(١)].

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل عليه واصفاً نفسه بـ(الحي الذي لا يموت) في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فكل من سوى الله تعالى -مهما عظمت منزلته وقوته- فمصيره الهلاك، والهالك لا يجلب نفعاً لأحد اعتمد عليه من دون الله.

٥- قوة الصلة بالله وطاعته والإكثار من ذكر الله:

فقد أرشد الله تعالى نبينا محمد ﷺ إلى كثرة العبادة والذكر؛ لكي يعينه ذلك على الثبات على الدعوة وتبليغها مهما واجهته من صعوبات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق:٤٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٠٦.

القيمة الثالثة

التضحية

أولاً: مفهوم التضحية وأهميتها:

والمقصود بقيمة التضحية: بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، وليس في الدنيا جهادٌ لا تضحية معه، ولن تضيع في سبيل الدعوة تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل و الثواب الجميل.

والدعوة تحتاج إلى تضحية، والفرق بين الداعية الصادق الحريص على دعوته وغيره هو: مدى تحقق قيمة التضحية من أجل دعوته في حياته.

فالدعوة تنجح إذا:

١- قوي الإيمان بها.

٢- وتوفر الإخلاص في سبيلها.

٣- وحصلت التضحية والعمل لتحقيقها.

فلا معنى لإيمانٍ لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدةٍ لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها، والأمة الناهضة ستواجه من مطالب العصر الجديد مالا تستطيع الوصول إليه إلا بالتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ بعد توفيق الله تعالى.

ولا تُنال المعالي بالأماني، ولا تقوم الدعوات إلا على ألوان البذل والتضحية بشتى صنوفها، وإذا عُرف أن ابتلاء الدعاة سنة ماضية تبين أن الدعوة الحقة لا تقوم بلا تضحية.

فالثغرات على الدعوة الإسلامية تتسع يوماً بعد يوم، وتكثر المجالات الشاغرة التي تفتقر إلى من يقوم بها، ويتزامن مع هذا قلة الموارد، وجفاف المنابع، وضيق ذات الدعاة مما يُخشى أن يشكل خطراً على بعض الدعاة وكثيراً من البرامج، وفي المقابل تزداد جهود أهل الباطل قوة، وتزداد مخططاتهم دقة، وتتعدد أنشطتهم لتشمل شتى الجوانب وهنا تظهر الحاجة للتضحية في سبيل الدعوة[(١)].

☜ ثانياً: شواهد التضحية والحض عليها:

١- التضحية في الدعوة هي التجارة الرابحة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

«لما هدى الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان، والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس، استنزلهم لفرط عنايته بهم، عن مقام محبة الأموال والأنفس، بالتجارة المربحة، والمعاملة المرغوبة، بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم، فعرض لهم خيراً مما أخذ منهم»[(٢)].

(١) ينظر: مقال بعنوان: حاجة الدعوة إلى البذل والتضحية، لعبد الحكيم بن محمد بلال، موقع صيد الفوائد.

(٢) محاسن التأويل ٥/ ٥٠٩.

«وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة فانظر إلى المشتري من هو؟! وهو الله جل جلاله. وإلى العِوَض؛ وهو أكبر الأعواض وأجلها: جنات النعيم. وإلى الثمن المبذول فيها؛ وهو النفس والمال الذي هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع؛ وهو أشرف الرسل. وبأيِّ كتاب رُقِمَ؟! وهي كتب الله الكبار المنزَلة على أفضل الخلق»[(١)].

٢- الوعيد لمن لم يضح في سبيل الله:

فالقرآن يبين الوعيد لمن آثر أهله، أو ماله، أو مسكنه على الدعوة إلى الله ورسوله والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

«وخص الجهاد بالذكر من عموم ما يحبه الله منهم تنويها بشأنه، ولأن ما فيه من الخطر على النفوس، ومن إنفاق الأموال ومفارقة الإلف، جعله أقوى مظنة للتقاعس عنه، لا سيما والسورة نزلت عقب غزوة تبوك التي تخلف عنها كثير من المنافقين وبعض المسلمين»[(٢)].

«إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين، وبين جميع مهمات الدنيا. وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا»[(٣)]، ومن أعظم المصالح الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده وشريعته.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥٣.
(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ١٥٣.
(٣) محاسن التأويل ٥/ ٣٦٧.

٣- تذكر تضحية رسول الله ﷺ وصحابته وثمرة تضحيتهم:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ففي الآية إشارة لما يلحق الدعاة في كل زمان ومكان، فما كان لداعية أن يرغب بنفسه عن مثل ما تعرضت له نفس رسول الله ﷺ في سبيل هذه الدعوة.

فقد كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير(١).

☜ ثالثاً: مجالات التضحية وصورها في الدعوة:

وعلى ذلك فمجالات تضحية الداعية كثيرة وواسعة، أهمها:

١- التضحية بالنفس وبذلها في سبيل الله إعلاء لكلمته، ودفاعاً عن شريعته، ورفعة لدينه ودعوته، سواء كان في ميدان البيان أو النزال ومقاومة الظلم والطغيان.

٢- التضحية بالمال: وبذله في سبيل الله، وهو اسم عام جامع لكل مجالات الخير.

٣- التضحية بالوقت: ببذله في الدعوة إلى الله تعالى، وتعليم المسلمين أمور دينهم، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخدمة المجتمع، والسعي في قضاء حوائج الناس، ونصرة المظلوم.

٤- التضحية بالجاه والمنصب: بتسخيرها في سبيل الدعوة إلى الله، أو تركها إذا تعارض ذلك مع الدعوة إلى الله ونشر دينه.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٦) وكرمه (١٨٠٣، ٣٠٤٨، ٣٣٦١، ٤٧١١)، ومسلم كتاب الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس (٢٣٠٨).

٥- **التضحية بالمغريات الدنيوية**، وترك الركون للدنيا والاقتصاد في متطلبات الحياة في سبيل الدعوة إلى نشر دينه.

٦- **التضحية بالراحة والنوم واللذة**، فيتعب ويسهر ويجهد نفسه في سبيل الله محتسباً.

٧- **الجود بالعلم**، ومنه تعليم الناس، وإجابة السائلين بما يشفيهم، وهي زكاة العلم.

٨- **التضحية بالجاه**، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه.

٩- **التضحية بنفع البدن على اختلاف أنواعه**، كخدمة بدنية، وكلمة طيبة، وفكرة نافعة.

١٠- **التضحية بالعِرض**، والتصدق بالعفو عمَّن شتم أو قذف أو اغتاب.

١١- **التضحية بالصبر والاحتمال وكظم الغيظ.**

١٢- **التضحية بترك ما في أيدي الناس، وعدم الالتفات إليه أو التعرض له بالحال أو اللسان.**

ويجمع ذلك كله الجود في سبيل الله بالنفس والمال والجاه وما يتبع ذلك علماً وعملاً.

☜ رابعاً: موانع التضحية:

إن لموانع التضحية أسباباً أساسها ضعف الإيمان، وبرود اليقين، ومردها إهمال التربية أو ضعفها، وإن كان كثير منها يعود إلى الشح بالمال، لكنها تحتمل وجوهاً أخرى إضافة إلى أسباب أخرى عامة، منها:

١ - طول الأمل.

٢ – التفات القلــب إلى الولد.

٣ – فتنة الأزواج.

٤ – الركون إلى الدنيا، وكونها الهمَّ والشغل الشاغل، وإيثار الدعة والراحة.

٥ – حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال.

٦ – حب عين المال، والسعي للغنى والهروب من الفقر بلا نية صالحة.

٧ – تزعزع القناعة، والثقة، وسلامة الطريق الذي يسير عليه.

٨ – انعدام الجدية، ودنو الهمة، والعجز والكسل.

٩ – الانشغال بالتضحية من أجل أهداف ومصالح شخصية.

١٠ – الوصــول إلى بعض الأهداف الدنيوية لنيل شهرة، أو تحصيل جاه أو شرف، أو منصب، يكون نهاية الجهد والعمل.

١١ – ضعف معرفة الواقع، وضخامة حاجة الدعوة، وجهود الأعداء، أو الجهل بذلك.

١٢ – الشعور بالأثرة، وحب النفس.

وعلاج ذلك كله ترك التعلق بغير الله ﷻ، مع حسن الثقة به والتوكل عليه.

☜ **خامساً: بواعث الجود والتضحية:**

يحصل بعث النفس على التضحية بأمور هي في حقيقتها علاج للعلل المانعة منها؛ وذلك بالأمور الآتية:

١ – دفــع كل علة من العلل السابقة بما يضاد سببها؛ فعلاج حب الشهوات: القناعة والصبر، وعــلاج طول الأمل: كثرة ذكر الموت، وعلاج التفات القلب إلى

الولد: اليقين بتكفل الله ﷻ برزقــه ورعايته، وعلاج حب المال: تعميق محبة الله في القلب، ومحاولة بذل القليل إضعافاً لمحبة المال.

٢ - معرفة حقيقة الابتلاء بالنعم، وأن لله تعالى في كل نعمة شكراً يليق بها؛ فالصحة لها شكر يناسبها، وكذا الوقت والجاه والقوة والذكاء والمال، وأن كلاً منها منحة وعطية ورعايــة مــن الله ﷻ لينظر الله أعمالنا، ويظهر الشاكر من الكفور.

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

٣ - تذكُّر: أن ما قدمه الإنسان فلنفسه، فهو المستفيد منه حقَّاً، أن مال الإنسان هو ما أنفقه في حياته، أما ما تركه فهو مال الورثة، وأن إخراج ما زاد على حاجة الإنسان هو الخير له، **(يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك...)**[(١)].

٥- معرفــة واقع المسلمين وحاجاتهم، وخطط الأعداء وجهودهم، والتقصير الحاصل في فروض الكفايــات، مما يزيد الواجب وجوباً على أهل الكفاية والغنى والمواهب والقدرات.

٦ - التعود على تقديم القليــل حال الفقر والحاجة، وبشكل أخص في أوقات الشدائد والأزمات، التي تكثر فيها حاجات الدعوة، وتستدعي مزيداً من التضحيات، قال تعالى: في مدح الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: **(أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى)**[(٢)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوب، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة (١٠٣٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح (١٤١٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (١٠٣٢).

القيمة الرابعة

المسؤولية

❑ أولاً: مفهوم المسؤولية:

تنوعت مفاهيم المسؤولية بتنوع زاويا النظر إليها، ومن أجمعها:

أنَّ «المسؤولية تعني: تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة»[(١)].

وقيل «بأن المسؤولية: حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة»[(٢)].

وقيل: «حالة أو صفة من يسأل عن أمرٍ تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل -أي- من تبعته، وتطلق (أخلاقيًّا) على: إلتزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وتطلق (قانونيًّا) على: الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون»[(٣)].

فالمسؤولية حملٌ ثقيلٌ، وشعورٌ بالواجبِ؛ يوجه تفكير الشخص كما يوجه سلوكه وأقواله ومواقفه، وهي: القدرة على الالتزام بالتكاليف والتعهدات، والإنجاز للمهام بشروطٍ معلومةٍ.

---

(١) التربية الأخلاقية الإسلامية. لمقداد يالجن، ص: ٣٣١

(٢) نضرة النعيم ٨/ ٢٤٠٠

(٣) المعجم الوسيط ١/ ٤١١.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المسؤولية الدعوية هي: شعورٌ بالواجب الدعوي، وتقدير الداعية لمهمته، وعلمه بالمحاسبة أمام الله، يوجه تفكير الداعية وسلوكه وأقواله ومواقفه وحياته نحو البذل للدعوة.

❑ ثانياً: أدلة مفهوم المسؤولية:

المسؤولية داخلة في الأمانة؛ التي قال الله عنها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وهناك آيات صريحة تنبه على المسؤولية، وأن كل إنسان مسؤول عن نفسه وكل ما يوكل إليه:

ففي مقام المسؤولية عن الجوارح يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي مقام المسؤولية عما يقطعه على نفسه من العهود ويلزم به نفسه من المواثيق مع الآخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وفي مقام المسؤولية عن أي عمل يقوم به الإنسان وما ترتب عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣].

وفي مقام المسؤولية عن نعم الله التي أنعم الله بها على الناس يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

وفي مقام المسؤولية الدعوية قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، أي: « ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ﴾ الأمم: ما عملوا فيما جاءت به

الرسل؟ ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ الرسل: هل بلغوا ما أرسلوا به؟»(١).

فهذه الآية تدل على أن المحاسبة على المسؤوليات الدعوية تعم الرسل والمرسل إليهم كل حسب ما ألقي عليه من التبعات والمسؤوليات.

كما أن أهل العلم بصفة خاصة تقع على عاتقهم مسؤولية عظيمة قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وبين لنا الرسول ﷺ أن كل عاملٍ مؤتمنٍ على العمل الذي يقوم به، ومطالبٌ بحسن إدارته، والسعي في تحقيق صلاحه، فقال: **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته)**(٢).

وقال: **(إنَّ الله يُحب إذا عَمِل أحدكم عملاً أن يتقنه)**(٣).

❑ ثالثاً: أهمية إدراك الدعاة لقيمة المسؤولية:

المسؤولية هي شعور بالواجب يُوجِّه تفكير الداعية وسلوكه وأقواله ومواقفه، فهو مظهر إحساس الداعية بعظمة الله تعالى، وتعبير عن الانقياد له، ومنطلق العمل في سبيله، فالشعور بالمسؤوليةِ قوةٌ تجعل الداعية قادراً على بلوغ مقاصده، وتحقيق مطالبه.

---

(١) جامع البيان ٥/ ٤٣٠.

(٢) صحيح البخاري، في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه (٢٤٠٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر.. (١٨٢٩).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٣٢ (٤٩٢٩) وحسنه الألباني، في صحيح الجامع رقم (١٨٧٦).

فحياة الداعية أمانة تتطلب المسؤولية، والدين أمانة في عنق الداعية يتطلب المسؤولية، وأبناء الداعية أمانة يتطلبون المسؤولية، وحِرفة الداعية أمانة تتطلب المسؤولية، فينبغي أن يؤديها حسب إمكانه ومكانته وقدراته.

ويترتب على إدراك الدعاة مسؤوليتهم:

١- التفاني في الدعوة والإحساس بأهمية دوره الدعوي والتضحية في سبيل ذلك.

٢- الوعي بالتحديَّات والمخاطر التي تهدِّد الأمَّة الإسلاميَّة، فإنَّ معرفة الأخطار والمؤامرات التي تحاك ضدَّ الأمَّة؛ فيها شحنٌ للهمَّة، وتقويةٌ للعزيمة، ودفعٌ للذاتيَّة، وإقدامٌ على تبليغ دين الله والأخذ بالأسباب في مواجهة هذه التحدِّيات التي تريد النيل من الإسلام والمسلمين.

٣- مراعاة الاحتياجات والمصالح الدعوية، ودرء المفاسد عن الدعوة، والبدء بالأهمِّ ثمَّ المهمّ، ومراعاة فقه الأولويَّات الدعوية.

٤- أن يكون نموذجاً وقدوةً لمن يدعوهم في أخلاقه وأعماله، وإلا كان منفراً عن الدعوة، فلا يضع نفسه في موضع الشبهات ولا تصرفاته موضع الانتقاص.

٥- الشعور بالمسؤولية الدعوية هو الوقود الذي يحرك الداعية نحو الهدف.

٦- المسؤولية الشخصية هي عنصر لا غنى عنه من أجل تقدير الذات الإيجابي.

٧- المسؤولية تؤدي إلى الاعتماد على النفس بعد الله تعالى، وعدم انتظار دعم أو توجيه الآخرين.

٨- المسؤولية تقتضي عدم التسويف والارتجال والعجز والكسل والتهاون، والفردية.

❑ رابعاً: وسائل تعزيز المسؤولية الدعوية:

فالداعية إلى الله لا بد أن يعلم حجم المسؤولية التي أُلقيت عليه، فبمقدار معرفة الداعية لمسؤولياته ووعيه لها، ثم حِرصه على تحقيق المصلحة والفائدة المرجوة منها، يكون مجتمع الدعوة متعاوناً فعالاً تسوده مشاعر الانسجام والمودة بين أفراده.

لا بد أن يدرك الداعية مسؤوليته وقيمته، ودوره في بناء الأمة ومجدها، والتعريف بدين الله تعالى وإبلاغه للعالمين، وأنه لو قصر أو أهمل في بيانه وبلاغه لحصل الخلل، وليتمثل قول القائل:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعي مع الهمل (١)

وهناك وسائل كثيرة تساهم في تعزيز المسؤولية في حياة الداعية، وهي كالآتي:

- تَعَرُّفُ الداعية على قدراته وإمكانياته.
- تَعَرُّفُ الداعية على مجتمعه واحتياجاتهم الدعوية.
- تحديد الداعية لدوره ومسؤولياته الدعوية في المجتمع.
- تنمية المهارات الدعوية لديه تلبية لاحتياجات مجتمعه.
- تنفيذ الداعية لالتزاماته ومسؤولياته المنوطة به، وأداء دوره بأمانة.
- التعرف على التحديات والمشاكل المتوقعة، ووضع الحلول المناسبة لها.
- وضع الأولويات، وتحديد الأعمال والمهمات المطلوب تنفيذها.
- مراعاة التوازن في المسؤوليات الأخرى بجانب المسؤوليات الدعوية، كالمسؤولية الأسرية والمسؤولية عن العمل وغيرها.

---

(١) شرح لامية العجم للدميري ص١٢٤، والهمل: الإبل التي ترعى بلا راعٍ، وأهملت الشيء: خليت بينه وبين نفسه، ينظر الصحاح ٥/ ١٨٥٤.

- محاسبة الداعية لنفسه دائماً في مجالات النجاح ومجالات الإخفاق والتقويم والمراجعة المستمرة لتحقيق الأمانة.

وبناء على ما سبق فإن المسؤولية تخطيطٌ وإحسان، إنها تخطيط وبرمجة متابعة وتقويم حتى النجاح، وسوء التخطيط أو انعدامه، أو عدم إيلائه الاهتمام اللازم قد يقود للفشل.

فالمسؤولية تقتضي: تحديد البدايات ووضوح الأهداف ومؤشرات الانجاز في غلاف زمني محدد بتكلفة بشرية ومادية محددة(١).

❑ خامساً: أسباب ضعف قيمة المسؤولية(٢):

١ - ضعف الوازع الديني: فمن عَمَّرَ الإيمان قلبه، وتمكنت مراقبة الله من نفسه، علم أنه غدا موقوف أمام الله تعالى وسيسأله عما كلفه من تكاليف، ولا نجاة له إلا بالقيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه، وأداء الأمانات المؤتمن عليها، والوفاء بما يجب عليه من الواجبات، فيكون المعين الأول له خوفه من الله تعالى وسعيه في مرضاته.

٢ - ضعف الهمة: إن مسؤوليات يسيرة يعجز عنها كثير من الغلاظ الشداد، وما ذلك إلا لأن الهمم قد ماتت والعزائم قد خارت، فتجد الصغار وقد اجتازوا العقبات وحققوا النجاحات وتحملوا المسؤوليات، وغيرهم ممن أوتي أكثر مما أوتوا يقوى على أكثر مما تحملوا وقد خذله الكسل الذي استعاذ منه النبي ﷺ، بقوله: **(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل)**(٣).

---

(١) ينظر: المسؤولية: أمانة في قوة- عبد الكبير البغدادي١٩ فبراير، ٢٠١٣مـ. باختصار وتصرف.

(٢) مختصر من مقال بعنوان المسؤولية، لمروان محمد أبو بكر مقال منشور على موقع الألوكة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن (٢٨٢٣)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره (٢٧٠٦).

٣ - **التربية غير الرشيدة:** فتعليم الطفل منذ صغره تحمل ما يستطيع من المهام، والقيام بما يجب عليه من واجباتٍ أمرٌ له بالغ الأثر في شخصيته، ومن الأخطاء الشائعة قيام بعض أولياء الأمور بحل الواجبات والتكاليف لأبنائهم، مما يدفعهم للتسيب ويبعدهم عن الاستعداد لتحمل المسؤوليات عند كبرهم.

٤ - **الاتكالية:** فكل واحد منا مسؤول مسؤولية مباشرة عن كثير مما وقعت فيه الأمة في الحاضر من تخلف مادي وفكري، ولكننا نتكل على بعضنا في تغيير هذا الواقع، فالعامة يلقون بالمسؤولية على النخبة والعلماء، والعلماء يلقون باللائمة على الحكام، والحقيقة أن الكل عليه مسؤوليته التي يلزمه القيام بها.

٥ - **الإحباط:** الإحباط من أبرز أسباب القعود عن العمل وترك المهام والتقصير في المسؤوليات، وما جنى محبط غير الخسران والإخفاق، والتفاؤل هو روح الإنجاز، فالمسؤوليات لا يقوى عليها المحبطون لأن نظراتهم المتشائمة تمثل حجابا يمنعهم من الإقدام ويحجبهم عن التقدم وإنجاز ما هو من واجباتهم.

٦ - **عدم وضوح الرؤية،** فكثير من الناس لا يعرف المسؤوليات الموكلة له أصلا حتى يقوم بها، فمن الآباء من يظن أن مسؤوليته تجاه أولاده تنتهي بتوفير المأكل والمشرب والمسكن، وأن التوجيه والإرشاد ليس من مهمته ولا مسؤوليته، وكثير من المسلمين لا يعرف أن عليه مسؤولية تجاه أمته ودينه.

٧ - **تعاظم المسؤوليات،** إذ صار الجميع يصارع في كل الأصعدة، وقديماً قيل: **إذا عظم المطلوب قل المساعد**(١)، لقد كان الناس في السابق لا يعانون كثيراً مما يعانيه

---

(١) القائل هو المتنبي، ينظر شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ٤٨٩، والأمثال المولودة للخوارزمي ص ٣٩٠، والأمثال السائرة لابن عباد ص٤٣.

أهل زماننا؛ فمثلا مسؤولية تربية الأبناء ومتابعتهم كانت في السابق أسهل بكثير منها في هذا الزمان الذي كثرت فيه وسائل الإفساد، ولكن هذا ليس مسوغاً لعدم القيام بما يجب القيام به من المسؤوليات، وعلى المرء أن يبذل وسعه، وأن يؤدي ما يستطيع، وإذا أديت ما عليك فلا عليك، وبقدر البذل تحصل النتائج، وبقدر الاستعداد يكون الإمداد.

٨ - **عدم تقدير من يقوم بمسؤولياته:** إن المساواة بين الذين يعملون والذين لا يعملون ميزان مختل، وهو من عوامل التقصير في أداء المهمة والقيام بالمسؤولية.

القيمة الخامسة

الإيجابية

أولاً: مفهوم الإيجابية:

تُعرَّف الإيجابية بأنها: اندِفاع الإنسان الذاتي الناشِئ عن استقرار الإيمان في قلبه، لتكييف الواقع الذي مِن حوله وتغييره وتبديلِه إن لَزِم الأمر؛ لكي يُطابِق الواقع الإيجابي الذي في حسِّه، أو هو الحافز الذي يَدفع بطاقة الإنسان لأداء عمل معيَّن؛ للوصول إلى غاية محدَّدة، مُتحمِلاً كافَّة الصِّعاب لتحقيق الهدف[١].

فالإيجابية هي أخذ زمام المبادرة إلى الحركة والعطاء والعمل، والتفاعل الجيد مع الحياة ومع الآخرين[٢].

(١) مقال بعنوان: الإيجابية لحسام العسوي إبراهيم منشور على موقع الألوكة، نقلاً عن كتاب الشباب في مرآة الإسلام؛ للشيخ: عبدالخالق حسن الشريف.. ولم أقف على الكتاب.

(٢) قيمة الإيجابية والفعالية - أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

وللإيجابية نوعان:

الأول: وهو إيجابية الفرد نحو نفسه، والتي تشتمل على تطوير نفسه والارتقاء بها.

الثاني: يتمثل في تفاعل الفرد مع أفراد وقضايا مجتمعه ومشاركته في الأحداث.

➢ ثانياً: أدلة الإيجابية:

الإسلام يحث على الإيجابية ويأمر بها، وهي قيمة إسلامية ومجتمعية وأخلاقية، والأدلة على ذلك كثيرة منها، قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ – ٣].

فقد بينت هذه السورة أن الإنسان محكوم عليه بالخسارة إلا من كان متصفا بخصال أربعٍ، وهي في الحقيقة سمات الشخصية المسلمة الإيجابية.

قال السعدي: «عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

– الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم.

– والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

– والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

– والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم»[(١)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٣٤.

وهناك آيات آمرة بالمسابقة والمسارعة في الخير وهذا يدل على الإيجابية، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

وورد عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار -أو العباء- متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب: فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] **(تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره)** حتى قال: **(ولو بشق تمرة)**، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: **(من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من**

عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

ثالثاً: وسائل ودوافع الإيجابية[2]:

١- أول دوافع الإيجابية هي فرديّة التكليف، وأن الإنسان سيحاسب وحده، على ما يجب عليه لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٤، ٩٥].

٢- عدم استِصغار العمل أو النظر إليه على أنه قليل؛ فرُبَّ أمرٍ تراه صغيراً وهو عند الله كبير وعظيم؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(لا تحقرنَّ مِن المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاكَ بوجه طَلْقٍ)**[3].

٣- النظر إلى النتائج والأجْر الكبير؛ لقول النبي قول ﷺ: **(مَن سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً، فله أَجرُها وأجْر مَن عمل بها مِن بعده، مِن غير أن يَنقُص مِن أجورهم شيء)**.

٤- ألا يُكلِّف النفس ما لا تُطيق؛ فإنَّ تكليف النفس ما لا تُطيق يؤدِّي إلى الفُتور واليأس عند الإنسان؛ قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ ولهذا فعلى المسلم أن يعمل ولا يُحمِّل نفسَه النتائج التي هي بيد الله وحده.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (١٠١٧).

(٢) ينظر: الإيجابية، لحسام العيسوي إبراهيم مع كثير من الزيادات.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦).

٥- الوعي والمعرفة: فالمتابعة الدائمة للمجالات المختلفة تساعد الفرد على استكشاف أبعاد كثيرة من الممكن أن تكون غائبة عنه، فيساعده هذا الوعي على استكشاف فرص جديدة، ومنافذ تكون في كثير من الأحيان مبهمةً له؛ مما يساعده على اقتحامها.

٦- الثقة بالنفس: فإنَّ الكثير يُضَيِّع على نفسه فرصاً للانطلاق وفعل الخير؛ سواء كان هذا الخير لنفسه أو للغير؛ نتيجة لتشككهم في قدراتهم وتقليلاً من شأنهم الإيجابي، وعكس ذلك، فثقته بنفسه تدفعه دائماً لاقتحام العوائق، وتخطي الصِّعاب.

٧- القابلية للاقتحام والمغامرة، دون اندفاع وتهوّر، مع تقدير الأمور بمقاديرها، وهذه الرغبة في الاقتحام والمغامرة تدفع الفرد إلى اكتشاف آفاق جديدة للحياة، وتساهم في إنماء حصيلةِ الفرد من الحلول، فلا يقف عند عائق متعثراً ساخطاً؛ ولكنه يمتلك حلولاً بديلةً؛ نتيجة لاحتكاكه المستمر، وخوضِه الكثير من المغامرات التي صقلت التجربة لديه.

٨- يجب أن ينحصر تفكيرنا فيما يجلب لنا الأجر ويقرِّبنا إلى طاعة الله مبادرين وإيجابيين غير متواكلين ولا متقاعدين.

٩- القراءة في قصص الإيجابيين، والقصص في غرس قيمة الإيجابية كثيرة جدّاً ويبرز ذلك في قصة مؤمن آل فرعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومؤمن آل ياسين، وقصة النملة والهدهد مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومواقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كموقف الحباب بن المنذر في بدر، وسلمان الفارسي في الخندق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.. وغيرها كثير..

١٠- الإيجابية مهارة تكتسب بالتعلم والتطور المستمر، فالأمر كله يندرج تحت عاملين أساسيين هما: طريقة التفكير وطريقة التصرف وكليهما قابل للتغيير والتطوير، فالإيجابية مزيج من طريقة تفكير الشخص وطريقة تصرفاته التي يسلكها.

١١- انطلاق السلوك الإيجابي من التفكير الإيجابي، فقبل أي شيء ينبغي أن يدرك الشخص أفكاره، وإذا ثبتت سلبيتها فعليه بالعمل على إحلالها بأخرى إيجابية.

١٢- التركيز على ما يريده الشخص، وليس على ما لا يريده.

١٣- التركيز على الجوانب المضيئة في الحياة، لأن التركيز عليها سيزيد كمها.

١٤- عدم سيطرة الشعور بالنقص، وقد تتعدد أسباب هذا الشعور عند الإنسان كارتباطه بالقصور العقلي من الذكاء المحدود أو عدم القدرة على التركيز، أو بالجوانب الجسمانية مثل القصر أو الطول، أو بجوانب اجتماعية من الغنى أو الفقر، أو بالجوانب المعنوية. وقد يكون شعور الإنسان هذا غير حقيقي ولا يظهر للمحيطين به!! وتكمن خطورة الشعور بالنقص عندما يتخذ شكل العادة الفكرية.

١٥- البحث عن الجوانب الإيجابية في كل موقف يعرض له.. لأنه لا يخلو من جانبٍ حسن، أو على الأقل شيء ما يتعلمه الشخص ولو كان التعلم من خلال المواقف القاسية وغير السارة.

١٦- البحث عن الصحبة الإيجابية، والحرص على التواجد وسطها.

١٧- تحديد الهدف، فكثيرون يشعرون بالتعاسة في حياتهم لأنهم لا يعرفون ماذا يريدون!! كما أن تحديد ما تريده أول خطوة على طريق النجاح، وإذا أردت أن تنجز شيئا مهما فعليك بالتركيز عليه، واترك ما يبعدك عنه.

١٨- التدرب على التفاؤل، وذلك بمحاولة إيجاد الأمور الإيجابية في الأوضاع السلبية، ومحاولة تقييم التجارب -حتى الفاشل منها- على أنها خبرات تضاف للحياة، وأنها دروس يتعلم منها أن تكون أكثر صلابة.

١٩- عدم المبالغة في وصف المشكلة التي يواجهها الداعية، بل يحاول أن يقلل من شأن المشكلة، ويعرف أسبابها، ويحسن التوكل على ربه، مع إحسان الظن به سبحانه.

رابعاً: الإيجابية في حياة الدعاة:

الداعية الإيجابيّ لا يهدأ له بالٌ، ولا تَنطفِئ له جَذوة، ولا يكلُّ ولا يملُّ؛ حتى يُحقِّق هدفه الذي يَسعى إليه وغايتَه المنشودة بإبلاغ رسالة الإسلام للعالمين.

فالداعية الإيجابي لا ينتظر التكليف، بل تدفعه طاقة تولدت من شعوره بقيمة الدعوة.

إن الداعية الايجابي لا يقعد؛ حتى ولو لم يكن له إلا تكثير السواد.

الداعية الايجابي صاحب مشروع ورؤية يقتنع بها ويتفاعل معها.

الداعية الإيجابي يخرج أفكاره من حيزها الضيق إلى مجال الحياة الرحب.

الداعية الإيجابي يفتح الوسائل بإرادة صلبة وعزيمة قوية حتى يصل إلى أهدافه.

الداعية الإيجابي مستعل بإيمانه: شعاره: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] مستعل على القيم والموازين الرديئة، مستعل على شهواته ورغباته يوجهها حيثما أراد، مستعلٍ عن اللصوق بالأرض، كيف لا وهو يأوي إلى ركن شديد؛ يتلقي من الله، ويتجرد لله، ويجول الأرض سعياً في سبيل الله.

الداعية الإيجابي تربيه الجراح، وتشد عُوده الصدمات، شعاره: نفس لهوها التعب[1].

الداعية الإيجابي يَستشعِر مسؤوليَّته كفرْد عن تبليغ وتنفيذ أوامر الله ونواهيه، وعن إيصال رسالة الإسلام للعالمين.

الداعية الإيجابي لا يستصغر أي عمل في سبيل الله، فالله تعالى يقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال رسول الله ﷺ: (**لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاكَ بوجه طَلْقٍ**)[2].

---

(١) ملخص مقال بعنوان: الداعية الإيجابي لعادل مناع منشور على الشبكة في موقع صيد الفوائد.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦).

الداعية الإيجابي لا يكلف نفسه ما لا تُطيق، فيؤدِّي ذلك به إلى الفُتور واليأس.

الداعية الإيجابي عندما تعرض له مشكلة يفكر في الحل، فهو يرى أن لكل مشكلةٍ حلٌ، فهو داعية إيجابي لا تنضب أفكاره، فيرى في العمل والجد أملاً وليس ألماً.

الداعية الإيجابي يصنع الأحداث وينظر للمستقبل بتفاؤل، مما يجعله يؤثر في هذه الدنيا، شعاره قول الرسول ﷺ: **(إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)**[(١)]، أما السلبي فهو زائد عليها.

إن الايجابية نعمة من الله ﷻ على الداعية، من تمسك بها حصل على الخير، والنجاح والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

بالإيجابية يصبح للدعوة معنى وهدف، حيث يتحرك الداعية في اتجاهات الخير وهو مدركٌ لهدف هذ التحرك.

القيمة السادسة

الإتقان

✧ أولاً: مفهوم قيمة الاتقان:

الإتقان هو: عمل الشيء على أحسن وجه.

أي: أداء العمل:

١- بدقة ومهارة وإخلاص.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢٩٠٢)، الأدب المفرد للبخاري (٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٨١)، وصحيح الجامع (١٤٢٤) والصحيحة (٩).

٢- دون خلل ناتج عن تقصير.

٣- الالتزام بالمتطلبات، والتقيد بالضوابط المتعلقة بالعمل.

٤- والحرص على القيام به في الوقت المحدد دون تأخير.

٥- بل التفكير بتطوير العمل لاحقاً لمستويات أفضل.

✧ ثانياً: الأدلة على قيمة الاتقان:

إن إتقان العمل قيمة عظيمة أكد عليها الإسلام، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢]«أي: تعلم الكتاب ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجد وحرص واجتهاد»[١].

وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبدع الكون حولنا بدقة وإحكام، كي نأخذ من ذلك العبرة في جميع أعمالنا!، قال تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨]. وقال تعالى عن الإنسان: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال عن كتابه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[٢].

فمن معاني الإتقان: الإحسان، وهو لفظ أرقى وأبلغ من مجرد الإتقان، والإحسان أن نتقن أعمالنا ونحن نستشعر مراقبة الله لنا، كما يُفهم من قوله ﷺ: **(الإحسان أن تعبد**

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٦.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٣٢ (٤٩٢٩) وحسنه الألباني، في صحيح الجامع رقم (١٨٧٦)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١١٣).

الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[١].

فالإحسان أن يجمع المؤمن بين الإتقان والرقابة حين يؤدي عمله، حيث إن الرقابة في الإسلام رقابة ذاتية بالدرجة الأولى، نابعة من إيمان الفرد بالله، واستشعار رؤيته له، ومراقبته لعمله، وحين تترسخ هذه القيمة في النفس المؤمنة تنتج أعمالاً في غاية الإتقان والإحسان، ولكن المشكلة الحقيقية حين تبهت تلك القيمة في النفوس فلا ينتج عنها إلا ما نراه اليوم من تناقضات يندى لها الجبين!

✧ ثالثاً: نماذج من الحث على الإتقان:

ولنتوقف عند قول النبي ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة. وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته)[٢] إن القيمة العملية هنا هي الإحسان، حتى لو كان الأمر ذبح حيوان، فما بالنا بما فوق ذلك!

والمتأمِّل في عبادة النبي ﷺ يَجِدُ أَنَّ عِبَادَتَهُ مُتقَنَةٌ. روى البخاري ومسلم عمن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَا كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ»[٣].

وقال رسول الله ﷺ حاثّاً على اتقان الوضوء: (لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا)[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره (١١٤٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ (٧٣٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء ثلاثا ثلاثا (١٦٠)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله (٢٢٦).

وقال ﷺ: (إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ)[١].

وكان رسول الله ﷺ ينمي ويشجع إتقان التخصص، فيشجع قُرّاءَ القرآن، فيقول رسول الله ﷺ لسالم مولى حذيفة رضي الله عنهما عندما سمعه يقرأ القرآن بصوت جميل: **(الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك)**[٢]، ويقول لأبي موسى رضي الله عنه: **(لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)**[٣].

ويقول ﷺ: **(الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ)**[٤].

وفي إتقان الجانب العملي روي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرؤوننا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا **(يقترؤون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل)**، قالوا: فعلمنا العلم والعمل[٥].

✧ رابعاً: أهمية الإتقان في حياة الدعاة:

الإتقان سمة أساسية في الشخصية المسلمة يربيها الإسلام فيه منذ أن يدخل فيه، وهي التي تحدث التغيير في سلوكه ونشاطه.

والمسلم عامة والداعية خاصة مطالب بالإتقان في كل عمل تعبدي أو سلوكي أو

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب في تحسين كفن الميت (٩٤٣).

(٢) مسند أحمد ٤٢/ ١٩٦ (٢٥٣٢٠) قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن لغيره.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافر، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (١٨٨٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع به (٧٩٨).

(٥) مسند أحمد ٣٨/ ٤٤٦ (٢٣٤٨٢) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

معاشي أو دعوي؛ لأن كل عمل يقوم به المسلم بنيّة العبادة هو عمل مقبول عند الله، يُجازى عليه سواء كان عمل دنيا أم آخرة.

فالإتقان يجعل الداعية مميزاً بين إخوانه الدعوة والمدعوين، ويترك أثراً جميلاً في نفوسهم.

والإتقان يساهم في تقليل التكاليف والجهود الدعوية.

الإتقان يرفع معنويات الداعية ويحسن نفسيته، فكلما شعر الداعية أنه أتقن في عمله سيشعر براحة وسعادة ويسعى بشكل أكبر لتحقيق أهدافه.

الإتقان يثمر الأجر والثواب الذي أعدّه الله سبحانه في الآخرة لمن أتقن عمله.

الإتقان يجلب للداعية التوفيق والنجاح.

الإتقان يؤثر على مجتمع الداعية فيرفعه في جميع المجالات الدينية والدنيوية، وينتشر الخير والفائدة لجميع المُجتمع الإسلاميّ.

الإتقان يجعل الداعية يبتعد عن الرّياء والسمعة ويُحذّر من النّفاق، ويُحاسب نفسه على كل عمل يُقدّمه أو يصدر عنه؛ لأنّ الداعية إذا شعر بمراقبة الله سبحانه له أتقن عمله، ونال بذلك محبّة الله ومحبّة العباد.

إتقان الداعية يعزز قوّته في مُواجهة أعداء الإسلام، يظهر قوة المسلمين.

الإتقان يُكْسِبُ الداعية مَحبّة الآخرين من حوله، لأنه يرتقي بمُستواهم الديني والاجتماعيّ ومستواه الفكريّ، ويسعى في حاجتهم.

وإنَّ عدم الإتقان يؤدي إلى إساءة الظن بالداعية وتشويه صورته، بل والإساءة إلى الدين وتشويه صورته.

الإسلام يأبى أن يأكل مسلم حراماً بعدم إتقانه للعمل، ومن أهم أخلاقه الأمانة، والأمانة تقتضي من العامل أن يقوم بعمله على أكمل وجه، وأفضل حال.

الإتقان العلمي والعملي والدعوي له أثره الكبير على النفس، حيث يصبح الداعية صاحب همة عالية ولا يقبل بالدون، وكذلك له أثره على من حوله، فيظهر أمام المجتمع الذي يعيش فيه بصورة المسلم المتميز العالم المتقن، وهذا يكسبه مصداقية بين الناس، ويُعلي من شأنه وشأن الدين الذي يحمله، وهذا بحد ذاته تعريف صامت بالإسلام.

✧ خامساً: تنبيهات منهجية عملية حول الإتقان في حياة الدعاة:

لا بد أن يتنبه الدعاة إلى أن من أسباب تأخر النصر عدم إتقان العمل.

ولا بد أن يعلم الداعية أن العمل القليل المتقن خير من العمل الكثير الذي لم يتقن، فالإتقان أهم من الكثرة، وهذا ينطبق على كل عمل من أعمال الدنيا والآخرة.

ولا بد أن يعلم الداعية أن قيمة الإتقان في الإسلام ليست مقصورة على العبادات وحدها، -وإن كانت عبادة الله أجل الأعمال-، ولكن عمارة الأرض بشتى أنواع العمل يدخل ضمن الاستخلاف في الأرض والدعوة إلى الله من مقومات الاستخلاف في الأرض، وذلك يحتاج إلى إتقانٍ في التعلم والعمل والتبليغ.

ولا بد أن يعلم الداعية أن الإتقان لا بد أن يكون في كل مجالات حياته، وليس مقصوراً على الإتقان في تبليغ الدعوة، فالإتقان يكون في العلم والوظيفة والدعوة والأسرة، وهذا الشمول في الإتقان يعطي انطباعاً حسناً عن الدعاة في مجتمعاتهم.

فلا بد من إدراك ودراية جميع الدعاة أهمية إتقان العمل الدعوي والعمل الوظيفي ووسائل التطوير فيها كليهما.

ومما يعين الدعاة على الإتقان الالتزام بتنسيق وترتيب وتوزيع المهام بطريقة دقيقة، وأسس قوية ومرتبطة بشكل مباشر بمهام الدعوة.

مع أهمية وضع كل داعية في مكانه المناسب، وأن يختار ما يتقن.

ولا بد من العمل على متابعة الدعاة لبعضهم، ومتابعة الداعية لنفسه، والتقييم بشكل منتظم ومبني على أسس مهنية؛ من أجل التطوير ومواكبة العصر، من خلال تنمية مهارات الدعوة، وتطوير قدرات الدعاة والمؤسسات الدعوية بشكل دوري ومنتظم، للحفاظ على جودة ونوعية العمل.

وأن يكون للدعاة وعي بضرورة الالتزام بأخلاقيات العمل، والتحلي بالصدق والأمانة، والقيام بالعمل بكل إخلاص وتعاون، والحرص على العمل ضمن روح الفريق دون أنانية، وتقبل النجاحات الفردية لأنها تصب في المصلحة النهائية لإتقان العمل.

القيمة السابعة

علو الهمة[1]

أولاً: مفهوم علو الهمة:

قال ابن القيم في تعريف الهمة: «والهمة فعلة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمَّة نهايتها»[2].

والهمة في الاصطلاح هي: «توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب

(١) ينظر: علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل المقدم، صلاح الأمة في علو الهمة للشيخ سيد حسين العفاني.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٥.

الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره»(١).

وأما علو الهمة اصطلاحا: «الهمة العالية هي: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية»(٢).

وقيل: «خروج النفس إلى غاية الكمال الممكن في العلم والعمل»(٣).

يقول الراغب في صفة كبير الهمة: «الكبير الهمّة على الإطلاق هو: من لا يرضى بالهمم الحيوانيّة قدر وسعه، فلا يصير عبد بطنه وفرجه، بل يجتهد أن يتخصّص بمكارم الشّريعة، والصّغير الهمّة من كان على الضد من ذلك.. والكبير الهمّة على الإطلاق، من يتحرّى الفضائل لا لجاه ولا لثروة ولا للذّة، ولا لاستشعار نخوة واستعلاء على البريّة، بل يتحرّى مصالح العباد شاكراً بذلك نعمة الله، ومتوخّياً به مرضاته غير مكترث بقلّة مصاحبيه فإنّه إذا عظم المطلوب قلّ المساعد، وطرق العلاء قليلة الإيناس»(٤).

◆ ثانياً: أهمية وفضل علو الهمة:

بيّن الله تعالى أهمية وفضل علو الهمة في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى:
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى بعد عرض مجموعة من الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقد حث النبي ﷺ على علو الهمة، وأشار إليها بقوله: **(فإذا سألتم الله فاسألوه**

---

(١) التعريفات للجرجاني ص٢٥٧.

(٢) وسائل الإصلاح للخضر حسين ص٥٧.

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص٢٨.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص٢٠٩.

الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)[١]، وقال ﷺ: **(إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها)**[٢]، وقال ﷺ: **(إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه)**[٣]، ويقول رسول الله ﷺ لمعاذ: **(حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)**، فقال معاذ: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: **(لا تبشرهم، فيتكلوا)**[٤].

«فالإنسان لا يزالُ مجتهداً في آخرتِهِ، فإذا تيقنَ نجاته فتر، وهذا أمرٌ مركوز في خاطره، ولذا منعه النبي ﷺ عن إخباره لأن الاكتفاءَ بالفرائض والافترارَ عن الفضائل نقيصةٌ لهم وحِرمان عن الطبقات العُلى، فأحب أن لا يتكلوا ويجتهدوا في معالي الأمور، لأن الله تعالى يحب معالي الهمم»[٥].

وقال عمر رضي الله عنه: «لا تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته»[٦].

وقال الإمام مالك: «عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها»[٧].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا تقول العامة: قيمة كل امرئ ما يحسن، والعارفون يقولون: قيمة كل امرئ ما يطلب، وفي الاسرائيليات يقول: إني لا أنظر إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.. (٢٧٩٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١١١(١٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧٢ (٨٨٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٠)

(٥) فيض القدير ١/ ٣٢٩.

(٦) محاضرات الأدباء ١/ ٤٤٥.

(٧) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٦٥.

كلام الحكيم!! وإنما أنظر إلى همته»(١)، يريد همته ومطلبه وقصده.

قال الجنيد: «عليكم بحفظ الهمة فإن الهمة مقدمة الأشياء»(٢).

وقال ممشاء الدنيوري: «الهمة مقدمة لأشياء؛ فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال»(٣).

وكان أبو علي بن الكاتب يقول: «الهمة مقدَّمة في الأشياء، فمن صحَّح همته بالصدق أتت توابعها على الصحة والصدق، فإن الفروع تتبع الأصول، ومن أهمل همته أتت عليه توابعها مهملة، والمهمل من الأفعال والأحوال لا يصلح لبساط الحق»(٤).

وقال عبيد بن زياد: كان لي خال يقول لي: «يا زياد هم فإن الهمة نصف المروءة»(٥).

يقول ابن الجوزي: «من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء»(٦).

قال ابن القيم: «لا بد للسالك من همة تُسيِّره وتُرقِّيه وعلمٍ يبصِّره ويهديه»(٧).

فصاحب الهمة العالية يُعتمد عليه، وتُناط به الأمور الصعبة وتُوكل إليه، وهذا أمر مشاهد معروف، فإن المديرين والرؤساء عادة يطمحون للعمل مع صاحب الهمة العالية ويستعدون للتضحية معه حتى ولو كلفهم ذلك الكثير. وقد قيل: «ذو الهمة وإن

(١) النبوات ص٩٠.
(٢) حلية الأولياء بسنده ١٠/ ٢٦٨.
(٣) حلية الأولياء عن أبيه عنه ١٠/ ٣٥٣.
(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠.
(٥) روضة العقلاء ص ٢٥٣.
(٦) صيد الخاطر ص ٢٨.
(٧) الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ٢١، وعزاه لابن القيم ولم أقف عليه في كتب ابن القيم.

حط نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً»[١].

◆ ثالثاً: أهمية علو الهمة في حياة الدعاة:

لا بد أن تكون نفس الداعية إلى الله نفس سامية في طلب مرادها، تطلب الأكمل والأفضل، فيكون همه رضا الله تعالى والفوز بالجنة[٢].

ومن كانت هذه حاله من الدعاة، زهد في الدنيا وشهواتها، واستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور، وترفع عن الدنايا، وتوجه لإصلاح نفسه أولاً، وانتقلت صفته هذه إلى نفوس سامعيه، ولا يقر له قرار حتى ينال مراده، ويجد في طلبه حتى ينال بغيته، ويتجاوز العقبات حتى يحقق هدفه، كما كان النبي ﷺ طيلة سنوات دعوته، حاملاً سلاحه، مجاهداً في سبيل الله، مجتهداً في العبادة، حتى آخر أيام حياته[٣].

فلا بد للداعية كي يصل إلى مبتغاة أن يكون عالي الهمة فيأخذ نفسه بالمجاهدة والصبر على ذلك، فالدعوة تحتاج إلى جهاد دائم وصبر، ليتمحص المسلم ويتجرد من الهوى والشهوة، فالصبر جهاد، والجهاد فريضة، والصبر واحد من ألوان هذا الجهاد[٤].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فقد جعل الله تعالى الإمامة وهداية الناس جزاء للصبر على مشاق الطاعات، ومقاساة الشدائد في نصرة الدين[٥].

والهمة العالية والعزيمة القوية لها أثر واضح في سلوك الداعية، فتعزز فيه

---

(١) ينظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني١/ ٤٤٥.

(٢) مقاصد المكلفين ص ٣٦٥ بتصرف.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٠٨ بتصرف.

(٤) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٢٦٦ بتصرف.

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/ ٨٧.

الجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون خوف أو مجاملة لأحد، والصبر على الأذى واحتمال المشاق في ذات الله، مع المحافظة على الشعائر التعبدية، وقوة الصلة بالله[١].

والداعية إذا أوتي علو الهمة رسخت قدمه في طريق الدعوة، واستطاع التأثير على غيره بصورة قوية، وأما إذا دنت فيتخلى عن منهجه ودعوته لأي عارض كان، فالاستقامة على طريق الدعوة لها تكاليف وتحتاج إلى همة عالية، تقود صاحبها للتخلي عن داعي شهواته والالتزام بما يأمره الله به، وذلك يشق على أصحاب الإرادات الضعيفة، والشخصيات المهزوزة، ومثل هذا النوع – أي ضعيف الشخصية – يكون غالبا منحط الهمة، سرعان ما يسيطر عليه غيره، ويوجهه، وربما استغل البعض هذا الجانب لديه ليحقق من خلاله مصالحه وأهواءه الشخصية[٢].

فيا أيها الداعية: «كن رجلاً رجله في الثرى وهمه في الثريا، وما افترقت الناس إلا في الهمم، من علت همته علت رتبته، ولا يكون أحدٌ إلا فيما رضيت له همته»[٣].

فعلى الداعية أن يكون عليّ الهمة في كل أموره، فيكون طموحه عالٍ جدّاً، فلا يطلب ولا ينظر إلا إلى معالي الأمور، فتعلو همته في عبوديته لله تعالى، وفي طلبه للعلم، وفي الدّعوة إلى الله تعالى، وفي علاقاته بمن حوله.

◆ رابعاً: أسباب دنو الهمة:

يمكن إجمال أسباب دنو الهمة في النقاط التالية:

١- حب الدنيا وكراهية الموت، فهما رأس كل خطيئة، وهو أصل التثاقل إلى

---

(١) توجيهات نبوية على الطريق د. السيد محمد نوح ص ٨- ٩بتصرف.

(٢) الحور بعد الكور، د. محمد بن عبدالله الدويش ص ٤٥ بتصرف.

(٣) ينظر: الهمة طريق القمة لمحمد بن حسن الشريف ص٢٧ نقلا عن نشر المثاني ٢/ ٢٢.

الأرض، والانغماس في الشهوات والتشاغل بها عن المهمات، وهما يورثان طول الأمل، والقعود عن المكارم خشية المخاطر.

٢- الكسل والخمول، فصاحب الكسل والخمول تراه دائماً في ذيل الركب راضياً بأقبح الأعمال وأحقر الوظائف لقلة همته.

٣- التسويف والتمني، فالتمني بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه المفاليس.

٤- مصاحبة أصحاب الهمم الدنيئة.

٥- عدم إعطاء كل حق حقه، فتجد الغلو في جانب من جوانب الحياة على الآخرى، كأن يغلب جانب الأسرة على جانب الدعوة والعمل الخيري، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

خامساً: أسباب معينة على علو الهمة الدعوية:

هناك أسباب مهمة معينة على علو الهمة من أهمها:

١- معرفة الأجر الكبير على الدعوة إلى الله تعالى:

فالآيات والأحاديث كثيرة جدّاً في فضل الدعوة وما أعده الله تعالى للدعاة من الأجر الكبير سواء اهتدى الناس أو لم يهتدوا.

٢- العلم والبصيرة:

فالعلم يرتقي بالهمة، ويرفع طالبه عن الحضيض ويصفي النية ويورث الفقه بمراتب الأعمال؛ فيتقي فضول المباحات من الكلام والمنام والنظر والطعام وينشغل بما هو أعلى منها، ويعرف خير الخيرين، وأولى الأعمال وأفضلها وأهمها وأقربها.

٣- إرادة الآخرة:

بجعل الهم هما واحداً.. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال ﷺ: (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة)(١).

٤- كثرة ذكر الموت:

فإنه الباعث الحثيث على إحسان العمل، والمسارعة إلى الطاعات، والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠].

٥- صحبة أولي الهمم ومطالعة أخبارهم:

ومن ذلك قراءة سير الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله، وسيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام وتابعيهم، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، كما قال تعالى بعد ذكر عدد من الأنبياء: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٦- المجاهدة والمصابرة:

وهو الصبر على النفس وسياستها وتعويدها بلوغ الغايات وأعالي المقامات وعدم الرضا بالدون، وكلما جاهد الإنسان نفسه في بلوغ القمم بلغها سواء في أمور الدنيا أو الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) جامع الترمذي صفة القيامة والرائق والورع باب (٣٠) (٢٤٦٥)، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا (٤١٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠).

القيمة الثامنة

الورع

الورع من القيم الأساسية للدعاة ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية[١]:

◆ **أولاً: مفهوم الورع:**

الورع لغةً:

الورع: التَّقْوَى والتَّحَرُّج والكَفُّ عن المحارِم. من وَرِعَ الرَّجُلُ -كوَرِثَ- والورِع، بكسر الرَّاءِ: الرجلُ التَّقِي المتَحَرِّج»[٢].

الورع اصطلاحاً:

الورع: «هو اجتناب الشبهات؛ خوفاً من الوقوع في المحرمات»[٣].

وقيل: «ترك ما لا بأس به؛ حذراً مما به البأس»[٤].

وقيل: «الكفُّ عن المحارم والتَّحرُّج منها، والكفُّ عن القبيح»[٥].

وقيل: «ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النّفس على الأشقِّ.

وقيل: النَّظر في المطعم واللِّباس، وترك ما به بأس.

(١) ينظر: كتاب الورع لابن أبي الدنيا، وكتاب الورع للمروزي، وشرح حدث «الحلال بين والحرام بين..» في جامع العلوم والحكم لابن رجب، والورع - محمد الدويش- مادة مفرغة منشورة على اسلام ويب.

(٢) انظر: لسان العرب ٨/ ٣٨٨، وتاج العروس ٢٢/ ٣١٣.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٢.

(٤) الفروق للقرافي ٤/ ٢١٠.

(٥) لسان العرب ٨/ ٣٨٨.

وقيل: تجنّب الشّبهات، ومراقبة الخطرات»[١].

فالورع باختصار: هو ترك ما تشك فيه وأخذ ما لا تشك فيه.

◆ ثانياً: الورع في السنة النبوية:

الورع مصطلح نبوي شرعي، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن قال لأبي هريرة رضي الله عنه: (كن ورعاً تكن أعبد الناس)[٢].

وقال ﷺ: **(وخير دينكم الورع)**[٣].

وجاء معنى الورع في أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله في المدارج: «وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة فقال: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**[٤]»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**[٦].

فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص٣٣٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (٤٢١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠).

(٣) مسند البزار ٧/ ٣٧١ (٢٩٦٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١٧١ (٣١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٤).

(٤) مسند أحمد ٣/ ١٧٣٧، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن بشواهده، والترمذي كتاب الزهد، باب ١١ برقم (٢٣١٨) واللفظ له. وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، وصححه الألباني صحيح جامع الترمذي (١٨٨٦).

(٥) مدارج السالكين ٢/ ٣٢.

(٦) جامع الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. برقم (٢٥١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم ٢/ ١٥ (٢١٦٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع[١] فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...)**[٢].

وهذه الأحاديث تمثل قاعدة الورع عما يشتبه منه، وتبين كذلك مفهوم الورع.

◆ ثالثاً: أهمية الورع في حياة الدعاة:

الورع قيمة عالية جدّاً ومرتبة عظيمة لا بد وأن يلتزمها الداعية، وهو يحتاج إليها في زمن مليء بالشبهات والشهوات والنوازل الحادثة؛ لكي يستقيم دينه وقلبه ويستطيع القيام بواجب الدعوة؛ فعليه أن يكون ورعاً حريصاً متحرياً للحلال في كل أمر يقوم به، مبتعدا عن أي شبهة تؤدي به إلى الحرام، متورعا عن بعض الحلال فمخافة الوقوع في حرامٍ.

فيكون ورعاً في نيته ونّظره وسّمعه ولسانه وبطشه وماله وشهوته وتعاملاته كلها، فلا يقرب أمراً يتحرج قلبه منه أو يجد منه ريبه.

فالدعاة في حاجة إلى الورع حتى يكونوا أنموذجاً يقتدى به بأفعالهم قبل أقوالهم، وتربية الدعاة على الورع هدفٌ من أهداف الداعية في الارتقاء بنفسه، وقيمةٌ علياَ من قيمه الدعوية.

فالدعوة تعاني كثيراً من الأمراض؛ مرجعها هو: ضعف الورع في النية والنظر والسمع والقول والحركة، وعدم التحرج من أمور مشتبهات تؤدي للحرام أو هي بوابة الحرام.

---

(١) الرَّتْعُ الأكل والشرب رَغَداً في الرِّيف. ينظر: لسان العرب ٣/ ١٥٧٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢).

◆ رابعاً: صور من الورع في حياة الدعاة:

١- ينبغي أن يتورع الدعاة في كلامهم ومنطقهم، فلا يتحدث الداعية إلا بما يعلم، ولا يقول إلا ما يحسن، ولا يدعو إلا بعلم، وأن يعلم أنه يوقع عن رب العالمين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢- حين يريد الداعية أن يقول كلمة حق، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر؛ فعليه أن يسأل نفسه: هل هذا مما يرضاه الله ورسوله ﷺ؟ هل هذا من الحق الذي لا مرية فيه؟ أم أن هناك مداخل أخرى، وهناك هوى للنفس؟

٣- الأصل أن أعراض الناس محفوظة، فلا يجوز الحديث عن أعراض الناس ولا ذمهم ولا غيبتهم، وحين تأتي حاجة تبيح ذلك فإنها ينبغي أن تكون محصورة ضمن هذه الدائرة، فأحياناً يغفل الداعية عن هذا الأمر فيتوسع في مثل هذه الميادين، وتتحول الحاجة إلى قاعدة عامة، وينسى أن أعراض المسلمين أعراض محفوظة لها حرمتها.

فالتطلع إلى معرفة دقائق أمور الناس وخفاياهم أمر محرم، وكذلك التطلع إلى دواخل الناس، فقد أمر ﷺ بأن يعامل الناس على ظاهرهم.

٤- ينبغي أن يراجع الدعاة أعمالهم الدعوية، وجهودهم ووسائلهم وبرامجهم، هل هي تنضبط بالضوابط الشرعية أم لا؟

فالواجب أن لا يفارق الدعاة الورع، وأن يستشعروا أن الدعوة عبادة يتقربون بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب أن تنضبط بالضوابط الشرعية.

ويجب أن يفرق بين صورتين، وبين أسلوبين في الوسائل والأساليب في المواقف الدعوية:

الأول: اتخاذ القرار ثم البحث والتأصيل له شرعيًّا، وهذا لا يجوز.

الثاني: البحث عن الحق بدليله ثم اتخاذ القرار بناء عليه، وهذا هو الواجب.

فيجب أن يكون القائد للدعوة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في أمور الدعوة صغيرها وكبيرها عامها أو خاصها، وأن يتجرد الدعاة عن الهوى، وإلا فهذا الباب فيه مداخل كثيرة جدّاً لا يمكن أن يتخلص منها الإنسان إلا بالورع والتقوى والصلاح والتجرد، نسأل الله الهداية والثبات والصلاح.

٥- بعض الدعاة قد يفهم الورع بطريقة غير شرعية فيقع في المحظور، وهذا الفهم نابع عن مدخل من مداخل الشيطان لنفسه، ومن تلك الصور: من يقعد ويسكت ويتخاذل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرى أن هذا ورع، أي: يزعم أنه يتورع عن الحديث للناس، والتصدر لهم، ويتورع عن نشر علمٍ آتاه الله إياه، ويتورع عن بيان علم قد علمه الله ﷻ إياه، ومن لا يتقدم للإمامة في الصلاة مثلاً تورعاً من ثناء الناس عليه بحسن صوته وحفظه وإتقانه لقراءة القرآن أو غيرها من العلل.

وهذا وغيره من الورع الكاذب الذي يتخذ منه بعض الدعاة مفرا للاعتذار، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: ﴿ائْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن، كما

قال ذلك «الجد بن قيس»[(١)] ومقصوده -قبحه الله- الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفا عن الشر.

قال الله تعالى مبينا كذب هذا القول: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير»[(٢)].

ومنهم من يتورع عن الدعوة بحجة أنه لا يعمل بما يدعو إليه، قال الحسن البصري لمطِّرف بن عبد الله رحمهما الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: «يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول؟! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر»[(٣)].

٦- مراعاة حال النفس في الورع، فالورع درجات يرتقي فيها الإنسان بصورة عامة والداعية بصورة خاصة، وهذا الأمر مهم أن يعيه الدعاة عند النظر في بعض الروايات عن السلف في ورعهم، حتى لا يقعوا في اللغط، والذي له أحياناً آثار سلبية على نفوسهم وواقعهم الدعوي، فالدعاة أحوج إلى الورع الواجب، وأحوج إلى اجتناب المحرمات الظاهرة الواضحة، وأحوج إلى إصلاح القلوب، فإذا انشغل الدعاة بالدقائق قد يجلب ذلك أمرين: الأول: شعور الدعاة بالزهو واحتقار الآخرين، والثاني: اشغال الداعية عما هو أولى به من إصلاح القلب، ومن الورع الواجب.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٤/ ٢٨٧ وغيره، انظر الدر المنثور ٧/ ٣٩٤-٣٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٦٧.

◆ خامساً: قواعد في الورع[1]:

من أهم قواعد وضوابط الورع:

القاعدة الأولى: الورع منه واجب ومنه مستحب:

وهذا لرفع التوهم أن الورع للخاصة والصالحين، وليس واجباً على آحاد الناس.

يقول شيخ الإسلام: «فأما الورع المشروع **المستحب** الذي بعث الله به محمداً ﷺ، فهو اتقاء ما يخاف أن يكون سبباً للذم والعذاب عند عدم المعارض الراجح، ويدخل في ذلك أداء الواجبات والمشتبهات التي تشبه الواجب، وترك المحرمات والمشتبهات التي تشبه الحرام، وإن أدخلت فيه المكروهات قلت نخاف أن تكون سبباً للنقص والعذاب.

وأما الورع الواجب، فهو اتقاء ما يكون سبباً للذم والعذاب، وهو فعل الواجب وترك المحرم، والفرق بينهما -أي بين الورع الواجب والمستحب- فيما اشتبه أمن الواجب هو أم ليس منه، وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه»[2].

القاعدة الثانية: أن ما لا ريب في حله ليس فيه ورع، بل الورع فيه من التنطع:

قال شيخ الإسلام: «فأما ما لا ريب في حله فليس تركه من الورع، وما لا ريب في سقوطه فليس فعله من الورع»[3].

القاعدة الثالثة: لا ورع عند وجود المعارض الراجح:

قال شيخ الإسلام: «وقولي عند عدم المعارض الراجح؛ فإنه قد لا يترك الحرام البين أو المشتبه إلا عند ترك ما هو حسنة -موقعها في الشريعة- أعظم من ترك تلك السيئة.

---

(١) جمع هذه القواعد ورتبها وعنونها د. محمد الدويش في شريط الورع وذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله، وهذا تلخيصها.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٨.

مثل من يترك الائتمام بالإمام الفاسق؛ فيترك الجمعة والجماعة والحج والغزو.

وكذلك قد لا يؤدي الواجب البين أو المشتبه إلا بفعل سيئة أعظم إثماً من تركه، مثل من لا يمكنه أداء الواجبات من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لذوي السلطان إلا بقتالٍ فيه من الفساد أعظم من فساد ظُلْمِه»(١).

القاعدة الرابعة: الورع يكون في الفعل كما هو في الترك:

يقول شيخ الإسلام: «لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات، إحداها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يبتلى به كثير من المتدينين المتورعة، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالم، أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أهل البدع في الدين، وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه، إما عيناً وإما كفاية وقد تعينت عليه؛ من صلة رحم، وحق جار ومسكين، وصاحب ويتيم وابن سبيل، وحق مسلمٍ، وذي سلطان وذي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى، بل من جهة التكليف ونحو ذلك»(٢).

القاعدة الخامسة: أن الورع إنما هو بأدلة الكتاب والسنة:

قال شيخ الإسلام: «ينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة، وبالعلم لا بالهوى، وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٩.

فيكون ذلك مما يقوي تحريمها واشتباهها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة، فتكون تلك الظنون مبناها على الورع الفاسد»[(١)].

ومنه الحديث المشهور عن الثلاثة الذين جاءوا فتورعوا، فعن أنس بن مالك رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: **(أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[(٢)].

القاعدة السادسة: لا ورع إلا بالإخلاص:

«فلا بد من الإخلاص، لأنه قد تأتي الإنسان شوائب واعتبارات، فقد يكون له مقام واعتبار، ويرى أنه مما لا يليق بأمثاله أن يفعله أمام الناس، فيكون دافعه لذلك مراءاة الناس، وقد يكون دافعه حظ النفس أو هوى النفس أو غيرها من الأمور، فالورع مثله مثل سائر الأعمال الصالحة التي يتقرب بها الإنسان عند الله عَزَّوَجَلَّ لا بد فيها من الإخلاص، فاعلم أن الورع لا ينفع صاحبه فيكون له ثواب إلا بفعل المأمول به من الإخلاص»[(٣)].

القاعدة السابعة: التدقيق في الورع للخاصة:

قال الحافظ ابن رجب: «وهاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع.

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١).

(٣) الورع – محمد الدويش– مادة مفرغة منشورة على اسلام ويب.

فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبه، فإنه لا يحتمل له ذلك، بل ينكر عليه. وهذا حال بعض المتكلفين المرائين يسلك هذا المسلك.

فقد سأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: إن كان بر أمه في كل شيء، ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل.

وجاء رجل من أهل العراق إلى ابن عمر وقت الحج يسأله عن بعوضة قتلها، فهل عليه دم أم لا؟! فقال ابن عمر: سبحان الله، يا أهل العراق تقتلون ابن رسول الله -أي الحسين بن علي- وتسألون عن دم البعوض!»[١].

القيمة التاسعة

النظافة وحسن المظهر

يمكن بيان قيمة النظافة وحسن المظهر وأهميتها في حياة الداعية في النقاط التالية:

◈ أولاً: أهمية قيمة النظافة وحسن المظهر في الإسلام:

«قيمة النظافة وحسن المظهر من القيم الإسلامية الراقية، فهي جزء من الإيمان، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام بالغ لا يدانيه اهتمام من الشرائع الأخرى، فليست مجرد سلوك مرغوب فيه أو متعارف عليه اجتماعيّاً يحظى صاحبه بالقبول الاجتماعي فقط، بل جعلها الإسلام قضية إيمانية تتصل بالعقيدة، يثاب فاعلها ويأثم تاركها في بعض مظاهرها»[٢].

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٨٣.

(٢) النظافة من منظور التربية الإسلامية، محمد سلامة الغنيمي، مقال منشور على شبكة الألوكة.

ويمكن بيان مظاهرها في النقاط التالية:

١- قد أمر الله بأخذ الزينة عند الذهاب للمساجد، واستنكر على من يحرم الزينة والتزين من غير إسراف، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

٢- النظافة الشخصية جعلها الله سمة من سمات الرجال، وهذه السمة جعلتهم ينالون شرف محبة الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] وقرن الطهارة بالتوبة فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٣- وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أمراً مباشراً بها في بداية التكليف بالدعوة فقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤]. فالطهارة لا بد أن تكون هي حالة المتلقي عن الله، والبلاغ عن الله، الطهارة الكاملة الحسية والمعنوية.

٤- بيَّن النبي ﷺ أن الصلاة عمود الدين لا تقبل بغير طهارة، (لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ)[١].

٥- جعل النبي ﷺ الطهارة نصف الإيمان، حيث قال: (الطهور شطر الإيمان)[٢]، «معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.. وقيل المراد بالإيمان هنا الصلاة، والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا وهذا القول أقرب الأقوال»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، باب وجوب الطهارة للصلاة (٢٢٤).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣).
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٠١.

٦- والله تعالى يحب جميل يحب الجمال، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: **(إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر**[١] **الحق، وغمط**[٢] **الناس)**[٣].

٧- والله تعالى ينعم على العباد بنعم ويريدهم أن يظهروها على أنفسهم، وأن يظهروا للناس بالمظهر الحسن، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)**[٤]، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه، مستحضراً لها، شاكراً عليها، غير محتقر لمن ليس له مثله، لا يضره ما لبس من المباحات، ولو كان في غاية النفاسة»[٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالله سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده؛ فإنه من الجمال الذي يحبه، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يبغض القبيح؛ من الأقوال والأفعال والثياب والهيأة، فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله»[٦].

---

(١) **البَطَر**: الطُّغْيان عِنْدَ النّعْمة وطُولِ الْغِنَى. وَقِيلَ هُوَ أَنْ يتجبَّر عِنْدَ الْحَقِّ فَلاَ يَرَاهُ حَقّاً. وَقِيلَ هُوَ أَنْ يتكبَّر عَنِ الْحَقِّ فَلَا يقبلُه. ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٣٦.

(٢) **الغَمْط**: الاسْتِهانة والاسْتِحْقار. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٨٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ١٥٠ (٧١٨٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب ٦/ ٣١٥ (٤٢٥١)، وجامع الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢٨١٩) وقال: هذا حديث حسن.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٥٩.

(٦) الفوائد ص١٨٤.

٨- بلغ من عناية الإسلام بالنظافة وحسن المظهر أن جعل نظافة الطرقات والأماكن العامة من شعب الإيمان التي يؤجر عليها الإنسان، فما بالك بالنظافة الشخصية، والمظهر الحسن للشخص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق)**(١). وقال رسول الله ﷺ: **(ويميط الأذى عن الطريق صدقة)**(٢).

فالإسلام يربي المجتمع بأفراده وبيئته أن يكون مجتمعاً نظيفاً يظهر بالمظهر الحسن.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى تقدير الإسلام للنظافة وحسن المظهر، لأنها من العوامل الأساسية في الحفاظ على الصحة، والوقاية مما يضر البدن والبيئة.

◈ ثانياً: أهمية قيمة النظافة وحسن المظهر في حياة الدعاة(٣):

تكتسب هيئة الداعية ومظهره العام أهمية واضحة بين قيم الداعية، بيانها في أمور:

١- النظافة وحسن المظهر رسالة تعريفية بالإسلام من الداعية إلى كل من يراه، فهناك أغلبية من المجتمع تنظر إلى مظهر الداعية وهيئته، ويتأثرون بها، ويحكمون على دعوته من خلال المظهر العام.

٢- نظافة الداعية وحُسن سمته ومظهره وذوقه الرفيع جزء أساس من واجبه في الدعوة، وقد رأينا في الناس مَنْ يَعْرِض بضاعته الجيدة في مكان ليس حَسَناً، لا تَرُوجُ فيه بضاعته، على جودتها؛ لأنه أساء إليها بوضعها في المكان غير المناسب، فعن

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان(٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (٢٩٨٩). ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(٣) بعض أفكار هذه النقطة من مقال بعنوان: الداعية وحسن المظهر- منشور على الشبكة.

عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة)**(١).

٣- إن مظهر الداعية هو أول ما يواجه المدعوين، فأول ما ينطبع في الذهن شكل الداعية، حيث إن هيئة الداعية وجمال مظهره تجذب المدعوين؛ لأن النفوس جبلت على حب الجمال والمظهر الحسن. والداعية إذا كان رث الثياب قبيح الصورة فإن ذلك مما ينفر الناس منه، ولا يكون لكلامه أثر.

٤- إن كثيراً من المدعوين عندما يحدثهم الداعية عن مخالفات يقعون فيها يفتشون مباشرة في مظهره، وما يمكن أن يكون منه لأمر من أوامر الشرع، فينظرون مثلاً إلى لباسه ومظهره العام، ومدى اتباعه لهدي رسول الله ﷺ، فصدق الداعية يظهر بوضوح في التزامه التام بتعاليم الإسلام في المظهر العام؛ والتزامه بمظهر حسن أدعى إلى قبول قوله.

٥- «إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

٦- إن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق

(١) مسند أحمد ٤/ ٤٣٢ (٢٦٩٨)، وقال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره، والبخاري في الأدب المفرد (٧٩١)، وسنن أبي داوود في كتاب الأدب، باب الوقار (٤٧٧٨) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٩١).

ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين»[١].

٧- ما أجمل أن يلتزم الداعية بالزي الذي يتميز به الدعاة عن غيرهم؛ فإن أثر ذلك فاعل ومشاهد، وهذا ما جاء الشرع بطلبه من تحسين الهيئة أو الشكل والنظافة، وسائر الأفعال التي تؤدي إلى التآلف بين الناس، ولا تنفر بعضهم عن بعض.

٨- إحسان المظهر العام، في الملبس والشعر والرائحة والنظافة، عندما يحتسبها الداعية إلى الله، ويريد بها رفعة هذا الدين، وتمثيل الإسلام التمثيل التام، وإغاظة الأعداء، فإذا قصد هذا القصد فهو مثاب عند الله، فالوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن القصد عال شريف، وهو الدعوة إلى الله، فكذلك الوسيلة هنا ترتفع لتلحق بالقصد[٢].

٩- النظافة وحسن المظهر تفيد الداعية نشاطاً وهمة، وتزيل ما يعرض لجسده من الفتور والاسترخاء.

١٠- عدم النظافة وسوء المظهر مجلبة الأمراض والأدواء الكثيرة، كما هو ثابت في الطب؛ ولذلك نرى الأطباء ورجال الحكومات الحضرية، يشددون في أيام الأوبئة والأمراض المعدية، -بحسب سنة الله تعالى في الأسباب- في الأمر بالمبالغة في النظافة، وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصلح الناس أجساداً، وأقلهم أدواءً وأمراضاً؛ لأن دينهم مبني على نظافة الأبدان والثياب والأمكنة؛ فإزالة ما يولد الأمراض من فروض دينهم.

١١- من كان نظيف البدن والثياب كان أهلاً لحضور كل اجتماع، وللقاء فضلاء الناس وشرفائهم، ويتبع ذلك أنه يرى نفسه أهلاً لكل كرامة يكرم بها الناس، وأما من يعتاد الوسخ والقذارة فإنه يكون محتقراً عند كرام الناس، لا يعدونه أهلاً لأن يلقاهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (١/ ٩٢-٩٣).

(٢) مظهر الداعية، موقع هدي الإسلام.

ويحضر مجالسهم، ويشعر هو في نفسه بالضعة والهوان.

◈ ثالثاً: النظافة وحسن المنظر من صور قوة الدعاة:

عناية الداعية بالنظافة والتجمل والصحة والتطهر جزء من العناية بقوة المسلمين، إن المطلوب أجسامٌ تجري في عروقها دماء العافية، وتمتلئ أبدان أصحابها قوة وفتوة، فالأجسام المهزولة لا تطيق حملاً، والأيدي غير المتوضئة قذرة، لا تقدم خيراً، ورسالة الإسلام أوسع في أهدافها، وأصلب في كيانها من أن تحيا في أمة مريضة موبوءة عاجزة، قال ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)**[(١)]. قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك»[(٢)].

أي: «أن المؤمن القوي في إيمانه، **والقوي في بدنه** وعمله: خيرٌ من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله؛ لأن المؤمن القوي يُنتج ويَعمل للمسلمين وينتفع المسلمون بقوته البدنية وبقوته الإيمانية وبقوته العملية، ينتفعون من ذلك نفعاً عظيماً في الجهاد في سبيل الله، وفي تحقيق مصالح المسلمين، وفي الدفاع عن الإسلام والمسلمين وإذلال الأعداء والوقوف في وجوههم، وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف، فالمؤمن القوي أكثر خيراً من المؤمن الضعيف، لنفسه ولدينه ولإخوانه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢١٥.

المسلمين، فهذا فيه الحث على القوة، ودين الإسلام هو دين القوة، ودين العزة، ودين الرفعة، دائماً وأبداً يُطلب من المسلمين القوة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]»[١].

فالمؤمن يحتاج لقوة جسمه كي يقوم بالتكاليف الشرعية وعمارة الأرض، ولكي تحوز قوة الجسم لابد من أمرين: **الأول**: إحسان التعامل مع الجسم، وتوفير الاحتياجات اللازمة لقوته دونما إفراط أو تفريط. **والثاني**: صيانة الجسم والإسراع بمعالجة ومداوة أي خلل يصيبه، ويحسن في هذا العصر الذي نحياه -مع كثرة الملوثات التي تُحيط بالإنسان- أن يُجري كشفاً دوريّاً عامّاً على بدنه، ليكتشف أي علة أو مرض قبل أن يتمكن من الجسم والأعضاء والمسارعة بعلاجه.

◈ رابعاً: نماذج في العناية بالنظافة وحسن المنظر:

أعظم نموذج في النظافة وحسن المنظر إمام الدعاة ﷺ، فقد كان أطيب الناس ريحا وأبهاهم منظرا، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما مسست حريراً ولا ديباجاً**[٢] **ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط -أو عرفاً قط- أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ**»[٣].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كان النبي ﷺ مربوعاً، وقد رأيته في حلة حمراء، ما رأيت شيئاً أحسن منه»[٤].

وكان هذا هدي السلف -رحمهم الله- من العناية بالنظافة وحسن المظهر، ومن

---

(١) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ٥/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) الثَّوب من الدِّيباج وغيره إذا كَانَ رقِيقاً حَسَنَ الصَّنْعة. ينظر: المخصص ١/ ٣٨٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه (٢٣٣٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الثوب الأحمر (٤٨٥٨).

ذلك، قال ابن مفلح: «روى الخلال في أخلاق الإمام أحمد عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سمته وإلى هيئته، ثم يأخذون عنه.

وعن الأعمش قال: «كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء، حتى لباسه ونعليه»[١].

وقال الإمام الذهبي: «قال عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة: رأيت أبا حنيفة شيخا يفتي الناس بمسجد الكوفة، على رأسه قلنسوة سوداء طويلة، وعن النضر بن محمد، قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه، سري الثوب، عطر الريح، وعن حماد بن أبي حنيفة، قال: كان أبي جميلا، تعلوه سمرة، حسن الهيئة، كثير التعطر، هيوبا»[٢].

وقال قتيبة: «كنا إذا دخلنا على مالك خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً، قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة»[٣].

عن يحيى بن عبدالله بن بكير قال: «كان مالك إذا عرض عليه الموطأ تهيأ ولبس ثيابه وتاجه أو ساجه وعمامته، ثم أطرق فلا يتنخم ولا يبزق، ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة، إعظاماً لحديث رسول الله ﷺ»[٤].

قال الخزاعي: «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، وقلنسوته، ومشط لحيته. فقيل له في ذلك. فقال: أوقر به حديث رسول الله ﷺ»[٥].

و«كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل، وتبخر، وتطيب، فإن

---

(١) الآداب الشريعة لابن مفلح ٢/ ١٤٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩ وما بعدها باختصار.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٤.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ٣٣.
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ٤٣.

رفع أحد صوته في مجلسه زبره، وقال: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ»[(١)].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»[(٢)].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن»[(٣)].

وقال الشافعي: «من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله»[(٤)].

وعن عبدالملك الميموني قال: «ما أعلم أني رأيت أحداً، أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشده بياضاً من أحمد بن حنبل»[(٥)].

ويقول الإمام السيوطي: «ويستحب له إذا أراد حضور مجلس التحديث أن: يتطهر ويتطيب، ويسرح لحيته، ويجلس متمكنا بوقار»[(٦)].

وهذه النصوص كلها تبين أن حسن النظافة والمظهر أدب مع كلام الله وكلام

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ١١١

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك- القاضي عياض ١/ ٣١.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك- القاضي عياض ١/ ٣١.

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٢٥٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٨.

(٦) تدريب الراوي ٢/ ٥٧١.

رسول الله والهدى الذي يحمله الداعية، لأن ذلك من هدي السلف الصالح المقتدى بهم، فلا بد أن يكون الوعاء الذي يقدم فيه الخير وعاء نظيفاً ومظهره جميلاً.

◈ خامساً: تنبيهات واستدراكات عن النظافة وحسن المظهر للدعاة:

هناك بعض الأمور في هذا الجانب لابد من التنبيه عليها من خلال النقاط التالية:

١- الدعاة إلى الله أولى الناس بامتثال واتباع هدي النبي ﷺ في هديه الظاهر وحسن المظهر، ومع هذا فإذا لم يكن باستطاعة الداعية فعل ذلك، فلا ينبغي له أن يكتم علمه ويتوقف عن الدعوة إلى الله؛ بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بعلم وبصيرة، وكم من داعية يعتبره كثير من الناس ليس أنيقاً، ولكنه أسر قلوبهم بعلمه ودعوته وحسن أخلاقه ومواعظه وهذا هو الأهم.

٢- المطلوب أن يكون الداعية متجملاً، متطيباً، ويكون مجلسه وسيعاً، يستقبل فيه الأخيار البررة، وأن يكون له مركب طيب، فإن هذا لا يعارض سنة الله ﷻ، ولا سنة رسوله ﷺ؛ وأن يكون له في كل حالةٍ ما يناسبها، وأن يظهر الخشية والخشوع والفقر أمام الله ﷻ.

٣- ينبغي أن يكون الاهتمام بالمظهر الحسن من غير إسراف ولا تكبر ولا لباس شهرة، وعلى الداعية ألا يتشاغل بالدنيا تشاغلاً يثنيه عن طريقه، أو يبعده عن مدعويه وترفعه عليهم.

٤- من الناس من يرى أن على الداعية أن يلبس لباس الضعفاء! وهذا ليس بصحيح، لأن الله ﷻ قد أحل الطيبات، ويؤكد هذا اهتمام النبي ﷺ بمظهره، وعنايته بذلك كما سبق.

٥- القول بأن الإسلام طلب من أهله أن يلبسوا المرقع والمقطع والمهلهل من

الثياب، وأن ذلك من الإسلام فهذا افتراء على الدين، وتشويه حقيقي لصورة الإسلام، وإلحاق النقيصة به، في حين أنه دين يدعو إلى الطهارة والنظافة، ويربط الإيمان بالذوق والجمال بلا تكلف ولا سرف ولا خيلاء.

◈ سادساً: نماذج من النظافة وحسن المظهر:

هناك بعض الأمور الأساسية على الداعية أن يعتني بها ليكون نظيفاً وحسن المظهر:

١- **العناية بالشعر،** فأمر ﷺ بتهذيب الشعر فقال: **(من كان له شعر فليكرمه)**[(١)]، أي: يتعهده بالتسريح والترجيل والدهن، ولا يتركه حتى يتشعث لكن لا يبالغ[(٢)].

٢- **العناية بالفم،** ومن ذلك أن النبي ﷺ حثنا أن نستاك، فقال: **(السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)**[(٣)]، وقد ثبت الأمر بالسواك في مواضع كثيرة منها، عند الوضوء، وعند القيام للصلاة، وعند التجمل للجمعة، وعند القيام من النوم، وعند قيام الليل، وعند دخول المنزل، وعند قراءة القرآن، وعند تغيير رائحة الفم، وللصائم، وعند الاحتضار[(٤)].

٣- **العناية بالثياب،** فقال رسول الله ﷺ، **(ما على أحدكم إن وجد أو ما على أحدكم إن وجدتم؛ أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته)**[(٥)].

وقد أمر ﷺ بلبس البيض من الثياب، وكانت أحب الثياب إليه، وقال: **(البسوا**

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر (٤١٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٩٣).

(٢) فيض القدير ٦/ ٢٠٨.

(٣) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، وأحمد ١/ ١٨٦ (٧) وقال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره، وسنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب السواك (٢٨٩).

(٤) ينظر: المجموع للنووي ١/ ٢٦٩، نهاية المحتاج للرملي ١/ ١٦٢، حاشية ابن عابدين ١/ ٧٨، نيل الأوطار للشوكاني ١/ ٢٤، المغني لابن قدامة ١/ ٧٨، الفتوحات الربانية لابن علان ٣/ ٢٥٦، الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين ١/ ١٣٧.

(٥) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة (١٠٨٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٨٩).

الثياب البيض؛ فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم)[(١)].

٤- نظافة الجسم: وذلك بالحرص على سلامته من الأقذار والنجاسات، والمبادرة إلى إزالتها إذا أصيب الجسم بشيء منها، فقد نبه النبي ﷺ إلى ضرورة الاغتسال ولو مرة في الأسبوع بقوله: **(حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ)**[(٢)]، وكذلك الحث على الوضوء وإسباغه، فقال ﷺ: **(ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟)** وذكر منها: **(إسباغ الوضوء على المكاره)**[(٣)].

٥- التطيب، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(حبب إلي من دنياكم: النساء والطيب)**[(٤)]، وعن أنس رضي الله عنه: أنه كان لا يرد الطيب، وزعم أن النبي ﷺ **(كان لا يرد الطيب)**[(٥)]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **(من عرض عليه ريحان فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل، طيب الريح)**[(٦)].

٦- تجنب الأكل من بعض الأطعمة التي تسبب الرائحة المزعجة، لا سيما عند إرادة الاجتماع بالناس، وخاصة صلوات الجماعة والجمعة. ومن قبيل هذا: النهي عن أكل الثوم والبصل وما شابههما إذا أراد صلاة الجماعة، ومن ذلك قوله ﷺ: **(مَنْ**

(١) سنن أبي داوود كتاب اللباس باب البياض (٤٠٦٣)، سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب البياض من الثياب (٣٥٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٠٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ (٨٩٧)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (٨٤٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره (٢٥١).

(٤) مسند أحمد ١٩/ ٣٠٧ (١٢٢٩٤) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من لم يرد الطيب (٥٩٢٩).

(٦) أخرجه مسلم كتاب الألفاظ، باب من استعمال المسك وكراهة رد الريحان (٢٢٥٣).

أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)[(١)].

٧- **سنن الفطرة**، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **(خمس من الفطرة؛ الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وأخذ الشارب)**[(٢)].

وهذه كلها من قيم النظافة والصحة.

والخلاصة:

على الداعية أن يهتم بقيمة النظافة وحسن المظهر ليقيم دينه، ويحفظ نفسه وصحته، ويكون أنموذجا للداعية الطاهر النظيف، الذي يُظهر الإسلام بالمظهر الذي أراده الله له، فيهتم برائحة جسمه وملابسه وفمه، وتقليم أظافره، وكذلك نظافة لباسه وحسن ترتيبه، ونظافة المكان الذي يعيش فيه، أو يستخدمه من بيت أو سيارة، أو مكان عام ينزل فيه.

ولا بد له أن يهتم بمظهره الشخصي، وأن يظهر الوقار والسكينة، وأن يلبس لباس أهل الخير، وأهل العلم، فإن لكل قوم لباساً، ويمشي مشية أهل العلم، ويكون مظهره جميلاً، وأن يكون متطيباً، محافظاً على الغسل، حتى يكون قدوة صالحة يمثل الدعوة تمثيلاً طيباً أمام الناس، لأنه يمثل الإسلام؛ فليكن معروفاً به بمظهره، وهذا أدعى لقبول دعوته بإذن الله تعالى.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها (٥٦٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب (٥٨٨٩)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (٢٥٧).

القيمة العاشرة

الاهتمام بأمور المسلمين

من القيم التي يجب أن لا تغيب عن الداعية قيمة الاهتمام بأمور المسلمين، فهذا الأمر واجب على المسلمين، وعلى الداعية أوجب، كلٌّ بما يستطيع.

ونبين أهمية ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: الأدلة على وجوب الاهتمام بأمر المسلمين:

يقول الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [التوبة:٧١]، «أي: قلوبهم متحدة في التوادد والتحابب والتعاطف بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الإيمان بالله»[(١)]. «فنسبتهم بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك»[(٢)].

إن رابطة الدين هي أعظم وأقوى الروابط على الإطلاق، ومِن حقوق هذه الرابطة الإيمانية: أنْ يهتم الداعية بشأن إخوانه المسلمين، وإن اختلفت الأوطان، وتعدَّدت اللغات، وتباعدت الأجساد، هذا الاهتمام الذي يدفع الداعية لدعوتهم، وللعمل من أجل نفعهم، ونجدتهم، ورفع الضيم والظلم عنهم.

فرسول الله ﷺ يقول: **(مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطُفهم وتراحمهم؛ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)**[(٣)].

---

(١) فتح القدير للشوكاني٢/ ٣٨١.

(٢) ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٨٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦٥)،

وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره.. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[١]. ويقول ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: (من نَفَّسَ عن مسلم كُرْبةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يَسَّر على مُعْسرٍ يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[٣].

فهذه الأدلة كلها تدل على وحدة المسلمين وترابطهم، وأنه لا بد أن يهتم المسلم بشأن إخوانه، فهم كالجسد الواحد، ولا يتصور أن يهمل الإنسان يده أو رجله أو أي عضو من أعضائه فيتركه ولا يتحسس آلامه، إلا إذا كان أشل ميتاً، وبقدر إيمان المؤمن تتقد فيه تلك الجذوة ويتحرك فيه ذلك الإحساس، وقد قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٤].

ثانياً: الاهتمام بأمور المسلمين في سيرة النبي ﷺ:

وقد كان اهتمامه ﷺ بأحوال المسلمين متجلِّياً في كل حياته، فحين أتاه قوم من مضر عليهم علامات الفقر، - حفاة الأقدام، مُمَزَّقوا الثياب، ليس لديهم من حطام الدنيا شيء- تغيَّر وجهه، وجعل يدخل ويخرج مهموماً حزيناً، ثم صعد المنبر، فحرض المؤمنين على الصدقة لكفاية هؤلاء الفقراء، فقال: (تصدق رجل من درهمه،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.. (٦٧٠٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر (٢٦٩٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣).

من ديناره، من صاع بُرِّه، من صاع تمره، ولو بشق تمرة)، فجاء رجل بصُرَّةٍ تعجز عنها يده، وتتابع الناس، عندئذٍ تهلَّل وجهه، وعاد إليه إشراقه وتبسُّمه[(١)].

كما مكث شهراً يدعو للمستضعفين من المسلمين الذين يعانون إيذاء المشركين واضطهادهم، وكان يقول في دعائه: **(اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)**[(٢)].

ولما أصيب القراء في وقعة بئر معونة شعر ﷺ بمصابهم ووجِد عليهم وجدا شديدا حتى قال أنس رضي الله عنه: «**فما رأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَزِنَ حُزْناً قَطُّ أَشَدَّ منه**»[(٣)].

وبلغ من اهتمامه بأمر المسلمين أنه كان يتحمل عمن مات منهم دَيْنَه حين وسَّع الله عليه، فكان يقول: **(أنا أَوْلَى بالمسلمين من أنفسهم، فمَن مات وعليه دَين؛ فعلينا قضاؤه، ومَن تَرَكَ مالاً فلورثته)**[(٤)].

ويلخِّص عثمان رضي الله عنه ذلك بقوله: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[(٥)].

نعم كان يعود المرضى، ويدعو لهم، ويشهد جنازة مَن مات، ويهتم بشأن اليتامى والأرامل، بل كان يهتم بشأن الأفراد من أُمَّته.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة (١٠١٧)، وفي كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة، والمعجم الكبير للطبراني ٢/ ٣٣٠ (٢٣٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب دعاء النبي ﷺ: **(اجعلها عليهم سنين كسني يوسف)** (١٠٠٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن (١٣٠٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: **(من ترك مالا فلأهله)** (٦٧٣١).

(٥) مسند أحمد ١/ ٥٣٢ (٥٠٤) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

هكذا كان شأنه ﷺ في الاحساس بالمؤمنين، ومحبته لهم، ورحمته بهم، وسعيه في نصرتهم ونجدتهم، وكذا لا بد أن يكون الدعاة والمصلحون.

ثالثاً: واجب الدعاة تجاه إخوانهم المسلمين وقضاياهم:

واجب الداعية تجاه إخوانه هو معرفة أخبارهم وأحوالهم، وما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم، وقضاياهم في بلادهم، وينبني على تلك المعرفة واجبان أساسيان:

الواجب الأول: نصرة قضايا المظلومين والمضطهدين منهم:

فينطلق الداعية في دعوته من شعوره بارتباطه بإخوانه المسلمين في كل مكان، فيتألم لآلامهم، ويفرح لأفراحهم، ويبذل ما يستطيع لتفريج كُرُباتهم، ويسأل عن أخبارهم، ويعين ضعيفهم، وينصر مظلومهم، ويمنع ظالمهم، **وأقل أحواله**: أن لا يغفل عن الدعاء لإخوانه بظهر الغيب، فإن الذي لا يهتم لأمر إخوانه ولا يتأثر بما يصيبهم من فرح أو حزن؛ إنما هو كالعضو الأشل الميت الذي لا يحس.

فعلى الداعية أن يقوم **بالنصرة وعدم** الخذلان بالوسائل المشروعة والمستطاعة لإخوانه المستضعفين في كل مكان.

فلا يترك قضية تحتاج لنصرة إلا ونظر فيها، وعرف قدر استطاعته فيها، ودعا الناس للتعاون على نصرتهم وعدم خذلانهم، بالطرق الفردية والمؤسسية والقانونية والإعلامية.

النصرة بالمال: وذلك بالإنفاق في نصرتهم، ودعم قضاياهم، وتفريج كرباتهم، وحث الناس على ذلك.

ومن أقوى الوسائل **النصرة بالدعاء**، فالدعاء هو سهام الليل التي لا تخطئ! فلا ينسى الداعية الدعاء ولا يستهين به أبداً.

الواجب الثاني: العمل على تعليمهم وتعريفهم بالإسلام حق المعرفة:

هناك عدد كبير من المسلمين يعيشون في مجتمع غير المسلمين ويعتبرون أقلية، وقد يكونون مضطهدين، فلا بد من نصرتهم كما مر في الواجب الأول، وقد يكونون غير مضطهدين، ولكن يحتاجون إلى من يعلمهم ويفقههم بالإسلام ورسالته وأحكامه، ويغرس الإيمان في قلوبهم، ويعينهم على إقامة دينهم، والحفاظ على هويتهم الإسلامية، وهوية أولادهم.

وهذا واجب عظيم جدّاً، وعلى الدعاة أن يقوموا به بأنفسهم، ويُعدوا لذلك الدعاة والمعلمين ويرسلوهم لتلك البلاد، ويبنوا المدارس والمعاهد الإسلامية، ويقوموا بزيارات متعددة لكل البلدان ليبحثوا عن المسلمين فيها ويعلموهم ويثبتوهم.

ومنه دراسة أحوال المسلمين في دول الأقليات والتعرف على احتياجاتهم وتلبيتها بقدر المستطاع، والتعاون مع الجهات الأهلية والحكومية على التعرف على أحوالهم، وتفعيل المسلمين أن يتجهوا للاهتمام بتعليم المسلمين في تلك البلاد.

الفصل الخامس

حقوق الدعاة

للداعية إلى الله حقوق على المدعوين، أو على الجهات القائمة على الدعوة، أو على ولي الأمر المناط به أمور الدعوة.

ويمكن إجمال هذه الحقوق في المباحث التالية:

المبحث الأول: التوقير وحسن الخلق مع الدعاة.

المبحث الثاني: المناصحة وعدم التقليد لأخطاء الدعاة.

المبحث الثالث: النصرة والتأييد للدعاة.

المبحث الرابع: حفظ أعراض الدعاة والنهي عن تتبع زلاتهم.

المبحث الخامس: احترام خصوصيات الدعاة.

المبحث السادس: تحقيق الأمن للدعاة وعدم أذيتهم.

المبحث السابع: الصبر على ما يصدر من الدعاة.

المبحث الثامن: الدعاء للدعاة.

المبحث الأول

التوقير وحسن الخلق مع الدعاة

ويمكن إجمال الكلام في هذا في المطالب التالية:

المطلب الأول: أهمية التوقير وحسن الخلق مع الدعاة.

المطلب الثاني: توجيهات السلف بالأدب مع العلماء والدعاة.

المطلب الثالث: نماذج من توقير العلماء والدعاة والأدب معهم.

المطلب الأول
أهمية التوقير وحسن الخلق مع الدعاة

لا بد من توقير الدعاة وحسن الخلق معهم، فهم خير الخلق كما قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكلامهم خير الكلام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وبيان هذا الأمر في النقاط التالية:

أولاً: الأدب مع العلماء والدعاة سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

قال تعالى عن وعد موسى عليه السلام للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، «فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم»[١].

ثانياً: توقير الدعاة من توقير رسول الله ﷺ:

فالتوقير والأدب مع الدعاة والعلماء مستنبط من الأدب مع رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٤.

﴿ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

فتشير الآية إلى عدم رفع الصوت في مجلسه سواء في الحديث معه ﷺ أو مع غيره، ولا يخاطب الرسول ﷺ باسمه وكنيته كما يخاطب الناس بعضهم بعضا.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم عن ذلك إعظاماً لنبيه، فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله»[(١)]، فأمرهم أن يشرفوه ويوقره، فيقولوا يا رسول الله في رفق ولين[(٢)].

فقد ربط العلماء بين الأدب مع الله ورسوله وبين الأدب مع العلماء، لأنهم الذين يبلغون عن الله وعن رسول الله ﷺ، ولذا فيجب الأدب مع من يحمل كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، وذلك لأنهم هم الوارثون للرسل، والمبلغون شرائعهم من بعدهم.

فلا بد للداعية من وقار وهيبة، مع تواضعٍ ولين جانب، وأن لا ينسى المدعوين أنه معلمهم ومرشدهم، فيدعونه دعاء بعضهم بعضاً.

والداعية وإن صَغُر سِنُّه فهو كبير في أمته ومجتمعه، وإذا جمع بين الدعوة والسن فهذا يزيد الأمر وجوباً وأهمية، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **(إن من إجلال الله؛ إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه)**[(٣)].

فالإسلام حريص على أن تبقى للداعية منزلة في نفوس من يدعوهم، يستحيون أن يتجاوزوا معها حدود الاحترام والتقدير والتوقير.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧/ ٢٦٥٤، الدر المنثور ١١/ ١٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٣٢٢.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم(٤٨٤٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٩٩).

ثالثاً: الوعيد لمن لم يتأدب مع الدعاة والعلماء:

فمن أساء الأدب مع العلماء فقد أساء الأدب مع الله ومع رسول الله ﷺ، لأن هذه الإساءة لن تقف عند أشخاص العلماء، بل تتعدى إلى ما يحملونه من كتاب وسنة، وقد قال النبي ﷺ: **(من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب)**[(١)]، فإذا لم يكن العلماء من أولياء الله تعالى فمن سيكون من أولياء الله تعالى إذاً؟

فقد روى الخطيب البغدادي عن الشافعي وأبي حنيفة أنهما قالا: «إن لم يكن الفقهاء أولياء لله فليس لله ولي»[(٢)].

المطلب الثاني

توجيهات السلف بالأدب مع العلماء والدعاة

رويَ عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً وموقفاً أنه قال: «تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن تعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء»[(٣)].

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرنّ عنده بيدك، ولا تغمزن بعينك، ولا تقولن: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابنّ عنده أحداً ولا تشاور جليسك في مجلسه»[(٤)].

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).
(٢) مصرع التصوف ٢٠١.
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ٥٠١.
(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٩.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه وإن كان أصغر منه سناً وأقل شهرةً ونسباً وصلاحاً، وينبغي أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ويعتقد كمال أهليته ورجحانه»[(١)].

وقال ابن جماعة عند حديثه عن الأدب مع العلماء: «أن لا يتشاغل عنهم، ولا يتحدث في حضرتهم. ولا يستهزئ بهم، قال الصعلوكي رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال لشيخه: لم؟ على سبيل الاستهزاء لم يفلح»[(٢)].

وقال: «وينبغي أن لا يقطع على الشيخ كلامه، أيُّ كلامٍ كان، ولا يسابقه فيه، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم، ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه أو مع جماعة المجلس»[(٣)].

وقال طاووس: «إن من السنة توقير العالم»[(٤)].

ولقد بلغ السلف في ذلك مبلغاً عظيماً، فقد ورد عن الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله أنه قال: «ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً منه»[(٥)]

قال عطاء: «إن الرجل ليحدث بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه أبداً وقد سمعته قبل أن يولد»[(٦)]، هذا مع كل الناس فما بالك لو كان الذي يتكلم معلماً أو شيخاً.

وهنا جانب مهم من توقير الدعاة يقول فيه الشيخ محمد المختار الشنقيطي:

«وليعلم كل طالب منتسب إلى شيخه أن عليه أن يزين هذه النسبة، وألا يشينها، فيكون

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٨ باختصار.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٢٧.

(٣) تذكرة السامع والمتعلم ص ١٠٧.

(٤) تذكرة السامع والمتعلم ١/ ٤٥٩.

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٨.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٠٩.

عفيفاً عن أهل العلم، وعن حدود الله ﷻ ومحارمه، وعن العلماء. وأوصيه بتقوى الله في أهل العلم من السابقين والباقين، ممن قضوا ومضوا رحمة الله على الجميع، أوصي باحترامهم، وتوقيرهم، وحفظ حقوقهم، وكل إنسان محسوب على نفسه، وعندما يقال: هو من طلاب فلان، فلا يؤذي شيخه بل لا يؤذي حتى طلابه ويشينهم. وهذا أمر أحب أن أوصي به؛ لأن الزمان كثرت فيه الفتن، وإن شاء الله طلاب العلم هم أرفع من هذا كله، لكن كثرة الفتن والمحن توجب التنبيه على مثل هذه الأمور»[(١)].

ومن الأدب معهم عدم مماراتهم، قال الزهري: «كان سلمةَ يماري ابن عباس؛ فحُرِم بذلك علماً كثيراً»[(٢)].

وقال الحافظ ابن عبدالبر: «وروينا من وجوه كثيرة عن أبي سلمة -وكان يجادل ويماري ابن عباس- قال: لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً»[(٣)].

قال ميمون بن مهران: «لا تمار من هو أعلم منك، فإنك إن ماريته خزن عنك علمه، ولا يبالي ما صنعت»[(٤)].

كل هذه النصوص تبين أهمية توقير الدعاة أهل العلم وحسن الخلق معهم.

(١) شرح زاد المستقنع- د. محمد المختار الشنقيطي- مذكرة مفرغة، نسخة المكتبة الشاملة.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٧.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٩.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٨.

المطلب الثالث

نماذج من توقير العلماء والدعاة والأدب معهم

وورد أن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلى على جنازه ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأخذ بركابه فقال له زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله. فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء[١].

وكان الإمام أحمد متكئا من علة فذكر عنده إبراهيم بن طهمان فاستوى جالسا وقال: «لا ينبغي أن نذكر الصالحين فنتكئ»[٢].

ورحم الله ابن مندة عندما قيل له إن شُعْبَة قال: «من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد، فقال ابن منده: من كتب عنِّي حديثاً فأنا له عبد»[٣].

قال النووي في مقدمة تهذيب الأسماء واللغات: «إنهم أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا»[٤].

وكان الشافعي يبادل أحمد الحب والتقدير والإجلال فقال فيه:

قالوا: يزورك أحمد وتزوره ... قلت: الفضائل ما تعدت منزله
إنْ زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله، فالفضل في الحالين له[٥]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٧٥.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٦.

(٣) ذيل الطبقات لابن رجب الحنبلي ١/ ٢٨.

(٤) تهذيب الأسماء للنووي ١/ ١١.

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٢/ ٥٩.

وسأل رجل الإمام أحمد فقال: بالري -مدينة- شاب يُقال له: أبو زُرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول شاب؟ كالمنكر عليه، ثمَّ رفع يديه يدعو الله ﷻ لأبي زُرعة ويقول: «اللهم انصره على من بغي عليه، اللهم عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم..، اللهم..، في دعاء كثير»(١).

قال العراقي: «لا ينبغي للمحدث أن يحدث بحضرة من هو أولى منه بذلك، وكان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء»(٢).

وقال ابن الشافعي: «ما سمعت أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته»(٣).

وقال البخاري: «ما رأيت أحداً أوقر للمحدثين من يحيى بن معين»(٤).

وقال عطاء بن أبي رباح: «إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأُنصت له كأني لم أسمعه أبداً. وقد سمعته قبل أن يولد»(٥).

وقال الشافعي: «ما ناظرت أحداً قط إلا وتمنيت أن يجري الله الحق على لسانه»(٦).

---

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني ١/ ١٢٢٥.
(٢) الشذا الفياح في علوم ابن الصلاح ٣٨٧.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٦٦.
(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي١/ ٢٢١.
(٥) الآداب الشرعية والمنح المرضية لابن مفلح ٢/ ١٧٠.
(٦) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٥.

المبحث الثاني
المناصحة وعدم التقليد لأخطاء الدعاة

من المعلوم أن العلماء والدعاة بشر غير معصومين يصيبون ويخطئون، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، والخطأ في الاجتهاد الفقهي أو الدعوي وارد.. ولذا كانت المناصحة من حقوق الدعاة إلى الله تعالى، وكذلك عدم التقليد لهم حتى لا يوقعوهم في الحرج ويوقعوا غيرهم فيه.

فعن تميم الدّاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الدّين النّصيحة). قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم).

ويمكن بيان لنماذج من المناصحة وعدم التقليد لأخطاء الدعاة في مطلبين:

المطلب الأول: نماذج لمناصحة الدعاة عند الخطأ.

المطلب الثاني: أمر السلف بعدم تقليدهم على الخطأ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥).

المطلب الأول
نماذج لمناصحة الدعاة عند الخطأ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي»[(١)].

وهذا إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل يقول: «لا نزال بخير ما كان في الناس من ينكر علينا»[(٢)].

وموقف عمر بن عبدالعزيز مع مربيه صالح بن كيسان -رحمهم الله-، حين قال له: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟! قال: أحسن طاعة، قال: فأطعني الآن كما كنت أطيعك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حتى تبدو عقباك[(٣)].

وقال ابن وهب: «سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟، فقال: ليس ذلك على الناس، قال ابن وهب: فتركته حتى خف الناس -أي انصرفوا- فقلت له: عندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي عن المستورد بن شداد القرشي، قال: **(رأيت رسول الله يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه)**، قال مالك: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلاَّ الساعة، ثمَّ سمعته بعد ذلك يُسأل فيأمر بتخليل الأصابع»[(٤)].

وحكى عبدالرحمن بن مهدي عن شيخه عبيد الله بن الحسن العنبري -رحمهم الله- قائلاً: كنا في جنازة فسألته عن مسألة، فغلط فيها، فقلت له: أصلحك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩٣، سنن الدارمي ١/ ٥٠٦ (٦٧٥).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ـ١/ ١٩٥٠.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ـ١/ ٤١٩.

(٤) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ص ٢٥-٢٦.

الله، القول فيها: كذا وكذا، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: إذاً أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَباً في الحق أحب إليَّ من أن أكون رأْسَاً في الباطل»[١].

قال أبوبكر بن العربي: أخبرني محمد بن قاسم العثماني أنه حضر مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري -رحمهم الله-، فقال في مجلس له: «إن النبي طلق وظاهر وآلى»، فقال له تلميذه العثماني: سمعتك تقول: «آلى رسول الله وصدقت، وطلق رسول الله وصدقت، وقلت ظاهر رسول الله وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكر من القول وزور، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ، فضمني إلى نفسه وقبَّل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك جزاك الله عني من معلم خيراً، وفي اليوم التالي عندما دخلت الجامع قال لي: مرحباً بمعلمي، وافسحوا لمعلمي»[٢].

حكيَ أن رجلاً من البصرة حج، فجلس بمجلس عطاء بن أبي رباح، فقال: «سمعت الحسن يقول: من كان فيه ثلاث خصال لم أتحرج أن أقول إنه منافق، فقال له عطاء: إذا رجعت له فقل له: عطاء يقرؤك السلام، ويقول لك: ما تقول في إخوة يوسف إذ حدثوا فكذبوا، ووعدوا فاخلفوا، وائتمنوا فخانوا، أكانوا منافقين؟! ففعل فسر الحسن، وقال: جزاه الله خيراً. وقال لأصحابه إذا سمعتم مني حديثاً، فاصنعوا كما صنع أخوكم، حدثوا به العلماء فإن كان صواباً فحسن، وإذا كان غير ذلك فردوه عليَّ»[٣].

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٧.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٤٩.
(٣) فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي ١/ ٦٣.

المطلب الثاني

أمر السلف بعدم تقليدهم على الخطأ

ومن النصيحة لهم عدم إقرارهم على الخطأ وتقليدهم فيه والتعصب لهم في ذلك، **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: «ألا لا يقلدنا أحدكم دينه رجلاً إن آمنَ آمن، وإن كفرَ كفر، فإنه لا أسوة في الشر»[١].

قال الماوردي: «ولا ينبغي للمتعلم أن تبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الإعنات له على التقليد فيما أخذ عنه، فإنه ربما غلا بعض الأتباع في عالمهم حتى يروا أن قوله دليلٌ، وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة؛ وإن لم يحتج، فيفضي بهم الأمر إلى التسليم فيما أخذ.

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس، وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة، فكان جوابه عنها أنه قال: هذه دلالة فاسدة، ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه، فأمسك عنه المستدل تعجباً»[٢].

وكان هذا منهج كل الدعاة وعلى رأسهم الأئمة الأربعة وكانوا يوصون بذلك:

فقال أبو حنيفة: «لا يحلُّ لمن يُفتي من كُتُبي أن يُفتي حتى يعلم من أين قلتُ»[٣].

ويقول الإمام مالك عن نفسه: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه...»[٤].

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٥٩.

(٢) أدب الدين والدنيا للماوردي ص ٢٩.

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة لابن عبدالبر ص ١٤٥.

(٤) تاريخ أصبهان ص١٥٥.

والشافعي يقول: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت»[(١)].

وقال الإمام أحمد: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا...»[(٢)].

(١) إيقاظ الهمم ص ٧٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٣٠.

المبحث الثالث
النصرة والتأييد للدعاة

الدعاة إلى الله في حاجة إلى تأييد ونصرة من الله أولاً ومن المجتمع والدعاة كذلك، ومن ولاة الأمر والقائمين على أمور الدعوة.

وهذه النصرة تتمثل في أمور منها:

المطلب الأول: النصرة والتأييد في تبليغ الدعوة.

المطلب الثاني: النصرة بتوعد الذين يؤذون الدعاة.

المطلب الثالث: النصرة برد التهم عن الدعاة.

المطلب الرابع: النصرة بالدفاع عن الدعاة أمام الطغاة.

المطلب الأول
النصرة والتأييد في تبليغ الدعوة

فقد طلب موسى عليه السلام من ربه من ينصره ويعينه على دعوته، فلبي الله تعالى طلبه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [القصص ٣٣ - ٣٥].

«فموسى عليه الصلاة والسلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه هارون لأنه كما قال تعالى في بيان سبب ذلك الطلب: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ومعنى ردءاً أي: وزيراً ومعيناً ومقوّياً لأمري يصدقني فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني ما لا يفهمون، فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جدًّا إذا ما وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم الكفء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأَمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى»[(١)].

فالأخوة رحمة من رحمات الله «والاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ٢/ ١٤.

خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة»[١].

وهذا صاحب ياسين يقول الله عنه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٢٠].

المطلب الثاني

النصرة بتوعد الذين يؤذون الدعاة

وهذا الأمر مستنبط مما حظي به النبي ﷺ من النصر وتأييد من ربه جل وعلا، فقد توعد الذين يريدون إخراج النبي بالنفي والهلاك في الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦ - ٨١] «أي: من بغضهم لمقامك بين أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلاً حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة، ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلاً حتى أوقع الله بهم ببدر وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد»[٢].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣١٩

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٤.

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب٦٠- ٦٢]. أي «لنسلطنك عليهم، ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً، في المدة والأجل حتى ننفيهم عنها، فنخرجهم منها»(١).

ومن دفاع الله تعالى عن نبيه ﷺ أنه بشره انقطاع ذكر الكفار الذين يؤذون الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]. أي: «مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًّا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ»(٢).

المطلب الثالث

النصرة برد التهم عن الدعاة

وعندما اتهمه الكفار بالشعر والكهانة دافع الله عن نبيه ﷺ، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة ٤٠-٤٣].

وعندما قالوا عنه أنه هو من أتى بالقرآن من عند نفسه دافع الله عنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟

(١) جامع البيان ١٩/ ١٨٦ مختصراً.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٣٦.

أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦].

وعندما أنكروا أن يكون الله أرسل نبيّاً من البشر ولم يكن ملكاً ولا صاحب مال، واتهموه بأنه ساحر بقولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٧، ٨]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: ٩، ١٠].

وعندما اتهمه المنافقون أنه يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة: ٦١]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]. أي: يقبل من قال له خيراً وصدقاً، وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون. وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ بالقول أو الفعل ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٢ باختصار.

المطلب الرابع

النصرة بالدفاع عن الدعاة أمام الطغاة

فمن نصرة الله لنبيه ﷺ أن دافع عنه أمام طغيان الطاغين وأعوانهم، وقد سطر القرآن بعض هذه المواقف، ومنها: الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي جهل، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ٩ - ١٩].

وكذلك الدفاع عن النبي ﷺ عند طغيان أبي لهب، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المسد: ١-٥].

وقبل ذلك ما ورد في قصة موسى عندما أنقذ رجل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من القتل، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠] خطوات أنقذت حياة نبي -بإذن الله-! اركض! رُبَّ مشوار تُولد فيه الحياة!

وما ورد كذلك في قصة مؤمن آل فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

وهنا تدخل رجل مؤمن يكتم إيمانه دفاعاً ونصرة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ

جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

فهذا الحق من الحقوق المهمة جدًّا فبدونه يصبح الدعاة عرضة للاستئصال، والله تعالى يأبى أن يضيع دعاته.

المبحث الرابع

حفظ أعراض الدعاة والنهي عن تتبع زلاتهم

وهذه النصرة تتمثل في أمور منها:

المطلب الأول: خطورة الوقوع في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم.

المطلب الثاني: التحذير من الوقوع في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم.

المطلب الأول

خطورة الوقوع في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم

من أعظم الأمور التي تواترت عن السلف رضوان الله عليهم، التحذير الشديد من الوقوع في أعراض العلماء والداعية وتتبع عثراتهم، فهم قوم رفعهم الله بالعلم به وبشرعه، وهم الدعاة إلى دينه ومنهجه في الأرض، قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة: ١١].

وهم بذلك من أولياء الله، والله تعالى توعد من عادى أولياءه، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: **(من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب)**[(١)].

وروى الخطيب البغدادي عن الشافعي وأبي حنيفة قالا: «إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي»[(٢)].

إن الوقوع في الدعاة وتتبع زلاتهم، يؤدي إلى:

١- أن يفقد الناس الثقةَ في الدعاة، فلا يَقبَلون منهم كلاماً ولا فتوى، ولا نصحاً ولا إرشاداً، ولا يكون للدعاة دورُ الريادة والقيادة في الأمة.

٢- يتخذ الناس الرؤوسَ الجهال المضلِّين.

٣- يتجرأ السفلةُ والسفهاء للطعن في العلماء، والتطاول على الشريعة.

٤- إشاعة العداوة والبغضاء في المجتمع، بما ينتشر من حزبيةٍ بغيضة، وتناحُرٍ وتنافُر.

٥- القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشرع والدين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التواضع، باب الرقاق (٦١٣٧).

(٢) السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني ٢/ ٢٣.

ولذا يجب على الدعاة:

١- أن يبتعدوا بأنفسهم عن مواطن الشبهات.

٢- الحذر من الاستدراج وليكونوا على يقظة دائمة لمن يريد أن يورطهم ليقدح فيهم.

٣- التأني والتدرج في الفتوى ومراعاة أحوال الناس وما يقال وما لا يقال.

٤- الجرأة في الحق واتخاذ المواقف القوية، والأخذ بالعزيمة قدر المستطاع.

تنبيه:

هناك فرق بين التجريح الشخصي للدعاة وبين بيان الحق، فبيان الحق لا بأس به بدون تجريح، وقد تقدم ذلك عند الحديث عن مناصحة الدعاة.

المطلب الثاني

التحذير من الوقوع في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم

قال الحافظ ابن عساكر ناصحاً لإخوانه المسلمين، ومحذراً من الطعن والتشكيك في العلماء العاملين، والأئمة المهتدين: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب»[(١)].

(١) المجموع في شرح المهذب للنووي ١/ ٢٤.

فمن فسد قلبه فلن يستفيد من الداعية، ولن يقبل منه قولاً، ولأن الحديث في الأعراض يُشْغِل القلب بما لا يفيد، وهو ضرب من ضروب الغيبة، بل من أعظمها لأن لحوم العلماء مسمومة، لأن في انتقاصهم انتقاص للعلم وأهل العلم، والله تعالى يرفع أهل العلم في الدنيا والآخرة.

قال الشيخ بكر أبو زيد: «وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه»[(١)].

وما أحسن ما قال سعيد بن المسيب «ليس من شريف، ولا عالم، ولا ذي فضل -يعني من غير الأنبياء عليهم السلام- إلاَّ وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يتتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل، فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا، كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]»[(٣)].

ويقول الشاطبي: «إن زلة العالم لا ينبغي أن يشنع عليها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحثاً، فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين»[(٤)].

قال أبو العباس الحسن بن سفيان: «اتق الله في المشايخ، فربما أستجيبت فيك دعوة»[(٥)].

---

(١) حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد ص ٣٦.
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ- للسخاوي ص ١١٨.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢/ ٢٣٩.
(٤) الموافقات للشاطبي ٥/ ١٣٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٩.

ورحم الله الخليل بن أحمد القائل:

اعمل بعلمي وإن قصَّرت في عملي ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري[(١)]

وقال ابن عبدالبر: «إلى الله الشكوى وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها، تستحل الأعراض والدماء، إذا خولفت فيما تجيء به من الأخطاء»[(٢)].

وقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن يرد غيبة شيخه إن قدر، فإن تعذر عليه ردها فارق المجلس»[(٣)].

وقال الحسن بن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتق الله في المشايخ، فربما أستجيبت فيك دعوة»[(٤)].

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ١٦٩.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ١٤/ ٣٤٤.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٩.

المبحث الخامس
احترام خصوصية الدعاة

بين الله تعالى أهمية احترام حرمات الدعاة وخصوصياتهم، في غير موضع من القرآن ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

فهذه الآية تعليم للأمة أن تتخلق بخلق الصبر والأناة والرفق والحلم، وألا تشق على الدعاة في الحديث واللقاء، فإن الداعية كثير المشاغل عظيم المهام، لا يتسع وقته لها جميعاً، ولا يمكن أن يكون وقته موزعاً وفق أهواء الناس ومطالبهم، فعليهم أن يدعو له وقته ليصرفه فيما يراه خيراً، ولا يتأولون من ذلك ولا يظنون به الظنون فإنما تلك من ضرورات تنظيم الأعمال، ولا بد من النزول على حكمها حتى لا تفوت المصالح باضطراب الأوقات وخلل تنظيمها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني كنت لآتي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا رأيته نائماً لم أوقظه، ولئن رأيته مغموماً لم أسأله، وإن رأيته مشغولاً لم أسأله»(١).

وقد وعى المسلمون هذا الأدب العظيم مع رسول الله ﷺ، ومع كل عالم وداعية، لا يزعجونه حتى يخرج إليهم ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢١٢.

هذه الآية فيها «حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا يصنعون ذلك في بيوته في الجاهلية، وابتداء الإسلام، حتى غار الله تعالى على هذه الأمة»[(١)]، فأمرهم ألا يدخلوا بيوت النبي ﷺ بغير إذن، وهذا لجميع المسلمين وليس خاصًّاً برسول الله، وببيت رسول الله فقط، وإنما كان في حق رسول الله ﷺ أوجب.

«وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ، وإيجاب حرمته حيًّاً وميتاً، ما لا يخفى، فنهوا أن يدخلوا قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه، عجلة وانتظاراً لنضج الطعام. فإن ذلك مما يؤذي قلب صاحب الدعوة، لشغل هذه الحصة معهم بلا فائدة، إلا ضيق صدر الداعي وأهله، وشغل وقته وتوليد حديث، وتكلفاً لكلام لا ضرورة له، وإطالة زمن الحجاب على نسائه. وما ذلك إلا من شؤم التعجيل قبل الوقت»[(٢)].

فتحرِّي الأوقات الـمُناسِبة للتواصل مع الدعاة أمر مهم جدًّاً، فلا يسأَلُ في كل وقتٍ، ولاسيَّما مع تيسُّر أدواتِ الاتصال والتواصُل، واختِلافِ الأوقاتِ بين الدول والمناطِق.

فينبغي مُراعاة ذلك؛ حتى لا يتسبَّبَ ذلك في إيذاءِ الداعية، فللداعية الحقُّ في الراحةِ والعبادة والأكل والشُّرب والقراءة والجلوس مع الأهل، وغير ذلك مِن الحاجات والأغراض.

ومن ذلك أيضاً ما ينتشر من تصوير الدعاة في حياتهم العادية وتناقل الصور، أو إيقاف الداعية في الطرقات والأماكن العامة والسلام عليه وربما طلب منه الناس صورة، وهذا مما يضيع وقت الداعية ويشوش عليه ويكشف خصوصياته في الحركة والتنقل، ويزيد الأمر خطورة عندما يكون مصطحباً معه زوجته أو أولاده.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٤٥٤.

(٢) محاسن التأويل ٨/ ١٠١.

المبحث السادس
تحقيق الأمن للدعاة وعدم أذيتهم

هذا من الحقوق المهمة للدعاة إلى الله تعالى، ومن أهميته أن الله تولاه بنفسه في رعايته لنبيه ﷺ وأكده في كتابه، وله نماذج كثيرة في سيرة الرسول ﷺ، فقد بين الله تعالى أنه لا يجوز أذية النبي ﷺ في أهله في نفسه وأهله، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

«**أي**: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، وآذاه»[(١)]، «وَلَعنة الدنْيَا التقْتِيل وَالجَلاَءُ، وَلَعْنَةُ الآخرَة النارُ»[(٢)]. أي: «عذبهم الله في الدنيا بالقتل والسبي، وفي الآخرة بالنار»[(٣)].

قال القاسمي: «اللفظ عامٌّ في كل ما يصاب به ﷺ من أنواع المكروه. وقيل أذية الله ورسوله، ارتكاب ما لا يرضيانه»[(٤)].

وقال ابن عاشور: «والقرن بين أذى الله ورسوله للإشارة إلى أن أذى الرسول ﷺ يُغضب الله تعالى فكأنه أذى لله»[(٥)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦١٨ بتصرف.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٢٣. زاد المسير ٦/ ٤٢٠.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٤٢٠.

(٤) محاسن التأويل ٨/ ١١٠.

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٠٤.

وقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه حافظه من كيد أعدائه وعدوانهم، فقال له: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥، ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨][1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

عن عائشة رضي الله عنها **قالت**: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: **(يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)**[2].

«**أي**: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظُك وناصرُك ومؤيدُك على أعدائك ومُظفِرُك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل إليك أحدٌ منهم بسوء يؤذيك»[3]. فإن الله يتولى حمايتك وعصمتك من الناس، ومن كان الله له عاصماً فماذا يملك له العباد الضعفاء.

و«قيل: العصمة الموعود بها عصمة النفس من القتل، لا عصمته من أذاهم بالكلية، بل أبقى الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى، ولأمته حسن التأسي به؛ إذا أوذي أحدهم

---

(١) تم الحديث عن هذه النقطة بتوسع في مبحث الرعاية الأمنية، ضمن موسوعة رعاية طلاب العلم.

(٢) جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة برقم (٣٠٤٦) وقال هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٦٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٥١.

نظر إلى ما جرى عليه وصبر، وللمؤذين الأشقياء الأخذة الرابية»[١].

فهذا في حق رسول الله ﷺ والدعاة من بعده، فلا بد من توفير الجو الآمن لهم من الأذية وقايةً، واستنقاذهم من الأذى والبلاء إذا وقع.

ومما يدل على أهمية هذا الأمر للدعاة؛ ما طلبه الراهب من الغلام في قصة أصحاب الأخدود بقوله: (أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ)، ففي قوله: **(فلا تدل عليَّ)** يدل على أهمية تحقيق الأمن للدعاة خصوصا في وقت الفتن والأزمات.

وقد حفظ الله نبيه ﷺ من أعداء الدعوة في كثير من المواقف، وبكثير من الإجراءات الوقائية ومن ذلك[٢]: تسخير الله له عمه ليحميه من قريش، وحفظ الله له من القتل في حادثة الهجرة وخروجه من بيته آمناً، وفي طريق هجرته كذلك حفظه الله تعالى في الغار، وعندما أقبل عليهم سراقة في هجرته، وحفظ الله لنبيه من محاولة القتل التي قام بها بنو النضير، وغيرها من المواقف.

بل وصل الأمر لأكثر من هذا فقد كانت رعاية الأمن الصحي للنبي ﷺ من أوجه تحقيق الأمن له، ففي صغره حفظ الله برضاعته في بني سعد وما في ذلك من صحة الأبدان، وفي كبره شفائه من السحر ورقية جبريل له[٣].

وقد عمل الصحابة على أداء هذا الحق مع رسول الله ﷺ، ومن ذلك نوم

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٣/ ٢١٢.

(٢) تم جمع تلك المواقف وتخريجها والتعليق عليها كلها في بحث رعاية الله تعالى لنبيان محمد ﷺ - الكتاب السادس- تحت فصل الرعاية الأمنية، ضمن موسوعة رعاية طلاب العلم، إشراف مركز الدار للاستشارات التربوية والتعليمية- التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الطب والمرض والرقى (٢١٨٥).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكان النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة الهجرة، وحراسة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في غزواته.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته حريصاً على أصحابه، فهم في فترة تأهيل ليكونوا دعاة المستقبل ويحملون الراية من بعده، ولذا حرص على توفير الجو الآمن لهم وعدم تعريضهم للأذية، أو التخفيف منها، أو التصبير عندما يقعون فيها، ومن ذلك ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من رعايته لأصحابه، بأخذ الحيطة والحذر حين تعليمهم في دار الأرقم، ومنعهم من القتال في العقبة الثانية، ومحاولته التماس مواضع الأمن لهم، كما في الهجرة للحبشة ثم الهجرة للمدينة.

المبحث السابع
الصبر على ما يصدر من الدعاة

من المعلوم أن الدعاة بشرٌ ولهم طاقة البشر وأخلاق البشر، وليسوا بمعصومين ولذا من حقوقهم: الصبر على ما يصدر منهم خصوصاً؛ لكثرة الضغوط عليهم، ولعظم الهمِّ الذي يحملونه من السعي في هداية الناس وتوجيههم، وإزالة المنكرات، والسعي في خدمة الناس.

قال ابن جماعة: «أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو سوء خلق، ولا يصده ذلك عن ملازمته، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة شيخه بالاعتذار والتوبة مما وقع، والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب عليه، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته»[(١)].

وقال بلال بن أبي بردة: «لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا»[(٢)].

وقال أبو يوسف القاضي: «خمس يجب على الناس مداراتهم: الملك المتسلط، والقاضي المتأوِّل، والمريض، والمرأة، والعالم ليقتبس من علمه»[(٣)].

وقال الشافعي: قيل لا بن عيينة: «إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض، تغضب عليهم؟ يوشك أن يذهبوا ويتركوك، قال: هم حمقى مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صـ٩١.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٢٣.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢٢.

خلقي!!»[(١)].

وقال المعافي بن عمران: «مثل الذي يغضب على العالم مثل الذي يغضب على أساطين -أي سوارى- الجامع»[(٢)].

ولله در القائل:

إن المعلــم والطبيــب كليهمــا ... لا ينصحــان إذا همــا لــم يكرمــا
فاصبــر لدائــك إن جفــوت طبيبــه ... واقنــع بجهلك إن جفوت معلماً[(٣)]

وهذا من باب حفظ الجميل ورد فضل الصحبة، قال الشافعي: «الحرُّ من راعى وداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة»[(٤)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢٣.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢٣.
(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٦٧.
(٤) حاشية البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ص ٤٢.

المبحث الثامن
الدعاء للدعاة

من هدي السلف -رحمهم الله- الدعاء لدعاتهم وعلمائهم الذين تعلموا تحت أيدهم، وكانوا سبباً لهدايتهم، وهذا من شكر أهل الخير وأصحاب الفضل، لقول النبي ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1].

وقول النبي ﷺ: (ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه)[2].

ومن تطبيقات السلف لهذا الأمر قول أبي حنيفة: «ما صليت صلاة منذ مات حماد -بن أبي سليمان، شيخه- إلاَّ استغفرت له مع والديَّ، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً»[3].

وقال أبو يوسف القاضي: «إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويَّ، وسمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحماد مع والديَّ»[4].

وقال الإمام أحمد: «ما بت منذ ثلاثين سنة إلاَّ وأنا أدعو للشافعي، واستغفر له»[5].

قال عبدالله بن الإمام أحمد: قلت لأبي: «أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك

(١) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٩٥٥) وقال: حديث صحيح.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (١٦٧٤)، سنن النسائي، كتاب الزكاة من سأل بالله ﷻ (٢٥٦٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٦٩).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٢١٨.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٢١٩.

(٥) وفيات الاعيان لابن خلكان ٤/ ١٦٤.

تكثر من الدعاء له؟، فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر! هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض»(١).

قال إسحاق بن راهويه: «قلَّ ليلة إلاَّ وأنا أدعو فيها لمن كتب عني، ولمن كتبنا عنه»(٢).

وقال يحيى القطان يقول: «أنا أدعو الله للشافعي، أخصه به»(٣).

وقال ابن أبي حاتم: «رأيت في كتاب عبدالرحمن بن عمر الأصبهاني، المعروف برسته إلى أبي زُرعة بخطه: «اعلم -رحمك الله- أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك، ليلي ونهاري: أن يمتِّع المسلمون بطول بقائك، فإنه لا يزال الناس بخير ما بقي من يعرف العلم، وحقه من باطله، وقد جعلك الله منهم»(٤).

وقال الإمام النووي: «فقد كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تذهب بركة علمه مني»(٥).

وقال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذريته بعد وفاته تعظيماً لهم، ويتعمد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه»(٦).

والدعاة في أشد الحاجة للدعاء أن يثبتهم الله تعالى على الحق وعلى نشره، وأن يرزقهم الإخلاص ويتقبل منهم عملهم، وأن يحفظهم من شرور أنفسهم ومن شرور الخلق، وأن يحفظهم الله في أهليهم وذرياتهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥.

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي- شرح الشخاوي ـ٣/ ٣٠١.

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي ١/ ١٩٩ (٢٧٢).

(٤) الجرح والتعديل للرازي ـ١/ ٣٤١.

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن ص(٣٨).

(٦) تذكرة السامع والمتكلم (٩٠).

الفصل السادس

احتياجات الدعاة

للداعية إلى الله احتياجات ضرورية تعينه على الدعوة إلى الله، والثبات على طريق الدعوة، وإقامة حياة كريمة له مع مواكبة التطورات الجديدة في الساحة العلمية والعملية.

ولذا تتنوع احتياجات الداعية، التي تجعله صاحب شخصية متكاملة تحقق هدفه وهدف أمته، ودعوته، ومجتمعه.

ويمكن إجمال احتياجات الدعاة في خمسة مطالب:

المبحث الأول: الحاجة إلى الرعاية والتأهيل المستمر.

المبحث الثاني: الحاجة إلى المرجعية الإدارية.

المبحث الثالث: الحاجة إلى تلبية الاحتياجات المالية.

المبحث الرابع: الحاجة إلى الاستقرار الأسري للدعاة.

المبحث الخامس: الحاجة إلى الاستقرار النفسي.

المبحث الأول

الحاجة إلى الرعاية والتأهيل المستمر

ويمكن بيان هذا الأمر في مطلبين:

المطلب الأول: أهمية الرعاية والتأهيل المستمر للدعاة.

المطلب الثاني: مجالات الرعاية والتأهيل المستمر للدعاة.

المطلب الأول

أهمية الرعاية والتأهيل المستمر للدعاة

رعاية الدعاة وتلبية احتياجاتهم قدر المستطاع سنة مهجورة، يجب أن تحيا في واقع العمل الدعوي اليوم، فتجد الكثير من الجهود حول المدعو، والبرامج الدعوية، وأما تأهيل الدعاة فقد ينال جزءاً يسيراً من الاهتمام، وفي بعض الأحيان لا يعطى اهتماماً أصلاً.

ومن هنا فالدعاة يحتاجون إلى الرعاية والتأهيل المستمر انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلا بد للدعاة أن تكون لديهم القدرة على مخاطبة المجتمعات والبيئات التي سيقومون بالدعوة إلى الله فيها بلغةٍ يفهمونها، وبأسلوب يخرج مِن مشكاة الحضارة الإسلامية وثقافتها، مع شعور بالاعتزاز بهذا الدين واطمئنان له وثقة فيه.

والمقصود بالخطاب الدعوي خطاب بالعمل والتميز والمواقف والإيجابية.

لا بد أن يكون للدعاة مقدرة تفرض وجودها، وتبرهن على أن الدعاة قد أصبحوا رقماً ملحوظاً، له أهميته في قيام المجتمعات وتحضرها ورقيها، تحت راية الإسلام الذي هو رحمة للعالمين، وهذا لن يكون إلا بتأهيل الدعاة تأهيلاً مستمراً، يتناسب مع الدور المأمول منهم في الجانب العلمي والتربوي والفكري والمنهجي والدعوي والمهاري.

فالداعية في هذا الزمن في غربة دينية وفكرية وثقافية، يحتاج معها لعلم وفكر وتربية ومهارة؛ يستطيع من خلالها أن يقاوم تلك الغربة بل أن يكون صاحب رسالة

في تصحيح المجتمعات من تلك الديانات والأفكار المنحرفة، ومن الانحرافات السلوكية المخالفة للإسلام.

ولا بد أن يتسابق أصحاب المنهج الإسلامي القويم في تلبية احتياجات الدعاة خصوصا في هذا الزمنِ الذي تعيش فيه الدعوة الإسلامية تحدياتٍ كبيرةً، حيث تعددتْ وسائلُ الاتصال وتشابكت، وتعددت أساليبه وطرائقه، مما سهل على الدعاة في كل مكان التلقِّي من مصادرَ متعدِّدةٍ قد لا تؤمن عقباها.

وهنا تبرز الحاجة الشديدة لبرنامج متكامل لرعاية الدعاة، لأنهم باعوا أوقاتهم وأعمارهم ودنياهم لله من أجل إخراج الناس من الضلال إلى الهدى.

وكذلك ضرورة إنشاء مؤسسات منظمة تقوم على رعاية الدعاة خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالبت فيه أمم الأرض الباطلة على الإسلام وأهله ومن يدعو إليه، مما جعل كثيراً من الناس ينصرفون عن الدعوة إلى الله ظناً منه أنه يسلم.

لا بد من تنظيم برامج ومناهج تتبناها مؤسسات أو جمعيات خيرية أو حكومية، لتتحقق أهداف رعاية الدعاة وتأهيلهم المستمر، لنعيد صياغة مستقبل أمتنا على نور وهدىً من شرع الله.

المطلب الثاني

مجالات الرعاية والتأهيل المستمر للدعاة

ومجالات الرعاية والتأهيل المستمر التي يحتاجها الدعاة نجملها في النقاط التالية:

➢ المجال الأول: الرعاية العلمية للدعاة:

فلا بد من تلبية احتياجات الدعاة العلمية، والتي من أهم معالمها: تلبية احتياجاتهم

في جانب التأصيل العلمي، وشحذ الهمم وتوجيه الطاقات في طلب العلم لا سيما ما يحتاجه الداعية في دعوته من علوم ومسائل، وكذلك توفير أدوات البحث والعلم.

والداعية يحتاج لتأهيل علمي مستمر، لتكون لديه المقدرة على التعلم الذاتي، وقبل ذلك أن يكون على تواصل مع العلماء تواصلاً مباشراً وغير مباشر.. واعياً لكل جديد في مسائل العلم والنوازل.

➢ المجال الثاني: الرعاية الدعوية للدعاة:

فلا بد من تلبية احتياجات الدعاة الدعوية، والتي من أهمها: حاجتهم إلى غرس همِّ الدعوة إلى الله في قلوبهم، وإعدادهم للدعوة على بصيرة، وحاجتهم إلى المعرفة بالماضي والفقه في الواقع والاستشراف للمستقبل، وتنمية الروح الإيجابية والتفاؤل والثقة بالنفس، وتنمية المبادرة الدعوية، وتثقيفهم على التكيف والمرونة، وحاجتهم إلى بناء منهج التعامل الشرعي مع المخالفين.

ويحتاج الداعية لتأهيل دعوي مستمر، يعزز فيه السعي لتبليغ رسالة الإسلام -التي هي رحمة للعالمين- للمجتمع الذي سيعيش فيه بالوسائل والأساليب المتاحة وعلى قدر استطاعته بالحكمة والموعظة الحسنة، بالإضافة للتعرف على العلماء والدعاة والاتجاهات الدعوية صاحبة المنهج السليم في الدعوة إلى الله، والتبصير بذلك بمنهج يتسم بالوسطية والاعتدال وقدرة على مخاطبة المجتمع.

ويحتاج إلى التأهيل على كيفية علاج الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام والمسلمين التي تؤثر وتصد الناس عن هذا الدين الحنيف العظيم.

إن الدعاة يُقدمون الصورة الذهنية الصحيحة عن الإسلام، فإذا صحَّت مناهجهم ووسائلهم وغاياتهم، وأحسنوا عرض دينهم، واستمالوا الناسَ إلى الغاية التي يسعَوْن

إليها، تحقَّقت أهدافُهم بإذن الله، ولن يتم ذلك إلا بتلبية احتياجاتهم التأهيلية للقيام بالدور المنوط بهم.

➢ المجال الثالث: الرعاية التربوية للدعاة:

فلا بد من العمل على الرعاية التربوية للدعاة، لتشمل التربية العقدية والتعبدية، وكذلك التربية في جانب السلوك والعمل.

فالداعية يحتاج لتأهيل تربوي مستمر، يرتقي به في معالي الربانية التي تصبره وتثبته وتقويه وتحفظه من مداخل شياطين الإنس والجن ومكرهم، وترتقي به لمعالي الأخلاق وتدرجات تزكية النفس، وليكونوا نموذج للقدوة المثلى في العالم.

➢ المجال الرابع: الرعاية الفكرية والمنهجية:

فلا بد من تلبية احتياجات الدعاة الفكرية، حيث يحتاج الداعية لتأهيل فكري ومنهجي مستمر، للتبصير بواجبه أمام الديانات والأفكار والثقافات والأخلاقيات المخالفة للإسلام.

ويحتاج إلى الإجابة على التساؤلات والشبهات عن الإسلام، فيكون مرجعيةً في رد تلك الشبهات، وإن الداعية المؤهل علميّاً وعمليّاً يغني عن ألف كتاب وكتاب.

➢ المجال الخامس: الرعاية التأهيلية المهارية للدعاة:

لا بد من تلبية احتياجات الدعاة التأهيلية المهارية، والتي من أهمها: تنمية مهارات التعلم، وإتقان التعامل مع مصادر المعرفة، ومهارات التعلم الذاتي والتفكير، والمهارات الدعوية، والمهارات التي تعينه على طلب الرزق.

والتطوير في وسائل الخطاب الدعوي، والتأهيل على توسيع منافذ وآفاق الصَّوت

الإسلامي داخل المؤسسات العلمية والعملية والمهنية بكل الوسائل المشروعة دينيًّا وقانونيًّا.

والداعية يحتاج إلى التدريب على طرق الدعوة وفنونها، والتنظيم في الأداء، واكتساب المهارات اللازمة التي تُعِينه على حُسن العرض للمبادئ التي يحملها.

➢ المجال السادس: الرعاية النفسية للدعاة:

فلا بد من الرعاية النفسية للدعاة، ومن أهمها شرح صدورهم وإزالة ما بها من الخوف والرهبة، ومن تدبر ما فعل الله مع نبيه ﷺ، حتى أنزل في ذلك سور كالشرح، والضحى والكوثر، وآيات أخرى تبين له أهمية هذ الموضوع.

ومن الرعاية النفسية: تشجيعهم والرفع من معنوياتهم والثناء عليهم، واللين في المعاملة، والإعراض عن تشنيع أخطائهم، والصبر عليهم، ومواساتهم فيما عندهم من هموم ومشكلات، والترويح عن أنفسهم.

➢ المجال السابع: الرعاية الاجتماعية للدعاة:

فلا بد من تلبية احتياجات الدعاة الاجتماعية والتي من أهمها:

الرعاية المادية: بتوفير سبل الحياة الكريمة لهم ولأسرتهم، وتلبية احتياجات دعوتهم.

والرعاية الأسرية: بالعمل على تزويجهم، والاهتمام بأهليهم ومراعاة ظروفهم واحتياجاتهم الأسرية.

والرعاية الصحية: بتوعيتهم من الوقاية من الأمراض، وتوفير العلاج لهم، بالإضافة إلى زيارتهم حال مرضهم والتخفيف عنهم.

والرعاية الأمنية: من حيث توعيتهم بأخذ الحيطة والحذر، وأن لا يقعوا في مواطن تؤذيهم، والعمل على نصرتهم لو وقعوا في مشكلة..

وكذلك متابعتهم في جميع أمورهم.

المبحث الثاني
الحاجة إلى المرجعية الإدارية

من أهم ما يحتاجه مَن يقوم بالدعوة إلى الله المرجعية، وهي على نوعين:

الأول: المرجعية العلمية والمنهجية والفكرية، وهي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة، وهذا أمر لا يختلف فيه أحد وهو أصل الدعوة.

الثاني: المرجعية الإدارية: أن تكون له جهة تقوم بمتابعته وتأهيله وتطويره وتقييمه وتشرف على برامجه، وهي التي نقصدها في هذا المبحث.

ويمكن إبراز هذا الجانب في المطالب التالية:

المطلب الأول: **تأصيل الحاجة إلى المرجعية في العمل الدعوي.**

المطلب الثاني: **أهمية المرجعية الإدارية للدعاة.**

المطلب الثالث: **أشكال المرجعية الإدارية في العمل الدعوي.**

المطلب الرابع: **خطورة عدم وجود المرجعية.**

المطلب الأول

تأصيل الحاجة إلى المرجعية في العمل الدعوي

حيث نجد أن الحاجة إلى مرجعية وقيادة أمر فطري، فإن بني إسرائيل طلبوا من نبي لهم أن يقاتلوا في سبيل الله، ولكنهم طلبوا قائداً ومرجعية يقودهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فهم رجعوا إلى نبيهم يطلبون منه الجهاد ولم يتحركوا للجهاد من أنفسهم بدون توجيه من نبيهم الذي يمثل لهم المرجعية، ثم طلبوا منه أن يرسل معهم أحداً يقودهم فيكون هو بمثابة المرجعية لهم.

وكذلك في قصة ذي القرنين، يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥]. كانوا في حاجة لمرجعية تقودهم لإزالة الفساد، فكان دوره تجميع جهود هؤلاء ومحاولة إيجاد عمل يمنع من الفساد.

ولقد كان رسول الله ﷺ هو المرجعية الدعوية للصحابة في الدعوة إلى الله ونشر هذا الدين؛ يوزع الطاقات ويستثمرها، ويحل المشكلات ويتلافاها قبل وقوعها، ويتابع الدعاة لديه في دينهم وعلمهم وعملهم.

وكان رسول الله ﷺ يُؤمّر الأمراء على الجيوش حين يرسلها، لتكون مرجعية وقيادة لتلك الجيوش، وفي هجرة الحبشة أرسل معهم بعض الشخصيات القيادية لتكون مرجعاً لهم دعويًّا، ومنهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان لهذا القائد المرجعية دورٌ كبيرٌ في حماية الدعوة والمهاجرين.

بل إنه ﷺ قال: (إذا خرجَ ثلاثة في سفر فليُؤَمِّروا أحدهم)[١]، هذا في أيِّ سفر، فما بالك لو كان عملاً لتحقيق رسالة عظمى؛ مثل رسالة الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني

أهمية المرجعية الإدارية للدعاة

يظهر احتياج الداعية للمرجعية من خلال النقاط التالية:

١- يحتاجها في تأهيله وتدريبه وبنائه المعرفي والشخصي والعلمي.

٢- يحتاجها ليعرف الدور المنوط به وحدوده.

٣- يحتاجها ليعرف مدى تحقيقه للأهداف بكفاءة وفاعلية.

٤- يحتاجها لتعزز دوره في قيادة المجتمع بشرائحه وطبقاته.

٥- يحتاجها لتنضبط الفتاوى والأحكام مراعية للأحوال والزمان والمكان والأشخاص.

٦- يحتاجها ليتفاعل مع القضايا والأحداث العامة للمسلمين.

٧- يحتاجها لمعالجة المشكلات التي تطرأ عليه أثناء دعوته، ورسم الخطط البديلة واللازمة لعلاجها والتغلب عليها.

٨- يحتاجها في تدعيم الجوانب الإيجابية لديه وتقليص الجوانب السلبية.

٩- يحتاجها في ضبط سلوكه، ومتابعة ما كلفه الله به بشمولية، لكي لا يقصر في جانب على حساب جانب آخر.

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم برقم (٢٦٠٨) وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٢/ ٣١٩ رقم (١٠٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٠٠).

١٠- يحتاجها للإجابة على التساؤلات والشبهات التي تلقى عليه.

١١- يحتاجها للتثبيت على طريق الهداية وعدم الانحراف الفكري والسلوكي.

١٢- يحتاجها لكي يشعر بالأمان بأنه يعمل ضمن فريق وقيادة وأهداف واضحة، لها مراحلها، بعيدة عن الفوضوية، والحماسة غير المنضبطة.

١٣- يحتاجها لمعرفة المخاطر التي تحوم حوله وتتربص به.

ولذا فوجود القائمين على تأهيل الدعاة هو من الأهمية بمكان، ليتحقق هدف الدعوة بشكل أفضل، ويكون جماعيًّاً به، ولضبط العمل الدعوي ومراقبته ومتابعته وتطويره وتقييمه، بعيداً عن الحزبية المقيتة والفوضوية المضيعة للجهود.

المطلب الثالث

أشكال المرجعية الإدارية في العمل الدعوي

تتنوع أشكال المرجعية في العمل الدعوي حسب بيئة العمل والحضور الإسلامي في المجتمع، وكذلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع.

وبناء عليه فيمكن إجمال أنواع المرجعيات الإدارية في العمل الدعوي في الأشكال التالية:

١- المرجعيات الحكومية المتمثلة في وزارات الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد -مع اختلاف مسمياتها- في الدول الإسلامية.

٢- المنظمات الدولية الإسلامية، كرابطة العالم الإسلامي وهيئاتها.

٣- الجامعات والكليات والمعاهد الإسلامية، ومراكز التطوير والإعداد الدعوي.

٤- مراكز البحث العلمي الإسلامي كمجمع الفقه الإسلامي.

٥- المساجد والمراكز الإسلامية في دول الأقليات الإسلامية، وإدارات البحوث الإسلامية ونحوها.

٦- مؤسسات الدعوة والجمعيات الخيرية المتخصصة والعامة.

٧- التجمعات الإسلامية المنظمة المفتوحة كالاتحادات الطلابية للمسلمين، والروابط العلمية.

٨- مجامع العلماء المسلمين في العالم باختلاف مسمياتها.

٩- العلماء والدعاة الراسخين في العلم، أصحاب التجربة المتميزة.

وهذه المرجعيات وغيرها لا بد أن يكون للداعية مرجعية منها واحدة أو أكثر -بحسب الحال- ليسير في دعوته بانضباط وتعاون وعالمية.

المطلب الرابع

خطورة عدم وجود المرجعية

عدم وجود مرجعية إدارية للداعية في دعوته تؤدي إلى مشكلات دعوية كثيرة، وأبرزها:

١- كثرة الاختلاف بين الدعاة الناتج عن الاختلاف في تقييم الواقع وإيجاد الوسائل والأساليب والمراحل الدعوية المناسبة.

٢- استقلالية الداعية بالعمل، بعيداً عن إخوانه الدعاة فيحصل أمران:

الأول: الإعجاب بالرأي الذي هو من أعظم ما يسبب الفرقة بين الدعاة.

الثاني: ضياع الجهود وتبعثرها، وتعددها في مجال وإهمالها لمجالات أخرى، فقدان الشمولية المطلوبة في الدعوة.

٣- يؤدي عدم وجود مرجعية إلى مرض الاتكالية، التي هي ضد التعاون والتكافل، فكلٌّ يجعل الهمَّ همَّ فلان لا همَّه، ومن جرَّاء هذه الاتكالية يكثر التعاتب والتلاوم بين الدعاة فكلٌّ يلقي باللائمة على غيره.

٤- يؤدي عدم وجود مرجعية إلى العشوائية، وعدم التفكير والتخطيط، الأمر الذي يجعل الداعية يعمل العمل ولا يجد أثراً لعمله على الدعوة بصفة عامة في المجتمع، ومن هنا يبدأ التفكك والاختلاف بين أفراد الدعوة في المجتمع.

٥- فقدان الناصر والمعين في الدعوة، مما يؤدي إلى تناقص عدد الدعاة وانشغالهم بنصرة أنفسهم، وتحمل المشاق وحدهم؛ فإن الداعية إذا لم تكن له مرجعية آثر الفردية، ثم تعرض لكثير من العقبات الدعوية.

٦- فقدان الاستفادة من الخبرات والطاقات والجهود الموجودة العملية والعلمية المعاصرة، مما يؤدى إلى فجوة كبيرة بين الداعية ومجتمعه، فهو وحده دون قيادة موجه لا يستطيع أن يلبي كل احتياجات الدعوة، وسيكون تركيزه على ما يحسنه إذا اجتهد، ويبقى الناس بحاجة للجوانب الأخرى، وهي مما يملكه زميله الآخر الذي لم يستفد من إمكاناته.

المبحث الثالث
الحاجة إلى تلبية الاحتياجات المالية

أمَرَ الله تعالى عباده بمباشرةِ الوسائلِ واتِّخاذِ الأسبابِ الموصلةِ إلى إيصال دينه وهداية الناس، فقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومن تلك القوة قوة المال، فالداعية بالإضافة إلى احتياجاته عليه عبء آخر وهو الدعوة إلى الله الذي يتطلب في بعض الأحيان ميزانية إضافية لتسهيل عمله الدعوي.

ويمكن إبراز هذا الجانب في المطالب التالية:

المطلب الأول: تلبية الإسلام احتياجات الدعاة المالية.

المطلب الثاني: كلام السلف في أهمية الاحتياجات المالية للدعاة.

المطالب الثالث: أهمية تلبية الاحتياجات المالية للدعاة.

المطلب الرابع: مسألة: حكم أخذ الدعاة أجرة على دعوته.

المطلب الأول
تلبية الإسلام احتياجات الدعاة المالية

كان النبي ﷺ يقبل الدعم المالي لنفسه ولدعوته خصوصاً من أقرب الناس له، حتى قال ﷺ عن خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **(واستني بمالها إذ حرمني الناس)**[(١)].

وقال ﷺ عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(وواساني بنفسه وماله)**[(٢)]، وقال: **(ليس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة)**[(٣)]، وقال: **(ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر)**[(٤)].

ولأجل تلبية احتياجات الداعية الشخصية «فقد فرض عمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الأرزاق من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم في التعليم والإفتاء. وحتى الذين يعلمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم»[(٥)]، «فقد كان بالمدينة ثلاثة من المعلمين الذين كانوا يعلمون الصبيان، وكان الفاروق يعطيهم خمسة عشر درهماً كل شهر لكل واحد منهم»[(٦)].

وكان عبدالمؤمن بن علي بن علوي، القيسي المغربي الكومي التلمساني مؤثراً

---

(١) مسند أحمد ٦/ ١١٧ برقم: (٢٤٩٠٨) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً..) (٣٦٦١).
(٣) صحيح البخاري، كتاب أبوب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، رقم (٤٦٧).
(٤) جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب ١٥ برقم (٣٦٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦١).
(٥) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ٢١٨.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٤١ (٢٠٨٣٥)، السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٢٤(١١٤٥٨).

لأهل العلم، محبّاً لهم يستدعيهم من البلاد، ويجري عليهم الصلات، وينوه بهم»[١].

قال علي بن خشرم: «قلت لعيسى بن يونس: كيف فضلكم ابن المبارك، ولم يكن بأسن منكم؟ قال: كان يقدم ومعه الغلمة الخراسانية، والبزة الحسنة، فيصل العلماء، ويعطيهم، وكنا لا نقدر على هذا»[٢].

عن قيس بن الربيع قال: «إن أبا حنيفة كان يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، **فيشتري بها حوائج أشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير والأرباح إليهم**، ثم يقول: أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله؛ فإني ما أعطيكم من مالي، ولكن من فضل الله عليّ فيكم»[٣].

المطلب الثاني
كلام السلف في أهمية تلبية الاحتياجات المالية للدعاة

عن علي بن الفضيل، «سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذا

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٣٩٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٨١٠.
(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ٤٤.

لأصون وجهي وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي. قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا»[١].

وعوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: «إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم. احتاجوا؛ فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم»[٢].

وروي عن الثوري قال: «أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فإن الآفات إليه أسرع، والألسنة إليه أسرع»[٣].

ونظر رجل إلى سفيان الثوري وفي يده دنانير، فقال: يا أبا عبد الله! تمسك هذه الدنانير؟! قال: «اسكت، فلولاها لتمندل بنا الملوك»[٤].

قال في الشرح الصغير: «من المصارف التي يصرف فيها من بيت مال المسلمين: **إِعَانَةِ مُحْتَاجٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ** -وعلق الصاوي- بقوله: وَهم أَوْلَى مِنْ غيرِهمْ لَا سيمَا الْمُنْقَطِعِينَ لقراءته وَتَدوينه، وللإفتَاء وَالقضاءِ ونحو ذلكَ»[٥].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٤، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٢٤٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

(٥) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، باب قسم الغنائم والنظر في الأسرى ٤/ ٣٣٤.

«ومن أهم ما ينفق في سبيل الله في زماننا هذا إعداد الدعاة إلى الإسلام، وإرسالهم إلى بلاد الكفار، من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمال الكافي، كما يفعل الكفار في نشر دينهم»(١).

المطالب الثالث
أهمية تلبية الاحتياجات المالية للدعاة

تظهر حاجة الداعية لتلبية احتياجاته المالية في مظاهر كثيرة، وعلى سبيل المثال:

فإن من أهم وسائل الدعوة إلى الله المعايشة والمخالطة للداعية بمن حوله، وقد لا يستطيع الداعية القيام بوسائل الدعوة المعتادة المتعارف عليها في هذا الجانب؛ رغم أهميتها -كزيارة المريض مثلاً- لأنه لا تتوفر لديه وسيلة مواصلات، أو لا يجد ما يسد به أجرة المواصلات.

وقد لا يستطيع الداعية استقبال أحد في بيته؛ إما لضيق مسكنه بحيث لا يمكنه استقبالهم فيه، أو ضيق معيشته أو غير ذلك، وهذا الأمر يجعل الداعية ينفصل عن الآخرين في وقت يحتاجونه فيه، فيفقد التفاعل مع مجتمع الدعوة، ويتخلى عن كثير من الأخلاق الاجتماعية الدعوية الحميدة، مثل: الكرم للضيوف والأصحاب، والصدقة والتكافل الاجتماعي، وروح المبادرة، ومشاركته للناس في أعمالهم ومشاريعهم.. مع

(١) فقه السنة لسيد سابق ١/ ٥٣٢-٥٣٣ بتصرف يسير.

أن هذه الأخلاقيات الاجتماعية من أهم الوسائل التي يحتاجها الداعية.

فضلا عن أن يقوم بتوزيع كتب أو مطويات أو تفريغ وقت لحضور برامج تأهلية أو عملية في الدعوة إلى الله، وذلك كله يحتاج إلى المال؛ بل يغني المال.

ومن جانب آخر: فإن حياة الداعية الشخصية تحت مجهر الناس، ينظر إليها من حوله بتأمل وتدقيق، فإذا حصل خلل في أي جانب من جوانب حياته ظهر أثره على استجابتهم وطمع فيه الطامعون المفسدون؛ فهم يستغلون قلة الموارد المالية لدى الدعاة لينالوا من الإسلام وأهله، وذلك بالتشكيك في قدرة الإسلام على تلبية احتياجات دعاته، فيقولون لهم -بلسان الحال أو المقال- لو أن دينكم حقٌّ ما ترككم هكذا من غير أن يعينكم على أمور دعوتكم وأموركم الخاصة، ولذا فقد قرن رسول الله ﷺ في دعائه بين الكفر والفقر في تعوذه فقال: **(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر)**[1].

ويبين رسول الله ﷺ العلة في ذلك بأن الحاجة للمال تدفع المرء إلى بيع دينه، فقال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)[2].

فقلة ذات اليد قد تؤدي بالداعية إلى الوقوع فيما حرم الله تعالى تلبية لشهواته ورغباته، في الوقت التي قد يجد فيه من يلبي له تلك الشهوات بيسر وسهوله استدراجاً له.

(١) سنن أبي داوود، في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٩٢) وحسنه الألباني في صحيح وضعيف أبو داوود (٥٠٩٢)، ومسند أحمد، ٥/ ٣٦ (٢٠٣٩٧) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨).

وإن الداعية في حاجةٍ إلى الاستزادة من العلم وتهيئة ذلك له، سواء بتفريغ وقته لطلاب العلم، أو أدواته من كتبٍ وتقنياتٍ، أو ما يحتاج من مصروفات ارتحالٍ لطلاب العلم كذلك، وهذا كله يحتاج لدعم.

وإن قلة الموارد المالية من الأسباب الرئيسة التي تقف وراء مساوئ الأخلاق التي قد يقع فيها بعض الدعاة لأنهم من البشر؛ حيث إن المال القليل قد يفتن المرء في دينه ويصبح -للحاجة- تأثيراً أقوى من مراقبة الله والخوف منه والاستجابة لنداء الضمير.

وتؤدي قلة الموارد المالية للداعية إلى الانشغال بطلب المعاش، فيشغله ذلك عن الدعوة إلى الله والتعريف بهذا الدين.

وقد يجر إلى مشكلات نفسية، فقد بين الله تعالى أن من ضعف الإنسان أنه لا يصبر على ضيق الرزق، بل يتمعر ويعترض قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]

وبناء على ذلك فالنفس الإنسانية معرضة لذلك إلا من اهتم بنفسه وزكاها وأدبها قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

ومن المعلوم أن تكوين الأسرة المسلمة واستقرارها من أسباب النجاة من الوقوع في الرذائل والفواحش، وعدم الاستقرار النفسي، وقلة الموارد المالية لدى الداعية

تجعله لا يستطيع تحمل تبعات استقرار أسرته معه في بلد الدعوة، لحاجة ذلك إلى إيجار سكن عائلي، وتذاكر سفر، ومدارس، واحتياجات الحياة الضرورية، وهذا له تأثير سلبي على الداعية فيتشتت فكره وجهده، بل قد تكون قلة الموارد لدى الداعية معوِّقاً له عن الزواج ابتداءاً، أو من معوقات استمرار الأسرة بعد تكوينها.

كل هذه الأمور تُبيِّنَ مدى احتياج الداعية إلى المال، فعلى الجهات الحكومية والخيرية والأهلية التي تقوم على رعاية الدعاة إيجاد وسائل لدعمهم، وتيسير الحياة الكريمة لهم، وتيسر ما يحتاجونه للقيام بالدعوة إلى الله، من خلال جمعياتٍ وأوقافٍ ومنحٍ خاصة بهذا العمل الدعوي المبارك[١].

المطلب الرابع

مسألة: حكم أخذ الدعاة أجرة على الدعوة

ضرب النبي ﷺ، وصحابته المثل الأعلى للدعاة في بذل الغالي والنفيس لتبليغ دين الله تعالى، وكانوا ينفقون من أوقاتهم وأموالهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، فضلا عن أن يسألوا على ذلك أجراً، وكان شعارهم في ذلك ما أمر الله به نبيه: ﴿قُل

(١) سيتم الحديث بتوسع أكثر حول هذه المشكلة في قضايا منهجية في مشكلة قلة الموارد المالية للدعوة والدعاة، وينظر: د. عبدالرحمن السيد جويل رسالة ماجستير بعنوان: أثر قلة الموارد المالية على الداعية وسبل علاجها يمكن الرجوع لها، خصوصا في وسائل حل مشكلة قلة الموارد المالية.

﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

ومع اتساع الدولة المسلمة، وانتشار الإسلام بين الأمم المختلفة، وبَدءِ تدوين العلوم ونشرها في أقطار الأرض؛ احتاج المسلمون في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى من يشتغل بالعلم والتعليم والدعوة إلى الله تعالى ويفرِّغ لذلك وقتاً. وعندها تطرق العلماء لمسألتنا هذه: هل يجوز أخذ أجر على أعمال القرب بما فيها تعليم العلم ونشره -لا سيما القرآن-. ولاشك أن تعليم القرآن من أهم صور الدعوة إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هذا مما يخفى على أحد ممن نشأ بديار الإسلام. والصحابة والتابعون وتابعو التابعين وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه إنما كانوا يعلمون بغير أجرة، ولم يكن فيهم من يُعَلِّمُ بأجرة أصلا»[(١)].

وفي هذا المطلب المختصر نحاول توضيح هذه المسألة ببيان كلام أهل العلم فيها، وما ينبغي للداعي تجاهها، من خلال النقاط التالية[(٢)]:

(١) مجموع الفتاوى ٣٠/ ٢٠٤.

(٢) للاستزادة حول هذه المسالة، يمكن الرجوع إلى: كتاب: أخذ المال على أعمال القرب، لعادل بن شاهين، وكتاب مسألة: حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم، د. عبد الرزاق حسين، بحث: حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة د. محمد السكر، د. عماد الزيادات. كلية الشريعة - الجامعة الأردنية، وموقع الإسلام سؤال وجواب، =

أولاً: أقوال العلماء في حكم أخذ الأجر على الدعوة إلى الله تعالى:

أصل هذه المسألة هو ما عرف عند العلماء: بحكم أخذ الأجرة على أعمال القُرَب متعدية النفع، وللعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

- **القول الأول: الجواز مطلقا**، وهو قول: مالك، والشافعي، ورواية عن أحمد، وبعض المتأخرين من الحنفية، وهو المعتمد في فتوى المذهب.
- **القول الثاني: المنع مطلقا**، وهو قول: الزهري، وإسحاق، وأبي حنيفة، ومتقدمي الحنفية، والرواية الثانية عن أحمد.
- **القول الثالث: التفصيل**، فالمنع عند الاستغناء، والجواز عند الحاجة، وهو الرواية الثالثة عن أحمد، ورجَّح هذا القول: ابن تيمية، ومحمد الأمين الشنقيطي -رحمة الله على الجميع-.

ثانياً: أدلة الأقوال:

من أدلة القول الأول: قول النبي ﷺ: **(إِنَّ أَحقَّ مَا أَخَذتُم عَلَيهِ أَجراً كِتَابُ الله)**[1]، وأن النبي ﷺ زوَّج امرأة برجل وقال له: **(زوجتكها بما معك من القرآن)**[2]، فجعل تعليمها القرآن صداقها، وما جاز كونه صداقا جازت الإجارة عليه.

=الفتاوى رقم: (١٢٨٠٩٣)، (٢٠١٠٠)، و (٩٥٧٨١)، ومقطع مرئي بعنوان: حكم أخذ المال على الدعوة والتعليم الشرعي، للشيخ عبد العزيز الطريفي.

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم (٥٤٠٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤٧٤١).

قال القرطبي: «وأجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن: مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو ثور، وأكثر العلماء؛ لقوله عليه السلام في حديث ابن عباس حديث الرقية: (**إِنَّ أحقَّ مَا أَخَذتُم عَلَيهِ أَجراً كِتَابُ الله**) وهو نص يرفع الخلاف، فينبغي أن يعوَّل عليه»[1].

من أدلة القول الثاني: قول الله تعالى: ﴿ **ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ [يس: ٢١]، وأنَّ هذه القُرَب من العبادات؛ فلا يجوز أخذ الأجرة عليها كالصلاة والصيام.

من أدلة القول الثالث:

الجمع بين أدلة القولين السابقين: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن فَرَّق بين المحتاج وغيرِه -وهو أقرب- قال: المحتاج إذا اكتسب بها أمكنه أن ينوي عملها لله، ويأخذ الأجرة ليستعين بها على العبادة، فإن الكسب على العيال واجب أيضاً، فيؤدي الواجبات بهذا، بخلاف الغني لأنه لا يحتاج إلى الكسب، فلا حاجة تدعوه أن يعملها لغير الله، بل إذا كان الله قد أغناه، وهذا فرض على الكفاية، كان هو مخاطباً به، وإذا لم يقم إلا به كان ذلك واجباً عليه عيناً، والله أعلم»[2].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنَّ الإنسان إذا لم تَدعُهُ الحاجة الضرورية فالأولى له ألّا يأخذ عِوَضاً على تعليم القرآن، والعقائد، والحلال والحرام؛ للأدلة الماضية. وإن دعته الحاجة أخذ بقدر الضرورة،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠/ ٢٠٤.

من بيت مال المسلمين؛ لأنَّ الظاهر أنَّ المأخوذ من بيت المال من قبيل الإعانة على القيام بالتعليم، لا من قبيل الأجرة. والأولى لمن أغناه الله: أن يتعفف عن أخذ شيءٍ في مقابل التعليم للقرآن، والعقائد، والحلال والحرام»[١].

○ ثالثاً: تنبيهات وتوجيهات ونصائح للدعاة حيال هذه المسألة:

- ذكر العلماء أنَّه لاشك أنَّ المحتسب ليس كمن يأخذ أجراً دنيويًّا، وأنَّ من يأخذ أجراً دنيويًّا مع صدق نيته في الدعوة إلى الله لن يعدم أجراً عند الله تعالى.
- الأصل في الداعية ألا يسأل الناس أجراً على دعوته، وأن يتأسى بأنبياء الله ورسله والصالحين من أتباع الرسل في بذلهم من أموالهم وأوقاتهم، وأن ينفق على الدعوة، لا أن تنفق عليه الدعوة، وأن يكتسب للدعوة، لا أن يكتسب بالدعوة.
- ليحذر الداعية أن يكون مقصده بالدعوة إلى الله التكسب والتكثر من الدنيا، فمن فعل ذلك فقد تعجل الأجر، وليس له في الآخرة من خلاق. ومن علامات ذلك أن يمتنع عن الدعوة لضعف المكسب الدنيوي المبذول له!
- ليحاول الداعية ما أمكن أن يكتسب بعمل دنيوي منفصل عن الدعوة كالتجارة ونحوها، فهذا أحفظ لأجره، وأدعى لقبول دعوته، ولعدم التأثير عليها.
- إذا احتاج الداعية للمال لينفق على نفسه، ولم يكن له باب آخر يكتسب منه، فقد استقرت فتوى العلماء على جواز ذلك.

---

(١) أضواء البيان ٢/ ١٨٢.

■ **خلاصة الأمر في ثلاث مراتب:**

١ - **أعلاها**: أن يستغني عن أخذ شيءٍ دنيويٍّ، من مال أو جاه أو منصب أو مكانةٍ أو غيرها، ويستغني بنفسه.

٢ - **أوسطها**: أن يأخذ من بيت مال المسلمين؛ فإن لم يكن فمن جمعياتٍ خيرية ومؤسساتٍ او شركات عامة لا تؤثر على دعوته.

فإن لم يكن فمن شخصياتٍ معروفة بالخير والتبرع أو شركاتٍ خاصةٍ بالشرط السابق.

٣- **أدناها**: أن يأخذ من المدعوين عبر جمعيات تعاونية، فإن لم يكن فليكن عبر مجلس إدارة تعاوني، وذلك للشفافية والنزاهة.

أسأل الله أن يغني العلماء والدعاة وطلبة العلم ويسخر لهم من يقوم على شأنهم ولا يحوجهم لسؤال أحدٍ غير الله.

■ لينوي الداعية التَقَوِّي بما يأخذه من أجر على الدعوة، وإعفاف نفسه وأهله، ولتكن نيته أنَّه متى لم يحتج إلى هذا المال أنه سيستغني عنه ويعمل حسبة لله، فهذا أدعى لحصول الأجر كاملاً إن شاء الله.

■ اختلف العلماء في الغني هل له أن يقبل الأجر أو الراتب على دعوته؟ والأولى أن يستعف عن ذلك كما سبق من كلام ابن تيمية والشنقيطي -رحمهما الله-.

- ليحرص الداعية أن تكون له أعمال دعوية يقوم بها احتساباً، وألا يكتفي بالأعمال الدعوية الموكلة إليه رسميًّاً من كافله؛ فهذا أدعى لتجديد نيته وإخلاصه.
- لا ينبغي أن يَقبَلَ الداعيةُ دعماً من أي جهة قد تؤثر على دعوته، أو تملي عليه إبلاغ خِلَافَ ما يدين الله تعالى به، بل يقبل الدعم من أهل الصلاح والإصلاح الذين يشاركونه في نصرة الحق والدعوة إليه.
- على المخلصين والصالحين من أهل الأموال أن يخصصوا أوقافاً للدعاة يغنوهم بها عن سؤال الناس، أو تأثير الناس عليهم، ويحفظوا لهم بها ماء وجوههم. وليعلموا أنَّ هذا العمل من أفضل العبادات، وهذه النفقة من أعظم النفقات.

المبحث الرابع
الحاجة إلى الاستقرار الأسري للدعاة

يمكن إبراز هذا الجانب من احتياجات الدعاة في النقاط التالية:

المطلب الأول: أهمية حاجة الدعاة للاستقرار الأسري.

المطلب الثاني: الاستقرار الأسري في بيت النبي ﷺ وأثره في الدعوة.

المطلب الثالث: نماذج من احتياجات الدعاة للاستقرار الأسري.

المطلب الرابع: مفاهيم في الاستقرار الأسري.

المطلب الأول

أهمية حاجة الدعاة للاستقرار الأسري

من احتياجات الداعية الضرورية توفر الحياة الأسرية المتكاملة، فالداعية ليس في مرتبة غير مرتبة البشر، بل هو أشد الناس حاجة أن يكون صاحب زوجة وأولاد، وأن يحيا حياة كريمة مع زوجته وأولاده.

فالزوجة سكنٌ لزوجها، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١].

والأولاد نعمة من نعم الله تعالى، فيهم السعادة والاستقرار، حتى إن نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام دعا ربه بأن يرزقه الولد، قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

والأمن في الطعام والأمن في السكن مطلب مهم، ولذا امتن الله على قريش به في قوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش:٣، ٤].

ولذا دعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه عندما وصل إلى مدين مطارداً وسقى للجاريتين بقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤]، فاستجاب الله دعاء نبيه وهيأ الله له رجلاً صالحاً أكرمه، فرزقه الله زوجة وعملا يقيم به حياته الأسرية.

فمن أعظم نعم الله على الداعية الأسرة الصالحة إذ توفر له الأمن والطمأنينة

والراحة كي يستطيع الانطلاق في العمل بلا هوادة ولا معوق، وتتضاعف إنتاجيته.

فقد تبدو الأسرة لا تمتلك القوة الظاهرة، ولكنها في الحقيقة تمتلك قوة خفية، تدفع الداعية إلى معترك الخشونة، وتصمد مع الداعية كالصخرة أمام العواصف.

والله تعالى قد أظهر هذا الجانب في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

فهيأ الله لهم من الأسباب ما يجعل بيوتهم مستقرة، قادرة على رعاية الأنبياء، والمساهمة في نشر الدعوة، وتحمل الأعباء الدعوية معه، فنجد في سيرتهم دليلاً على نجاح دعوة الداعية إذا كانت أسرته مستقرة، كما في دور هاجر في تهيئة الجو الأسري لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لكي يقوما بواجب الدعوة، وكيف أن إبراهيم ترك زوجته هاجر مع ولده إسماعيل وهو مطمئن لوعد ربه، ومطمئن أن لديه زوجة صابرة مؤمنة محتسبة إيجابية، وكيف كان دور إسماعيل في إعانة أبيه إبراهيم على الدعوة وتلبية احتياجاتها والنهوض بواجباتها، بل والصبر على البلاء فيها حتى قدَّم نفسه لله استسلاماً لأمر الله تعالى.

المطلب الثاني

الاستقرار الأسري في بيت النبي ﷺ وأثره في الدعوة

فهذا رسول الله ﷺ، يهيئ الله له الجو الأسري المناسب له ولدعوته، ويبعد عنه كل الشواغل التي قد تؤثر على دعوته، فقد خاطب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نساء النبي ﷺ خطاباً مباشراً، فقال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا

ﭐلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٣٠ - ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فهذه هي صفات زوجات الأنبياء، وهذه هي الصفات التي لا بد أن تحيا بها زوجات الدعاة إلى الله تعالى.

ويأمر الله نبيه ﷺ أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، حينما طلبن التوسع في المعيشة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. فاخترن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة[1] رضي الله عنهن جميعاً.

وعندما صدرت منهن بعض الأعمال التي هي من فطرة النساء أدت إلى أن يحرم النبي ﷺ العسل على نفسه أو غيرة، عاتبه ربه على هذا، وعاتبهن كذلك حتى لا يقع منهن شيء من هذا مما يؤثر على استقرار بيت النبوة، قال تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ

(١) الخبر أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾ (٤٧٨٥)، وينظر: بغية الطلاب في موضوعات سورة الأحزاب ص٢١٢ وما بعدها.

﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

ولنأخذ مثالاً واحد من زوجات رسول الله ﷺ ودورهن في تهيئة الاستقرار الأسري للنبي ﷺ حتى ينشغل بالدعوة.

قال د. محمد الغزالي: «وخديجة رضي الله عنها مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غَبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم»[(١)].

فقد كان لها دور كبير في تثبيت النبي ﷺ أول ما نزل عليه الوحي، حيث رجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة فقال: **(زملوني زملوني)**. فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال: **(لقد خشيت على نفسي)**. فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» ثم ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وكان من علماء أهل الكتاب[(٢)]، تسأله للاطمئنان وتعود بالجواب الذي يثبت فؤاده.

وكان لها الدعم المباشر للنبي ﷺ، بكل ما تملك؛ حتى قال ﷺ عنها: **(واستني بمالها إذ حرمني الناس)**[(٣)].

وكل زوجات النبي ﷺ كان لهن دور في استقرار بيت النبوة، فكان خير البيوت، وقدوة لكل بيوت الدعاة.

---

(١) فقه السيرة للغزالي، ص٧٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب بدء الوحي (٣).

(٣) تقدم تخريجه ص١٧٩.

المطلب الثالث

نماذج من احتياجات الدعاة للاستقرار الأسري

فالداعية يحتاج إلى الاستقرار الأسري بشكل كبير جدًّاً، فهو:

في حاجة إلى زوجة صالحة وأولاد صالحون، لا يحمل همهم بل هم يحملون هم الدعوة معه، ويجتهدون في التضحية بحقوقهم من أجل الدعوة.

في حاجة إلى أن يتوفر له السكن المناسب له ولزوجته ولأولاده، مع موارد مالية مناسبة، تعينهم على الحياة لاسيما إذا سافر من أجل الدعوة.

في حاجة إلى من يخلفه في زوجته وأولاده وماله، إن حصلت له ظروف أثناء غيابه عنهم للدعوة، أو انشغاله بأمور تمنعه من توفير الاحتياجات المالية لهم.

في حاجة إلى أن تتحمل أسرته كثرة غيابه عن المنزل، ما دام ذلك كله في طاعة الله تعالى، فإن الداعية ليس لأسرته فقط وإنما هو للأمة كلها، فلا ينبغي أن تكون الأسرة سبباً لحبسه ليقوم على خدمتهم فقط.

في حاجة إلى أسرة تعطيه أكبر قدر ممكن من الوقت ليتفرغ لدين الله تعالى لمهمة الأنبياء والمرسلين، وألا تنغص عليه حياته وألا تعكر عليه صفوه.

في حاجة إلى أسرة تكرم ضيوفه، وتسعد بوجودهم، وتصبر وتحتسب الأجر في ذلك؛ لأن الأصل في الداعية أن بيته لله تعالى، وحياته لله وأمواله لله تعالى، فهو يستقبل في بيته ضيوفاً يعرفهم أو لا يعرفهم، بل أحياناً قد ينزل بالداعية أكثر من ضيف في وقت واحد، بل لعله لا يكاد يمر يوم إلا وهناك ضيوف يطرقون الباب ويتأخرون عنده فيدركون وجبة إفطار أو غداء أو عشاء، فلابد أن يُكرموا في بيت الداعية بكرم الله تعالى.

في حاجة إلى أسرة تتألم لألمه وتفرح لفرحه، فإذا وجدته حزيناً تشاركه حزنه، بل لا ينبغي على أفراد الاسرة أن يكونوا في وادٍ والداعية في وادٍ، فقد يرجع الداعية في آخر الليل وهو مكدود منهوك متعبٌ حزين مكلوم؛ فلا ينبغي على أفراد الأسرة -وخصوصاً الزوجة- أن تكون غارقة في أفراحها مسرورة غير عابئة بحال زوجها، وقد ارتسم على محياه علامات الحزن والأسى.

في حاجة إلى أسرة تفرح لفرحه، فإذا ما رجع إلى بيته وهو فرح بما أكرمه الله به؛ لا ينبغي على أفراد الأسرة أن تظهر عليهم علامات الملل والضجر بل أن يشاركوه فرحه أيضاً.

في حاجة إلى أسرة تقف معه وتحفزه على تطوير دعوته وأداء رسالته، فكلما تقاعس أو ضعف تقول له: قم فأنت في وظيفة الأنبياء والمرسلين، فقد يصاب الإنسان بنوع من الفتور أو الضعف، فالأسرة الصالحة هي التي تحفز دائما الداعية وتعينه على عمل الخير وعدم التقصير في الدعوة، وعلى المحافظة على دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وينبغي لزوجة الداعية على وجه الخصوص أن تجعل البيت هانئاً لزوجها الداعية، بيتا سعيداً يأوي إليه من حر الهجير الدنيوي، ومن عنت المشقة من الصلح بين الناس، وإلقاء المحاضرات والأسفار، فيرجع إلى بيته وكأنه دخل جنةً وارفة الظلال.

لا بد أن تكون زوجة الداعية قدوة صالحة تليق بمقام زوجها الداعية، فزوجة الداعية في محل القدوة وفي محل الأسوة ومحل الإمامة، فالناس ينظرون إلى ثيابها وكلامها وهيئتها؛ فلا بد أن تكون شامةً بين النساء، وأن تكون في مقامٍ يليق بأزواج الدعاة.

ويجب على زوجة الداعية أن تهتم بنفسها، فتكون لزوجها كالريحانة طيبة الريح حسنة المنظر دائماً أبداً، لا تعتقد وتقل الزوجة المسلمة أن زوجي داعية لا ينظر إلى النساء وأنه قد زهد في الدنيا! فإن هذا ليس بحق، فالداعية بشر بل إنه أعظم حاجة

لحفظه من الفتنة لأنه قد يضطر للكلام مع النساء أكثر من غيره –بحسب موقعه الدعوي– فيصلح بين رجل وزوجته مثلاً وهكذا، ولذلك لابد وأن يرى في امرأته أنها آية من آيات الله في الجلال والجمال وطيب الرائحة وحسن المنظر.

وعلى الزوجة أن تهتم بأولادها، وأن تساعدهم؛ لأن الداعية قد لا يكون لديه من الوقت ليقوم على تدريسهم وعنايتهم ورعايتهم ومتابعتهم.

ومن احتياجات الداعية الأسرية أن تساعدهُ أسرته الداعية في بعض أعمال الدعوة، كتحضير بعض الدروس أو المحاضرات إن أمكن ذلك – فقد يكون الداعية أحياناً مشغولاً ويبحث عن مسألة، فالأسرة الموفقة هي التي تقف معه وتساعده في بحث المراجع أو البحث عمَّا يريد.

ولكي يستقر بيت الداعية ويصبح قادراً على الرقي بالدعوة؛ فعلى الداعية أن يقوم ببذل جهدٍ لاستقرار حياته الأسرية.

وهذا كله لن يحصل للداعية إلا إذا قام كل فرد من أفراد الأسرة بواجبه، وأحسن في أداء الواجب، فلا يعنى كل ما ذكرناه أن الداعية له احتياجات فقط، أو أن أسرته ليس لها احتياجات.. فتلبية الداعية لاحتياجات زوجته وأولاده مما يساعد على تلبية احتياجاته هو.

فعلى سبيل المثال يجب على الداعية أن يتعهد أسرته بالنصح والتوجيه وعدم الإهمال، ويحرص دائماً بأن يذكر وأن ينصح ويجعل لأسرته نصيباً من الدعوة، حتى لا يحصل نوع من التضاد والتنافر بين الداعية وأسرته، فلا تحمل همه ولا تفكر في تفكيره ولا تقوم بمساعدته، فينبغي على الداعية أن يعتبر أسرته هي الهدف الأول من دعوته، وأن يوجه الرسالة الأولى إليها، لأنه إن نجح فيها فسينجح في غيرها.

ويجب على الداعية ألا تشغله الدعوة عن الاهتمام بنفسه في بيته، فإن بعض الدعاة قد يتزوج القضية - كما يقولون - ويكون مع زوجته في بعدٍ وجفاء، رغم أنها تبيت معه في فراشه؛ بحجة أنه مهموم وأنه مشغول، وأن عليه أعباءً، فالمرأة لها حقها والدعوة لها حقها.

المطلب الرابع
مفاهيم في الاستقرار الأسري

١- من المهم أن يسري مبدأ الشورى بين الداعية وأفراد أسرته كما يسري على الأمور العامة في الحياة.

فمثلاً مسألة تغيير مكان السكن والإقامة والعمل الدعوي لابد أن يكون القرار مبنيًّا على مشاورة الزوجة والأولاد إن أمكن، ولعل هذا يكون أحد الأسباب المهمة لسعادة العائلة والانطلاق في العمل الدعوي معه بقوة ونشاط.

٢- من أسباب الاستقرار الأسري للداعية توريث الدعوة للزوجة والأبناء ليكون بيت الداعية منارة ترتفع ليصدر عنها نور الإسلام، وليُخرج لبنة في بنيان الدعوة، وليُنبت برعماً في حقل العمل الإسلامي، وحين يشبون وينتقلون من طور الطفولة إلى الشباب نلمس فيهم الوعي والفطنة، وبهذا سيكونون حملة الدين غداً.

ما أجمل أن تستقيم الذرية على خط الهداية وأن تجتمع الأسرة بأجيالها المتوالية: الآباء فالأبناء ثم الأحفاد في دقَّة العمل الإسلامي، إنها نعمة عظيمة..

٣- إن نسيان أسرة الداعية، -من زوجة وأبناء وما لهم من حقوق على الداعية

القريب-، هو أحد آفات العمل، بل ينبغي أن نصل إلى مستوى آخر من العمل، فنجعل من أسرة الرحم الصغيرة؛ من الوالدين والإخوة بالنسبة للشباب، أو الزوجة والأبناء بالنسبة للمتزوجين، وأسرة الرحم الكبيرة بالنسبة للعائلة الممتدة، مجالاً خصباً للدعوة، وذلك بإنتاج نموذج القدوة لمن حولنا، وبالحوار والنصيحة والبذل لهم.

إن ميدان أسرة الرحم يجب أن يعود إلى حساباتنا من جديد، وينال حظه في سلم الأولويات وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه، حتى نحقق التوازن المطلوب بين متطلبات الأسرة والرحم في عمل دعوي داخلي، ومتطلبات العمل الدعوي في المجتمع العام؛ فنحاول ما استطعنا تحقيق التوازن.

والخلاصة: أن الداعية بتوازنه واعتداله وتنظيمه لحياته، يستطيع أن يجعل بيته مستقراً قادراً على أن يكون قبلةً للخير والدعوة والبلاغ.

المبحث الخامس
الحاجة إلى الاستقرار النفسي

والمقصود بالاستقرار النفسي للداعية: وصول الداعية إلى الهدوء والاطمئنان وصفاء الذهن والنقاء، وذلك يعينه على أداء مهمته الدعوية.

وهو أمر نسبي يختلف من داعيةٍ لآخر، ومن مجتمعٍ دعوي لمجتمعٍ آخر، بل يختلف لدى الداعية نفسه مع اختلاف ظروفه المعيشية والدعوية ومراحل حياته وتجاربه.

ويمكن بيان معالم الحاجة للاستقرار النفسي في المحاور التالية:

المطلب الأول: أهمية تلبية الاستقرار النفسي للدعاة في القرآن.

المطلب الثاني: مواطن الحاجة للاستقرار النفسي للدعاة.

المطلب الثالث: وسائل تلبية احتياج الاستقرار النفسي للدعاة.

المطلب الأول

أهمية تلبية الاستقرار النفسي للدعاة في القرآن

إن الحاجة إلى الاستقرار النفسي من أهم الأمور التي يحتاجها الداعية، فإنه إذا لم يكن قلب الداعية وعقله في راحةٍ فلن يحقق ما يرجوه وما يُرجَى له من الخير.

وعندما يكون الداعية في راحةٍ واستقرارٍ نفسي يتوافر لديه إحساس بالرضا الذي يؤدي إلى العمل والإنتاج تحت أي ظرفٍ، مع العلم أن طبائع النفس البشرية يصعب عليها الوصول لحالة من الاستقرار النفسي التام أو الاستمرار على حالةٍ واحدةٍ من الاستقرار النفسي.

ومن الأهمية إبراز عناية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتوجيهات التي تراعي الجانب النفسي للدعاة، والتي لا بد من العناية بها ووضع البرامج المناسبة للدعاة للعناية بها.

ومما يدل على أهمية الاستقرار النفسي للداعية، أن الله تعالى أنزل ثلاث سورٍ خاصةً برسول الله ﷺ، وهي كذلك رسالة للدعاة من بعده وتطمين لهم بأن الله معهم، هاديهم وناصرهم وميسرٌ لهم أمورهم، وسيرضيهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحى: ١-٨].

في هذه السورة لمسةٌ من حنانٍ ورحمةٍ وودٍّ، تمسح على الآلام والمواجع، وتجلب الروْح والرضا والأمل والطمأنينة واليقين للروح المتعبة والقلب الموجوع.

فتلبية الاستقرار النفسي في هذه السورة اشتمل على: طمأنة النبي ﷺ بمعية الله له،

وطمأنته بأن الآخرة له، ووعده بالعطاء الذي يرضيه، وتذكيره ببعض نعم الله عليه التي عاش ويعيش فيها ليزداد طمأنينة.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح:١-٦].

نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى. وكأنها تكملة لها. وفيها كذلك العطف والمناجاة الحبيب، وفيها البشرى باليسر والفرج. وفيها التوجيه إلى طريق التيسير.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١].

«جاءت سورة الكوثر تزفّ إلى سيد المؤمنين بالله واليوم الآخر، هذا العطاء الجزيل، وذلك الفضل الكبير من ربه.. ومن هذا العطاء، وذلك الفضل ينال كلُّ مؤمن ومؤمنة نصيبه من فضل الله، وعطائه على قدر ما عمل»(١).

فهذه السور تظهر بأن هناك ضائقةً كانت في نفس الرسول ﷺ لأمرٍ من أمور هذه الدعوة التي كلفها، وأنه ﷺ كان مثقلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة، فكان في حاجة إلى عون وزاد ورعاية وتطمين.

ولا بد من التنبيه إلى أن الاستقرار النفسي للداعية يؤدي إلى العصمة من الركون للكفار، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣، ٧٤]. فهذا «إخبار عن تأييده تعالى رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته وعصمته وتولي أمره وحفظه. فإن المشركين، لكثرة تفننهم في ضروب الأذى

(١) التفسير القرآني للقرآن ٣/ ٩٢.

وشدة تعنتهم وقوة شكيمتهم، كادوا أن يفتنوه، ولكن عناية الله وحفظه، هو الذي ثبت قدمه في مثل مقامه في الدعوة إلى الله الذي لا يثبت فيه أحد غيره»[1].

المطلب الثاني

مواطن الحاجة للاستقرار النفسي للدعاة

◈ أولاً: التهيئة النفسية عند التكليف بأمر الدعوة:

لا بد عند تكليف الداعية بالدعوة أو بتكليفٍ دعويٍّ شاقٍّ أن يتم تهيئة الداعية لكي يهون عليه الأمر ويسعى لتحقيقه.

وهذا الأمر يظهر جليّاً في موقفين:

الأول: عند تكليف الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [طه: ١٧-٢٣].

فموسى عليه الصلاة والسلام كان فيه من الخوف ما الله به عليم فطمأنه الله وهدأ من روعه، فدار هذا النقاش، ومن فوائده أن يَنسى موسى هول الموقف.

الثاني: في حادثة أول نزول لجبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «..فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: **(ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني**

---

(١) محاسن التأويل ٦/ ٤٧٩.

الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [العلق ١-٣]). فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: **(زملوني زملوني)**. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، وقال: **(لقد خشيت على نفسي)**. فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

فهذه الضمة التي وقعت لرسول الله ﷺ في أول أمر التكليف الدعوي؛ فيها الدفء، والحنان، والتهدئة من روعه، وخوفه من هول ما رأى، مهما كانت هذه الضمة قويةً، فقد أدرك رسول الله قيمة هذه الضمة فيما بعدُ عندما انقطع عنه الوحي بعدها فاشتاق إلى الوحي مع أن الضمة كان قوية.

وأيضاً موقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في تهدئة النبي ﷺ وتبشيره بأنه لن يصيبه أذى؛ لما فيه من صفات الكرم وصلة الرحم وإعانة المكروب، كل ذلك مما يزيل ما بالنبي ﷺ من رهبة.

◈ ثانياً: التهيئة النفسية عند الأمر بدعوة الطغاة:

فعندما كلف الله موسى عليه الصلاة والسلام بدعوة فرعون بقوله: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤]، أوجس في نفسه خيفة من فرعون، وظهر هذا الخوف كذلك في دعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾ [طه: ٢٥-٣٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب بدء الوحي (٣).

وظهر هذا في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص٣٣، ٣٤].

وهنا أراد الله أن يطمئنه فقال له: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦]، وفصل ذلك بقوله: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥].

وبعد هذا التطمين أعاد الله عليه الأمر ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤] وهنا قال موسى وأخيه هارون: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥] فقال له الله تعالى يطمئنهما أشد تطمين: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]. وقال: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥].

وعند مناظرة السحرة وقذف عصيهم وسحرهم لأعين الناس، فخاف موسى فقال الله له ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٨] لأن معك الحق ومعهم الباطل، لأن معك العقيدة الصحيحة ومعهم الخرافة الباطلة، معك الإيمان واليقين بصدق ما أنت عليه، ومعهم طلب الدنيا ومغانم الحياة، أنت متصل الله، وهم يخدمون مخلوقا لا يملك من أمر نفسه شيء حتى لو كان طاغية جباراً.

◈ ثالثاً: علاج عدم الاستقرار النفسي عند الخطأ:

بعض الدعاة تحصل منهم أخطاء دعوية، أو أخطاء في حق الله تعالى، وهنا لا بد من سرعة معالجة تلك الأخطاء وعدم تكبيرها فتُؤدِّي إلى انتكاسةٍ في حياة الداعية وتأثيراً على عمله الدعوي.

فلما قَتَلَ موسى عليه الصلاة والسلام القبطي: ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ

مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٥ – ١٧].

فقد أثر هذا الخطأ في قلب موسى عليه السلام، فندم على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه حتى غفر الله له لإزالة ما في قلبه من الخوف والرهبة من الله أولاً.

واستجاب الله تعالى دعوته بأن سخر له ناصحاً ينصحه بالخروج من هذا المكان لكي لا يلحقه أذى قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠]، وبقيت آثارها مع موسى عليه السلام حتى بعد النبوة، قال تعالى عنه: ﴿قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]، ﴿قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء:١٥].

◇ رابعاً: الحاجة إلى الاستقرار النفسي في مواقف الدعوة العصيبة:

ويتضح هذا في إنزال الله السكينة على الرسول ﷺ في مواضع الدعوة العصيبة، ففي فتح مكة يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وفي حنين يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

فالداعية في المواضع العصيبة لا بد أن يسأل الله السكينة، التي تربط على قلبه وتثبته، وتجعله يتعامل مع الموقف بروية وهدوء بعيدا عن الانتقام والتصرفات غير المحسوبة.

◈ خامساً: الحاجة إلى الاستقرار النفسي عند تعنت المدعوين:

الجبلة البشرية تقتضي ضيق الصدر عند تعنت الغير، ووقوع الافتراءات منهم، والمعارضة والعداء، والداعية من البشر يصيبه ما يصيب البشر، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ، وللدعاة من بعده: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٩].

«لما ذكر تعالى أن قومه يهزؤون ويسفهون، أعلمه بما يعلمه سبحانه منه، من ضيق صدره وانقباضه بما يقولون: لأن الجبلَّة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك. ثم أعلمه بما يزيل ضيق الصدر والحزن. وذلك أمره من التسبيح والتحميد والصلاة. كما قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] «أي في ضيق صدر مما يمكرون من فنون المكايد فإنه تعالى كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك بهم»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] أي: حفظناك من شرّهم، فلا ينالك منهم ما يحذر. وهذا ضمان منه تعالى، له صلوات الله عليه، لينهض بالصدع نهضة من لا يهاب ولا يخشى. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]»[(٣)].

---

(١) محاسن التأويل ٦/ ٣٤٧.

(٢) محاسن التأويل ٦/ ٣٢٥.

(٣) محاسن التأويل ٦/ ٣٤٦.

«فهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة»[(١)].

◈ سادساً: الحاجة إلى الاستقرار النفسي حال المصائب:

فقد تمر على الداعية بعض المصائب ابتلاء واختبار من الله تعالى، فهذه سنة الله في المرسلين، كما قال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وهنا يحتاج الداعية إلى تثبيت وتطمين لقلبه، ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فعندما يقرأ الداعية مثل هذه الآيات في وقت المصائب تهدأ نفسه ويستقر فؤاده، ويزيد إيمانه فيكمل الطريق في دعوته بعزمٍ وقوةٍ وإصرارٍ وثباتٍ.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٥.

المطلب الثالث
وسائل تلبية احتياج الاستقرار النفسي للدعاة

❑ أولاً: التذكير بالنعم من أسباب الاستقرار النفسي للدعاة:

من الأسباب المعينة على الاستقرار النفسي للداعية، تذكر نعم الله تعالى وتذكيره بها، واستحضارها في المواقف الدعوية، فعندما كلف الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بالدعوة، عدد الله عليه بعض النعم التي أنعم بها عليه منذ ولادته حتى نجاته من فرعون عندما قتل منهم نفسا ثم اصطفائه للنبوة، تثبيتاً لنفسه في الدعوة، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [القصص٣٧-٤٢].

وقد طمأن الله نفس عيسى عليه الصلاة والسلام بما يجعله هادئ النفس قوي الحجة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال تعالى في خطابه لرسول الله ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى١-٧].

❑ ثانياً: من أسباب الاستقرار النفسي الترويح عن نفس الدعاة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً»[١].

يقول ابن القيم رحمه الله: «ينبغي للمناضل أن يعد رواحه إلى المرمى كرواحه للمسجد، واجتماعه بمن هناك كاجتماعه برؤساء الناس وأكابرهم، ولا يعد رواحه لهواً باطلاً ولعباً ضائعاً، بل هو كالرواح إلى تعلم العلم»[٢].

وهذا رسول الله ﷺ ينظم المسابقات التي يروح بها عن نفسه ونفوس أصحابه، فينظم مسابقة في الجري بينه وبين زوجته عائشة رضي الله عنها، فيسبقها مرة وتسبقه مرة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: **(هذه بتلك السبقة)**[٣].

وكذلك كان يسابق بين أصحابه في الفروسية فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أضمرت من الحفياء -موضع خارج المدينة بينها وبين ثنية الوداع خمسة أو ستة أميال- وكان أمدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وإن عبدالله كان ممن سابق بها[٤].

وفي مسيرة النبي ﷺ لخيبر كان عامر بن الأكوع يحدو بالناس ويقول:

اللهـم لـولا أنـت مـا اهتدينـا ولا تصدقنـا ولا صلينا...الـخ.

---

(١) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ١/ ٦٣ (٩٤).

(٢) الفروسية - ابن القيم (٢٧٥).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب السبق على الرجل (٢٥٧٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (٢٢٤٨).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في السبق (٢٥٧٥)، وصححه الألباني صحيح أبي داوود (٢٢٤٦).

وقد سمعه الرسول ﷺ فسأل عنه، فقيل له: عامر بن الأكوع، فقال: (يرحمه الله)[١].

❑ ثالثاً: تسلية الدعاة حال المصائب:

ومن الأمور المهمة حال المصائب تسلية الدعاة بما يهون عليهم المصائب ومن ذلك ما ورد في السيرة من أنه قد مرت على النبي ﷺ فترة من أشد الفترات عليه حتى سمّاها أهل السيرة عام الحزن فقد ماتت زوجته وعمه وأوذي من أهل الطائف، فكانت عناية الله تعالى تحرسه وترعاه فإذا برحلة الإسراء والمعراج التي أزالت تلك الشدة التي لحقت برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

«فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدًّاً ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخَوَّلَه نعما فاق بها الأولين والآخرين»[٢].

❑ رابعاً: التذكير بقوة المنهج الذي يدعو إليه:

لا بد من تذكير الداعية دائماً وأبداً بأنه على الحق وبأن منهجه هو المنهج الحق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى٥٢، ٥٣].

❑ خامساً: الاستقرار النفسي للدعاة بعرض التجارب السابقة:

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

قال القاسمي: «أي نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل من

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسيرة، باب غزوة خيبر (١٨٠٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٣.

قبلك، وتعلم أن العاقبة لك، كما كانت لهم»[١].

وقال السعدي: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به»[٢]، فلقد كان يجد من قومه، ومن انحرافات النفوس، ومن أعباء الدعوة، ما يحتاج معه إلى التسلية والتسرية والتثبيت من ربه- وهو الصابر الثابت المطمئن إلى ربه.

❑ سادساً: الاستقرار النفسي بتبشير الدعاة بما يثبت قلوبهم:

من الرعاية النفسية من الله للدعاة تبشيرهم ببعض الأمور التي تثبتهم على الحق وتعينهم في طريق التلقي من الله والدعوة والتعلم والتعليم. فقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ ببعض البشريات التي هي بشرى للدعاة كذلك إذا ساروا على منهج النبي ﷺ.

فقد بشره الله **بأنه في رعاية الله**، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] قال ابن جرير: «فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين»[٣]، وقال الشيخ ابن عثيمين أي: «نراك بأعيننا ونراقبك ونلاحظك، ونعتني بك»[٤].

وبشره **بأن العاقبة للمتقين**، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. فهذه بشرى من الله لنبيه ﷺ أن العاقبة له ولمن معه ولذلك يوصيه بالصبر المؤدي لتلك العاقبة، قال

(١) محاسن التأويل ٦/ ١٤٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٢.
(٣) جامع البيان ٢/ ٤٨٨.
(٤) تفسير جزء الذاريات لابن عثيمين ص ٢٠٢.

القاسمي: «فَاصْبِرْ أي على تبليغ الرسالة، وأذى قومك، وتوقع العاقبة لك في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالنعيم الأبدي، لِلْمُتَّقِينَ أي عن الشرك والمعاصي»(١).

وبشره بأن الله **سييسره لليسر**، قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨]. قال ابن جرير: «ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليُسرَى، واليُسرَى: هو الفُعل من اليسر»(٢)، «فهذه أيضاً بشارة كبيرة، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسراً»(٣).

❑ سابعاً: الاستقرار النفسي ببيان حفظ الله للدعاة من شر الأعداء:

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]. قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وإن يرد، يا محمد، هؤلاء خداعَك والمكرَ بك ﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك»(٤). وكفى بالله سبحانه مؤيداً وناصراً وحافظاً.

(١) محاسن التأويل ٦/ ١٠٦.
(٢) جامع البيان ٢٤/ ٢٧٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٩٢٠.
(٤) جامع البيان ١٤/ ٤٤.

الفصل السابع

واجبات الدعاة فيما بينهم

وفيه تمهيد، واثنا عشر مبحثا:

تمهيد: أهمية العناية بواجبات الدعاة فيما بينهم.

المبحث الأول: التآخي في الله.

المبحث الثاني: التعارف.

المبحث الثالث: التآلف.

المبحث الرابع: التفاهم.

المبحث الخامس: التكامل.

المبحث السادس: التعاون.

المبحث السابع: التشاور.

المبحث الثامن: التكافل.

المبحث التاسع: التناصر.

المبحث العاشر: التناصح.

المبحث الحادي عشر: التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات

المبحث الثاني عشر: التطاوع.

تمهيد
أهمية العناية بواجبات الدعاة فيما بينهم

عند الحديث عن مباحث علم الدعوة -وخصوصاً مبحث الدعاة إلى الله- يضعف الحديث عن علاقة الدعاة فيما بينهم، مع أن هذا الأمر ركن أساسي في العمل الدعوي.

فالحديث عن هذه الواجبات انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس١٣، ١٤].

وانطلاقا من قول الرسول ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه[(١)]، وقوله ﷺ: **(المسلم أخو المسلم)**[(٢)].

وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[(٣)].

فإذا كانت هذه التوجيهات للمؤمنين عامة، فهي للدعاة خاصة، فلا بد أن يكون بين الدعاة إلى الله تجاه بعضهم البعض: تآخٍ، وتعارفٍ، وتآلفٍ، وتفاهمٍ، وتكاملٍ،

---

(١) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠).

(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.

وتعاونٍ، وتشاورٍ، وتكافلٍ، وتناصحٍ، وتناصرٍ، وتغافرٍ، وتغافلٍ، وتعاذرٍ، وإقالة للعثراتِ، وتطاوعٍ.

نعم. لا بد أن يكون بين الدعاة:

تآخٍ: تُراعى فيه حقوق الأخوة الإسلامية وآدابها، وتُجتنب مفسداتها.

وتعارفٍ: يَعرف بعضهم بعضاً معرفةً شاملةً وحقيقيةً يترتب عليها عملٌ.

وتآلفٍ: يَجمع القلوب ويُوحد الصفوف.

وتفاهمٍ: يُوحد الأفكار، ويُراعي التوجهات والأولويات.

وتناصحٍ: في أمر الدين والدنيا والدعوة، يُقَوِّمُ العمل الإسلامي ويُطوره ويَرتقي به.

وتكاملٍ: يُوَظِّفُ الطاقات، ويُحقق الشمولية في الخطاب الإسلامي.

وتعاونٍ: يُعين على الإتقان وإنجاز المهام ويساهم في ذلك.

وتشاورٍ: يَهدي لأفضل وأصوب المناهج والوسائل والأساليب والقرارات.

وتكافلٍ: يَتَحمل فيه العاملون للإسلام بعضهم، ويسعون لفك كُربهم وحفظ بعضهم البعض في أموالهم وأهليهم.

وتناصرٍ: يَجعلهم أقوياء ضد أعدائهم، ويَقيهم من الخذلان وتمكين أعدائهم منهم.

وتغافرٍ وتغافلٍ وتعاذرٍ وإقالة للعثراتِ: يقبل فيه الداعية من أخيه عذره، فيغفر له خطأ أو تقصيره في حقه وحق دعوته، ويقيل عثرته، أو يتغافل عن أخطائه إذا كان أذاه قاصراً، أو يمكن تداركه بوسيلة أخرى.

وتطاوعٍ: يتنازل فيه الداعية عن حق نفسه لحق دعوته بتجرد وتواضع.

وأخيرا: إن لم نستطع أن نقوم بذلك كله فليكن **التعايش**، يكف أحدهم الأذى عن أخيه، وإلا حصل التنازع والتفرق المتوعد عليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وهذا سر من أسرار العقيدة الإسلامية التي تُراعي الأخوة بين المسلمين عامة، وبين العاملين في الدعوة بصفة خاصة، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٧١].

إن «التواصلُ الدَّعويُّ الممكنُ بين الدعاةِ ليس مساراً واحداً، بل مساراتٌ متعددةٌ تُبْنَى على بعضها، فأعلى درجاتها الوحدة، وأدناها السلامةُ وكفُّ الأذى، وبينها مساراتٌ كثيرةٌ ممكنةٌ قابلةٌ للتطبيق، كالتنسيقِ والتكاملِ والتعاونِ، وبعدها مسارات كثيرة تثير عوامل النزاع والفرقة وتشتيت قوة الأمة، ومن العسير جدًّاً أن يتم التعاون أو التنسيق في أجواء من التشنج والتوتر، كما أنه من العسير أيضاً أن يتحقق التواصل والتكامل على قاعدة هشة من علائق الأخوَّة التي تستبطن الشح والأثرة وسوء الظن.

إنَّ القدرةَ على إدارةِ العلاقةِ بين الدعاة برؤيةٍ ناضجةٍ تخفِّفُ من حِدَّةِ الاحتقانِ وتسعى لدرءِ النزاعات؛ هي أقلُّ الواجبِ المنوطِ بأعناق الروَّاد، والأمةُ التي لا تعرفُ كيف تُديرُ خلافاتها كيفَ لها أن تعرفَ طريقَ نهضتها؟! وأحسب أن تعزيز الائتلافِ وتغليب مصالحِ الأمة لن يتحققَ إلا بمبادرةِ القدواتِ العامِلَة الناصحة، وإذا تقاصر الرواد تطاول الأقزام»[(١)].

ومن هذا المنطلق لا بد من الحديث عن واجبات الدعاة مع بعضهم، كمسلمين أولا، ثم كشركاء في الدعوة.

(١) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، مقال منشور في مجلة البيان ع ٣١١ رجب ١٤٣٤.

المبحث الأول
التآخي في الله

يجدر التنبيه إلى أن كل واجبات الأخوة العامة بين المسلمين هي واجبة على الدعاة بصفة خاصة، ونعرض هذا من خلال النقاط التالية:

◈ أولاً: مفهوم الأخوة في الله بين الدعاة:

الأخوة في الله: عبارة عن كل ما يربط المسلمين بعضهم ببعض، وهذا الرابط:

قائم على الإيمان بالله والإيمان برسول الله ﷺ، **مقدم** على أخوة الدم والعرق، **دافع إلى** الحب في الله، والبغض في الله، والولاء لله والبراء لله.

فالأخوة الحقيقية هي أخوة الإيمان، فلا أخوة صادقة بلا إيمان، ولا إيمان صادق بلا شعور بالأخوة للمؤمن، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران ١٠٣]، وقال ﷺ: **(وكونوا عباد الله إخوانا)**(١).

«فمن كان قائماً بواجب الإيمان كان أخا لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وان لم يجر بينهم عقد خاص، فإن الله قد عقد الأخوة بين المسلمين بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾»(٢).

فالدعاة تربط بينهم الأخوة من جانبين: الأول: الإيمان، **الثاني**: تبليغ الإيمان، وكل منهما مما يقوي الأخوة وينميها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التحاسد والتدابر والتباغض (٢٥٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤١٨.

ثانياً: أهمية الأخوة وفضلها:

للأخوة في الله أهمية كبيرة جدّاً ومكانة عالية في الإسلام، تتأكد في حق الدعاة فيما بينهم، والذي يبرز هذه المكانة وهذا الاهتمام أمور وشواهد كثيرة منها:

١- الآيات والأحاديث التي تحث على الأخوة في الله تعالى: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، وقال ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)[1].

٢- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[2].

٣- أمر الله بالأخوة في الله بعد الأمر بالتقوى، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] فالأخوة إذا تنبثق من الأيمان بالله تعالى وتقواه.

٤- امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على المؤمنين بنعمة الأخوة فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران ١٠٣].

٥- أول ما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة بنى المسجد ثم آخى بين المهاجرين والأنصار. أي: أن الرسول ﷺ وضع أسس قيام الدولة الإسلامية أول ما وصل، وكان من أول هذه الأسس توثيق العلاقة بين الذين سيحملون هذا الدين، وذلك يتمثل في الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وهذا يُبْرِزُ أهمية الأخوة في بناء المجتمع المسلم وحفظه واستمراريته.

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٨٦، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١٤٢٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

٦- قدم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخوة الدين على الأهل والأقارب فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٧- شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أموراً تحافظ على سلامة الأخوة بين المؤمنين ونهي عن أمور تكون سبباً في فساد العلاقة الأخوية بين أبناء المجتمع المسلم.

هذه الشواهد تعطينا البرهان على أهمية الأخوة في الله تعالى ووجوبها والحقوق التي يجب أن يلتزم بها الإخوة في الله تعالى والبعد عما يخدش هذه الأخوة أو يساعد على عدم استمراريتها ووأدها، هذا في حق المسلمين كافة وتتأكد في حق الدعاة إلى الله خاصة.

◈ ثالثاً: حقوق الأخوة الإسلامية:

للأخوة في الله حقوق كثيرة، تتأكد في حق الدعاة إلى الله فيما بينهم، فمن جوامع واجبات الأخوة ما بينه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبينه رسوله ﷺ، ومن ذلك:

١- الأمر بالتعارف بين المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢- الإصلاح بين المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. وقوله ﷺ: **(كل سُلامى من الناس**

عليه صدقة، كل يوم تطلع فيـه الشمس تعدل بين اثنين صدقة...)[(١)].

٣- أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، كما قال ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[(٢)].

٤- التواد والتراحم، قال ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[(٣)].

٥- العمل على نصرتهم، قال ﷺ: **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)** قيل: أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟! قال: **(تحجزه عن الظلم ذلك نصره)**[(٤)].

وقال ﷺ: **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه)**[(٥)].

٦- الرد عن عرض الأخ المسلم، قال ﷺ: **(من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)**[(٦)].

٧- حفظ السر وستر العورة، قال ﷺ: **(لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)**[(٧)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بن الناس والعدل بينهم (٢٧٠٧)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٤٥).

(٣) تقدم تخريجه ص٤١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه (٦٩٥٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم (٢٨٥٠).

(٦) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب الذب عن المسلم (١٩٣١)، وقال حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح جامع الترمذي (١٥٧٥).

(٧) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة (٢٥٩٠).

٨- أداء حق المسلم على المسلم، قال ﷺ: **(حق المسلم على المسلم خمس إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**(١).

٩- إبرار القسم، كما في رواية البراء للحديث: **(ونصرة المظلوم، وإبرار القسم)**(٢).

◈ رابعاً: النهي عن ارتكاب مفسدات الأخوة:

فقد قرر الإسلام المنهج الذي يحفظ الأخوة من مفسداتها وخوارمها، ببيان أسباب النزاع وأصولها وتحذير المسلمين ونهيهم أن يقعوا في تلك الأمور خشية أن يحصل بينهم البغضاء والتفرق.

فنهى الله سبحانه عن أمور كثيرةٍ هي من أسباب ذهاب الأخوة بين المسلمين، مثل ما بينه الله تعالى في سورة الحجرات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا)(٣)،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز (١٢٤٠). ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم رد السلام (٢١٦٢) مع اختلاف في لفظ الحديث.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز (١٢٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣). ومسلم، كتاب البر والصلة، باب الظن والتجسس والتنافس والتناجش (٢٥٦٣).

فعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا وأنت تجد له في الخير محملاً، ومن عَرَّض نفسه للتُهم فلا يلومن إلا نفسه»[١].

وينبه رسول الله ﷺ على الغيبة وحقيقتها، فقد قال يوما لأصحابه: **(أتدورن ما الغيبة؟)** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **(ذكرك أخاك بما يكره)** قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال ﷺ: **(إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)**[٢].

وقال ﷺ: **(لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)**[٣].

وقال ﷺ: **(إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد)**[٤].

وقال ﷺ: **(ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيء)**[٥].

وقال ﷺ: **(لا يدخل الجنة قتات)**[٦]، وفي رواية: **(لا يدخل الجنة نمام)**[٧].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٣٢٣ (٧٩٨٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة (٢٥٨٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التحاسد والتدابر والتباغض (٢٥٥٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

(٥) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (١٩٧٧) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٠).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة (٦٠٥٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة (١٠٥).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة (١٠٥).

وقال ﷺ: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه)[١].

وقوله ﷺ: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)[٢]، وقوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله)[٣].

وقال ﷺ: (لا يبع بعضكم على بيع بعض)[٤]، وقال ﷺ: (ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض)[٥].

◈ خامساً: آدابٌ تقوي الأخوة بين الدعاة:

الأخوة أدبٌ جمٌّ وخلقٌ رفيعٌ ارتقاه سعيد بن العاص، فقال: «إني لأكره أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه»[٦].

وللأخوة آداب تقوي الأخوة نص عليها الشارع تمنح الأخوة رونقاً وبهاءً وجمالاً فمنها:

١- النية الصالحة، بأن يكون الحب لله: قال ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)[٧]، وقال ﷺ: (إن أوثق عرى الإيمان أن

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمساواة والمناجاة (٦٢٩٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (٢١٨٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤).

(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك (١٤١٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك (١٤١٢).

(٦) العقد الفريد ٢/ ٤٢٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

تحب في الله، وتبغض في الله)[(١)].

فينوي المسلم من أخوته لأخيه المسلم أن يكون عوناً له على أمر دينه ودعوته ودنياه وليستعين به على طاعة الله تعالى، فبهذا يوفق الله سبحانه الأخوين إلى الخير ويحفظ الله عليهما أخوتهما.

٢- إخبار الأخ بمحبته في الله، فإن هذا مما يستجلب المودة ويعمل على زيادة الألفة لقوله ﷺ: **(إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه)**[(٢)]. فما أعظمه من أثر على النفس وما أجمله من أدب مع الإخوة.

٣- التبسم والبشاشة، لقوله ﷺ: **(تبسمك في وجه أخيك صدقة)**[(٣)].

٤- تقديم الهدية وقبولها، حيث إن للهدية أثر واضح في تصفية القلوب من الأدغال والأحقاد، يقول الرسول ﷺ: **(تهادوا تحابوا)**[(٤)].

٥- الإيثار، لقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر ٩]، أي: أن تؤثر أخاك المسلم على نفسك حتى لو كنت أنت محتاجاً فإن لم تستطع على ذلك فأشركه معك في الخير الذي بيدك.

٦- الدعاء بظهر الغيب، لقول الرسول ﷺ: **(دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل)**[(٥)].

---

(١) مسند أحمد ٣٠/ ٤٨٨ (١٨٥٢٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بشواهده، وقال الألباني: صحيح بمجموع طرقه، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٩٨).

(٢) مسند أحمد ٢٨/ ٤٠٨ (١٧١٧١) واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، وجامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الإعلام بالحب (٢٣٩٢).

(٣) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف (١٩٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٤) الأدب المفرد للبخاري (٥٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٦٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٧٣٣).

٧- السعي لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم، لقوله ﷺ: **(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)**(١).

٨- تعاهد الأخ بالزيارة والسؤال، لقول النبي ﷺ: **(أن رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)**(٢).

٩- ترك التكلف، حتى لا يشعر الأخ أنه غريب عن أخيه، ولا يلجئه إلى الاعتذار دائماً، بسبب هفوة صغيرة، وكلمة عابرة، ويحاسبه على النقير والقطمير، كما قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف ١٩٩] أي: خذ العفو اليسير الممكن من أخلاق الناس في صحبتهم ومعايشتهم، ولا تطلب منهم الكمال، ولا تكلفهم ما لا يطيقون من الأخلاق.

قال الفضيل: «إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له، فيقطع ذلك عنه»(٣)، وكان جعفر بن محمد الصادق يقول: «أثقل إخواني علي: من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي»(٤). وقال بعض الحكماء: من سقطت كلفته دامت ألفته(٥).

١٠- الابتعاد عن الإطراء وترك المدح، فقد حذر الرسول ﷺ من الإطراء

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله (٢٥٦٧).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب، لمحمد بن عطية الحارثي ٢/ ٣٠٩.

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب، لمحمد بن عطية الحارثي ٢/ ٢٧٨.

(٥) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٩.

والمدح، صيانة للأفراد من الغرور والإعجاب بالنفس، وصيانة للعلاقات الأخوية، وحفاظاً على المجتمع الإسلامي، عن أبي موسى قال: سمع النبي ﷺ جلاً يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: **(أهلكتم - أو: قطعتم - ظهر الرجل)**[١].

١١- عدم مواجهة الأخ بالعتاب، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥] قال: «الرضا بغير عتاب»[٢]. قال الفضيل: «الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان»[٣].

وما أحسن قول الشاعر:

إذا كنـت في كل الأمـور معاتبـا ... خليلـك لـم تلـق الـذي لا تعاتبـه

فعـش واحـداً أو صـل أخـاك فإنه ... مقـارف ذنـب مـرةً ومجـانبـه[٤]

وهذا أمر مهم جدًّا في الأدب مع الإخوان حيث إن الإنسان من طبعه لا يحب العتاب الكثير من أي أحد وبالتالي فإنه لا يحب كثرة العتاب ممن يحبهم ويثق بهم.

مع التنبيه إلى أن العتاب القليل للإصلاح مطلوب وقد يكون تركه تماماً خطأ تربوي، لكن المشكلة في الإكثار منه لأنه يضيع هيبة الكلام، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

وللعتاب آداب منها الدعاء قبله والرفق فيه تأسيا بقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٤٣]، فقدم الدعاء على العتاب.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح وليقل ما يعلم (٢٦٦٣). ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان في إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٣٠٠١).

(٢) الدر المنثور ٤/ ١٠٤، فتح القدير ٣/ ١٤١.

(٣) الرسالة القشيرية ٢/ ٣٨٠.

(٤) روضة العقلاء ص١٨٢.

المبحث الثاني
التعارف

التعارف من أول الواجبات التي لا بد أن يقوم بها الدعاة فيما بينهم، وهذه الأهمية يمكن بيانها في النقاط التالية:

○ أولاً: مفهوم التعارف:

مصدر تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضاً وهو من مادّة (ع ر ف) الَّتي تدلُّ على السّكون والطّمأنينة، لأنَّ من أنكر شيئاً توحَّش منه ونبا عنه[١].

وهو أن يعرف النَّاس بعضهم بعضاً بحسب انتسابهم جميعاً إلى أب واحد وأمٍّ واحدة ثمَّ بحسب الدِّين والشُّعوب والقبائل، بحيث يكون ذلك مدعاة للشَّفقة والألفة والوئام لا إلى التّنافر والعصبيّة[٢].

فمفهوم التعارف في الإسلام له بعد قائم على «أن أمة الإسلام تؤسس بطريق التعارف بين أبناء البشرية، فالتعارف حوار العقول والنفوس، وحوار التوجُّهات والمنعطفات والمعوقات، الحوار الذي يستمع أطرافه بعضهم إلى بعض، فيحترمون الآراء والمعاناة والتوجهات، لا أحد يصادِر رأي أحد، ولا أحد يفرِض وجهةَ نظره على الآخر فرضاً»[٣].

○ ثانياً: أهمية التعارف بين الدعاة:

فالتعارف قاعدة اجتماعية عظيمة، وأصل من أصول النظام الاجتماعيِّ في

(١) مقاييس اللغة ٤/ ٢٨١.

(٢) نضرة النعيم ٣/ ١٠٠٤.

(٣) منهج التعارف في الإسلام الباشا حسن ص ٨.

الإسلام، وهو مقصد أصيل من خلق الناس على اختلاف شعوبهم وقبائل فإذا عطله الناس في حياتهم فقد عطلوا مقصد من مقاصد الخلق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:١٣].

«فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر، ولكن جعلكم شعوباً وقبائل وعائلات وأسراً لحكمة التعارف المقتضي للتعاون، إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد. فتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب»[(١)].

لذا كان التعارف أول واجب على الدعاة فيما بينهم، وهو ضرورة دعوية ومقصد رباني؛ قال رسول الله ﷺ: **(الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)**[(٢)]، أي: «المراد بالتعارف والتناكر التقارب في الصفات والتفاوت فيها، لأن الشخص إذا خالفتك صفاته أنكرته، والمجهول ينكر لعدم العرفان»[(٣)].

واذا كان التعارف مهمّاً بين الناس فهو أهم في حق الفئة التي تحمل أمانة الدين وتبلغ ميراث الرسول ﷺ إلى الناس أجمعين، فالتعارف مبدأ دعوي، واستراتيجية دعوية للمستقبل الدعوي.

والدعوة إلى التعارف بين الدعاة يعني إيجاد القواسم المشتركة بين الدعاة، فيتعرف الداعية على نفسه، ويتعرف على إخوانه الدعاة، وربما كان إخوانه الدعاة من عوامل معرفته بنفسه، فإذا حصل هذا سيدرك كل داعية دَورَه في الدعوة ودور إخوانه الدعاة فيحصل بذلك الاستخلاف في الأرض.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٤/ ٢٩٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (٣٣٣٦).
(٣) دليل الفالحين ٣/ ٢٣٤.

فبالتعارف بين الدعاة يحصل الحب والودُّ، والتعاون على الخير ومشاريعه، وتبادل الأفكار والخبرات والنصح، ويتحد الدعاة صفَّاً صفَّاً.

وأخيراً التعارف بين الدعاة مطلوب شرعاً، وإنه قد يكون منه ما هو ضروري، وقد يكون حاجيَّاً أو تحسينيَّاً حسب احتياج الدعوة.

ثالثاً: نماذج من التعارف:

من الشواهد على التعارف من السنة النبوية أن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يعرفه الصحابة حق المعرفة، حتى قال جعفر رضي الله عنه: **(حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه)**[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن وفد عبدالقيس أتوا النبي ﷺ فقال: **(من الوفد؟ أو من القوم؟)** قالوا: ربيعة. فقال: **(مرحباً بالقوم، أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى....)**[٢].

وكما فعل رسول الله ﷺ مع الغلام عداس عندما رجع من الطائف بعد أن آذاه أهل الطائف فإنه ﷺ لما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانيَّاً يقال له عداس. وقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ. ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده في الطعام قال: **(بسم الله)** ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: **(ما اسمك؟)** فقال: عداس، فقال له ﷺ: **(ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك)**؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى.

---

(١) مسند أحمد١/ ٢٠١ برقم (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم (٨٧).

فقال رسول الله ﷺ: **(من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟)** فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: **(ذلك أخي كان نبيًّا وأنا نبي)**[١].

فالنبي ﷺ قد عرف اسم عداس، ثم سأله عن بلده، وعندما أراد سؤاله عن بلده ناداه باسمه بأسلوب رقيق ورحيم فيه من الود وحسن الحديث، ثم سأله عن دينه، وكان ذلك مدخل لرسول الله ليعلمه، فأظهر له محاسن بلده وذلك أن منها نبي من أنبياء الله، وربط الرسول بينه وبين عداس وأهل بلده بوجود صلة الأخوة النبوية بينه وبين يونس عليه السلام.

ولأن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار عند مقدمه المدينة[٢].

وكذلك قصة بقي بن مخلد مع الإمام أحمد، فقد رحل من الأندلس إلى بغداد، بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل فذهب يستدل على منزله، وكان الإمام أحمد وقتها في المحنة ممنوعاً من التحديث، فلما دقَّ عليه بقيٌ خرج إليه، **وعرَّف بقيٌّ بنفسه، فسأله الإمام أحمد، أين موضعك؟** فقال: جئت من المغرب الأقصى، وبلدي الأندلس. **قال: إن موضعك لبعيد**[٣].

وقال الإمام أحمد: «قدمت صنعاء، أنا ويحيى بن معين، فمضيت إلى عبدالرزاق في قريته، وتخلف يحيى، فلما ذهبت أدق الباب، قال لي بقال تجاه داره: مه، لا تدق، فإن الشيخ يُهاب. فجلست حتى إذا كان قبل المغرب، خرج فوثبت إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمت، وقلت: حدثني بهذه رحمك الله، فإني رجل غريب. قال:

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢١، دلائل النبوة للبيهقي في المقدمة ص ٦٧، السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٥١، والقصة اشتهر وجودها في عدة مصادر.

(٢) والحديث أخرجه البخاري (٢١٧٢)، ومسلم (٢٥٢٩) وغيرهما.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٢-٢٩٤، مختصراً.

ومن أنت؟ وزبرني. قلت: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر؟ وضمني إليه، وقال: **بالله أنت أبو عبد الله**؟ ثم أخذ الأحاديث، وجعل يقرؤها حتى أظلم»[١].

رابعاً: فوائد التعارف بين الدعاة:

للتعارف بين الدعاة فوائد كثيرة نجملها في النقاط التالية:

١- التعارف هو أول مرحلة من مراحل بناء الحب بين الدعاة إلى الله.

٢- يقوي روابط الأخوة في الله بين الدعاة.

٣- يجد الداعية له أعواناً وأنصاراً حيثما كان.

٤- يورث الحب في الله بين الدعاة وينميه.

٥- يقضي على التناحر والتخاصم بين الدعاة.

٦- يزيل التمايز المنهجي والانتماء الحزبي ويبدله بالألفة والوئام.

٧- هو سبيل للتعاون بين الدعاة على البر والتقوى وتبادل المصالح ودفع المفاسد.

٨- يورث السكينة والطمأنينة القلبية بين الدعاة؛ لأن من عرف شيئا اطمأن إليه.

٩- الشعور بالأنس والتكامل والقوة بين الدعاة.

١٠- التكامل في القيام بأعباء الدعوة، زيادة الإنتاج الدعوي؛ وذلك من خلال استثمار الأموال والطاقات والأوقات التي لا تُمنح لأحد في الغالب إلا بحسب العلاقات أو المصالح المشتركة.

١١- تبادل الخبرات والتجارب الدعوية.

١٢- الحماية والنصرة؛ حيث تُشكّل العلاقات الجيدة حماية للداعية تمكّنه من نشر دعوته الإصلاحية.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٩٢.

خامساً: وسائل التعارف بين الدعاة:

يمكن إبراز مجموعة من الوسائل المعينة على التعارف بين الدعاة مثل:

١- أن يعرف الداعية أهمية وثمرة المبادرة بالتعارف بينه وبين إخوانه الدعاة.

٢- الابتسامة وطلاقة الوجه لإخوانه الدعاة هي أول الأعمال التي ينبغي على من أراد التعارف بالناس أن يهتم بها، فلا تعارف بلا ابتسام.

٣- المصافحة والإقبال على الأخ الداعية ترحيب وتقدير واحترام.

٤- تخير الظرف والحال للتعارف، فلكل مقام مقال، وينبغي أن يكون الداعية إلى الله كيساً فطناً ذكيًّا، يختار الظرف الملائم للتعارف والوقت الملائم له فعندئذ يكون النجاح له أقرب.

٥- أن ينوي به وجه الله، فلا يكون تعارفه لمصلحة دنيوية، أو لأهداف تصنيفية، وامتحانات منهجية.

٦- إقامة الاجتماعات الدورية بين الدعاة للتعارف سواء على المستوى المكاني أو العمل الدعوي الواحد.

سادساً: حدود التعارف بين الدعاة:

التعارف المثالي بين الدعاة وأن يشمل الأمور التالية:

١- الاسم ويفضل أن يكون ثلاثيًّا، وإن كان له كنية أو اسم شهرة أو اسم محبب إليه حتى تناديه به.

٢- البلد والقرية والمنطقة والنشأة والإقامة.

٣- الحالة الاجتماعية وعدد أولاده وأسمائهم ومستوياتهم وحالتهم الصحية.

٤- تخصصه العلمي أو مهنته أو وظيفته وتخصصه في الوظيفة.

٥- والتعرف على الوالدين والإخوة والأخوات.

٦- المعرفة العامة بالحالة المادية والصحية.

٧- السمات الشخصية وما يحب وما يكره والمواهب.

٨- معلومات التواصل الإلكتروني (هاتف، جوال، إيميل).

٩- الميول والاتجاهات العلمية والدعوية.

١٠- دوائر التأثير ودائرة الاهتمام.

١١- التجارب والمواقف الدعوية السابقة.

١٢- عمل معلومات يسيرة عن الزوجة وتخصصها العلمي.

سابعاً: تنبيهات وضوابط في التعارف بين الدعاة:

١- يتأتى التعارف الحقيقي بطول الصحبة والمعايشة والمشاركة في الأعمال الجماعية المختلفة سواء كانت دعوية أو اجتماعية.

٢- قد لا يحتاج الداعية إلى معلومات كثيرة عن إخوانه وتجاربهم في الأعمال الدعوية التي لها زمن محدد، ولكن يحتاجها الدعاة في البرامج والمشاريع الدعوية طويلة المدى التي تعتبر جزء من حياة الداعية.

٣- كل جزئية من جزئيات التعارف لها أهميتها في تقوية الروابط بين الدعاة وتوظيفها التوظيف الدعوى المناسب ومراعاتها عند المواقف والأزمات.

٤- ينبغي أن يُضبط التعارف بضوابط تجعله يحقِّق مصالح الدعوة، ويدفع الضررَ عن الدعاة والدعوة، وأن يكون هدف الدعاة من هذا التعارف هو تبليغ الدين للناس كافة وتعريفهم به.

٥- من أهداف التعارف بين الدعاة تبادل المعارف والتجارب بغرض التطوير والإبداع في العمل الدعوي.

المبحث الثالث
التآلف

التآلف من الواجبات المهمة بين الدعاة وهي ثمرة من ثمرات التعارف، وهو مطلب شرعي ومقصد دعوي مهم في الإسلام عموماً، وبين الدعاة خصوصاً.

ونبرز هذا الواجب في النقاط التالية:

☜ أولاً: مفهوم التآلف:

التآلف لغة: من الائتلاف وهو مأخوذ من مادّة (أل ف) التي تدلُّ على انضمام الشَّيء إلى الشَّيء[1].

الألفة والإلف: اجتماع مع التئام ومحبَّة[2]، أمَّا التَّألُّف: فهو المداراة والإيناس لمن هم حديثو عهد بكفر ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إلى أيديهم من المال[3].

والأُلفة: ميلان القلب إلى المألوف[4]، وقيل: الألفة اتَّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش[5].

☜ ثانياً: الشواهد على التآلف بين الدعاة:

امتن الله تعالى على عباده المؤمنين بنعمة التآلف، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

---

(١) مقاييس اللغة ١/ ١٣١ بتصرف يسير.

(٢) نضرة النعيم ٢/ ٣٩٥.

(٣) النهاية لابن الأثير ١/ ٦٠، ولسان العرب ١/ ١٠٨.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١١٤، التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٠.

(٥) التعريفات للجرجاني ص٣٥.

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. أي: «فأصبحتم بتأليف الله ﷻ بينكم بالإسلام وكلمة الحقِّ، والتَّعاون على نصرة أهل الإيمان، والتَّآزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخوانا متصادقين، لا ضغائن بينكم ولا تحاسد»(١).

فقد «كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف الله بين قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة، فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخواناً متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد، قد نظم بينهم وأزال الاختلاف»(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «النِّعمة تكفر، والرَّحم تقطع، وإنَّ الله تعالى: إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثمَّ تلا ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾»(٣).

فقد «ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله ﷺ، واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة، وذلك لما نظم الله من ألفتهم، وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحابّ والتوادّ، وأماط عنهم من التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله، والبغض في الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب، فهو يقلبها كما شاء، ويصنع فيها ما أراد»(٤).

فبالائتلاف وحدنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كتابه وعلى سنة رسوله ﷺ وامتن بذلك

---

(١) جامع البيان ٧/ ٨٤.

(٢) الكشاف ١/ ٣٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٧، الدر المنثور ٤/ ١٠٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٢٣٤.

على رسوله ﷺ، بأن جعل أصحابه مؤتلفين، وجعلهم على قلب واحد،، جعلهم متحابين -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

وقال ﷺ: **(أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وليس منا من لا يألف ولا يؤلف)**[(١)].

ثالثاً: أهمية التآلف بين الدعاة:

إنَّ التآلف من «القواعد المهمَّة التي يصلح بها حال الإنسان، وذلك أنَّ الإنسان مقصود بالأذيَّة، محسود بالنِّعمة، فإذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطَّفته أيدي حاسديه، وتحكَّمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدَّة، فإذا كان آلفاً مألوفاً انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت له مدّته[(٢)] عنهم، وإن كان صفو الزّمان عسراً وسلمه خطراً»[(٣)].

والتآلف بين الدعاة من خواصّ الشَّخصيَّة الدعوية فهو يؤدِّي إلى «القوَّة في التَّرابط والصِّحَّة في التَّوافق، والمتعة في التَّضام، وهو الذي يشدُّ بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض فالألفة: تجمع الشَّمل وتمنع الذلَّ»[(٤)].

والتآلف بين الدعاة يؤدي إلى التَّماسك الدعوي، واستقرار بناء العمل الدعوي، لما فيه من داع إلى التّناصر، ولما يوفّره من جوّ دعوي سليم صحيح لنشر الدعوة.

والتآلف بين الدعاة واجبٌ لأن الوحدة الإسلامية لا تتحقق إلا بتمام الألفة والتضامن بين دعاة الإسلام.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ٣٥٦، المعجم الكبير للطبراني ١/ ٣٦٢، شعب الإيمان للبيهقي ١٠/ ٣٦٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣١).

(٢) المدة هنا بمعنى معيشة الإنسان وأيام حياته.

(٣) أدب الدنيا والدين (١٤٨).

(٤) قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي د. علي خليل مصطفى ص٢٩٦- ٢٩٧.

والتآلف بين المسلمين من أعظم الجهاد في سبيل الله، قال السعدي: «فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية في جميع أفرادهم وشعوبهم، ومن أنفع الأمور أن يتصدى لهذا الأمر جميع طبقات المسلمين من العلماء والأمراء والخبراء وسائر الأفراد منهم»[١].

☜ رابعاً: نماذج للتآلف بين الدعاة:

بين السلف -رحمهم الله- ما كان بينهم من الألفة حتى ولو حصل بينهم خلاف، فالإيمان والدعوة والعلم هي التي تؤلف بينهم.

فعن مجاهد قال: رأى ابن عبَّاس رضي الله عنهما رجلاً فقال: «إنَّ هذا ليحبُّني، قالوا: وما علمك؟ قال: إنِّي لأحبه، والأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٢].

وقال أحمد بن حنبل عن الشافعي -رحمهما الله-: «الشافعي من أحباب قلبي، وقد باينَّا وباينَّاه، ما رأينا منه إلاَّ خيراً وكان شديد الاتباع للسنن»[٣].

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي رحمه الله: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيته فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة»[٤].

وقال أحمد بن حفص السعدي: «سمعت أحمد بن حنبل الإمام يقول: لم يعبر

---

(١) جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين، عبدالرحمن السعدي ص١٠.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ص ١٥٤.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٢/ ٢٨٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٠.

الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»(١).

وعن الأوزاعيّ قال: «كتب إليَّ قتادة: إن يكن الدَّهر فرَّق بيننا فإنَّ **ألفة** الله الذي ألَّف بين المسلمين قريب»(٢).

وعن الأوزاعي، أنه كتب إلى سليمان بن مجالد: «أما بعد فإنا وإن لم يكن جمعنا واياك تلاقٍ، وإن كانت الآفاق بهم مفترقة فإن **الألفة** بحمد الله جامعة، فنسأل الله أن يجعلك وإيانا من نعمته في ذات بيننا على توفيق يدخلنا به برحمته في عباده الصالحين»(٣).

وقَالَ خَيْثَمَةُ: «شَيْءٌ هُوَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَلَا يَنْقَطِعُ: **الْأُلْفَةُ**، جَعَلَهَا اللهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ»(٤).

وقال ابن تيمية: «إن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية، مع بقاء **الألفة** والعصمة وصلاح ذات البين»(٥).

☜ خامساً: مظاهر التآلف بين الدعاة:

ويمكن إجمال مظاهر التآلف بين الدعاة في النقاط التالية:

١- الولاء للحق والاعتصام بالحجة والبرهان، وأن يكون مناط التآلف رضا الله ﷻ، ومن الآفات التي ينبغي الحرص على علاجها ودرئها أن يُعقد الولاء والتعاون على الأساس الحزبي أو المشيخي وإن كان على حساب الحق.

(١) سير أعلام النبلاء١١/ ٣٧١.
(٢) أخرجه أبو الشيخ عنه كما في الدر المنثور ٤/ ١٠١.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ١٩٨.
(٤) سير السلف الصالحين لإسماعيل الأصبهاني ص٧٥١.
(٥) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ٦/ ٩٢.

٢- التناصحِ والتواصي بالحق بالرحمةِ والإحسان، لا بالتشفِّي والانتقام؛ فالنصيحةُ المشفِقَةُ آيةٌ من آياتِ المحبةِ والولاء، والسكوتُ عن الخطأ يزيد من شِقَّةِ الخلافِ.

٣- التماسِ العذرِ وحُسن الظن وسلامة الصدر وحفظ السابقة ومعرفة الفضل لأهله، ونحوها من أخلاق ذوي المروءات.

٤- التطاوع بين الدعاة، لأنه يَدلُّ على صفاءِ النفس وقوةِ الشخصية وسِعَةِ الأفق، ولا يتحقق إلا بقدر كبير من السماحة والاستعداد للتوافق، والتطاوعُ لا يعني التنازلَ عن الحقِ أو القبولَ بالباطل، أو السكوت عن الأخطاء، لكنه يعني الملاينة واتساعَ الصدرِ للاجتهادات السائغة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، والكبرى على الصغرى، وسعة الأفق في احتواء النزاعات.

٥- العدلُ في الأقوالِ والأعمالِ والأحكامِ، مع كلِّ الدعاة وفي كلِّ حال؛ فالمخالفة الحزبيةُ لا تجيزُ البغيَ أو الجورَ.

٦- حفظُ مقادير الدعاة فيما بينهم واجبٌ شرعيٌّ، ولا يجوز أن تسقط مكانتَهم أو تهدر محامدَهم لزلةٍ عابرةٍ أو فلتةٍ عارضة.

☜ سادساً: أسبابٌ معينة على الأُلْفَة بين الدعاة:

كلما كانت القواسم المشتركة بين الدعاة أكبر كلما زادت الألفة بينهم، فالألفة يجب أن تكون واضحة الأسباب وتُبنى على الأواصر والمعايير الإيمانية.

ومن هنا كانت أسباب الأُلفة بين الدعاة أسباب كلها ربانية، لأن دعوتهم ربانية، وأهدافهم ربانية، فلا بد أن تكون سلوكياتهم ربانية، ومن تلك الأسباب:

١- **التَّعارف**، قال ﷺ: (**الأرواح جنودٌ مجنَّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**)[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (٣٣٣٦).

٢- **التَّواضع، فإن** «خفض الجنَاح ولين الكَلِمَة وتَرْك الإغلاظ مِن أَسبَاب الأُلْفَة واجتماع الكَلِمَة وانتظام الأَمر ولهذا قيل: مَن لانت كلمته وجبت محبَّته وحَسُنَت أُحدُوثته، وظمئت الْقُلُوب إلى لقائه وتنافست في مودته»(١)، «فوظيفة المسلم مع إخوانه، أن يكون هيِّناً ليِّناً بالقول وبالفعل؛ لأنَّ هذا ممَّا يوجب المودَّة والأُلْفَة بين النَّاس، وهذه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع»(٢).

٣- التمسك بالدين والتقوى والتقرب إلى الله تعالى، قال ﷺ: **(إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض)**(٣).

وكان هرم بن حيان رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول:** «ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم»(٤).

وقال الأبشيهي: «التآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجع المقاصد»(٥).

٤- إفشاء السلام، قال ﷺ: **(أولا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم)**(٦)، «الحكمة في طلب السَّلام عند التَّلاقي والمكاتبة دون غيرهما:

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٣٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٥٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلاق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده (٢٦٣٧).

(٤) جامع البيان ١٨/ ٢٦٢.

(٥) المستطرف للأبيشي ص١٣٠.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها (٥٤).

أنَّ تحيَّة السَّلام طُلِبت عند ما ذكر؛ لأنَّها أوَّل أسباب الأُلْفَة، والسَّلامة التي تضمنها السَّلام هي أقصى الأماني فتنبسط النَّفس -عند الاطِّلاع عليه- أيَّ بسطٍ، وتتفاءل به أحسن فأل»[(١)].

٥- الكلام اللَّين، فالكلام اللَّين والطَّيب مِن الأسباب التي تؤلِّف بين القلوب، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٦- القيام بحقوق الأخوة، الدعوية والالتزام بها، من إفشاء السَّلام، وزيارة المسلم وعيادته إذا مرض، والكلام اللَّين، والتَّعفُّف عن المال والعرض.

٧- المؤاخاة، فقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، لتزيد ألفتهم، ويقوى تناصرهم.

٨- التعفف عما في أيدي الناس، قال ﷺ: **(وازهد فيما في أيدي النَّاس يحبَّك النَّاس)**[(٢)]، قال السلمي: «وأصل التآلف هو بغض الدنيا والإعراض عنها، فهي التي توقع المخالفة بين الإخوان»[(٣)].

٩- حسن الخلق، قال الْغَزالِي: «الألفة ثَمَرَة حسن الْخلق والتفرق ثَمَرَة سوء الْخلق فَحسن الْخلق يُوجب المحبة والتآلف والتوافق، وَسُوء الْخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتناكر»[(٤)].

١٠- الإصلاح بين الدعاة، قال تعال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) فيض القدير للمناوي ١/ ٤٣٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا (٤١٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٢).

(٣) آداب الصحبة ص ٧٨.

(٤) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧١.

١١- **اهتمام الدعاة بأمور بعضهم** والإحساس بمشكلاتهم وما يواجهون من عقبات، قال ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[(١)].

١٢- **التَّهادي**: لقول النَّبيِّ ﷺ قال: **(تهادوا تحابُّوا)**[(٢)].

١٣- **دفع السيئة بالحسنة، قال تعالى**: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

سابعاً: فوائد التآلف بين الدعاة:

١- يحقق الاجتماع والقوة بين الدعاة ويبعد الفرقة والاختلاف.

٢- التآلف بين الدعاة دليل البراءة من النِّفاق.

٣- التآلف يؤدي إلى التَّناصر وسلامة المجتمع المسلم.

٤- التآلف يهيئ جوًّا اجتماعيًّا سليماً لنموِّ الدعوة نموًّا سليماً قويًّا.

٥- التآلف يثمر التَّعاون بين الدعاة.

٦- التآلف يحقِّق التَّماسك الدعوي وتشيع روح المودَّة بين الدعاة.

٧- التآلف يوفر جوًّا دعويًّا سليماً لنموِّ الدعاة والدعوة والمدعوين نموًّا سليماً في إطار مبادئ الإسلام.

---

(١) تقدم تخريجه ص١٨٩ في القيمة العاشرة.

(٢) أخرج البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٦٩، شعب الإيمان للبيهقي (٨٩٧٦) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٦٣).

المبحث الرابع
التفاهم

التفاهم ثمرة من ثمرات التعارف والتآلف، فإذا تعارف الدعاة حصل بينهم تآلف وإذا حصل التآلف حصل التفاهم، ويمكن بيان التفاهم من خلال النقاط:

أولاً: مفهوم التفاهم:

تَفَاهَمَ القومُ: أي: أفهم بعضُهم بعضاً، واستفهمه الأمر: سأله، استفسر، استوضح، طلب منه أن يكشف عنه[١].

وتفاهم القوم: أوضح كلٌّ منهم وجهة نظره للآخر، وكَانَ بَيْنَهُمْ سُوءُ تَفَاهُمٍ: أي: تَأْوِيلٌ لأَمْرٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ فَيُسَاءُ فَهْمُهُ، وخلاف ناتج عن قصور في الفهم[٢]، واِسْتَفْهَمَهُ الحَدَثَ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنِ الحَدَثِ وَأَمْرِهِ[٣].

وعلى هذا فالمقصود بالتفاهم بين الدعاة يجمع أمرين:

١- عرض وجهات النظر وتوضيحها، والتقريب بين الأفكار؛ ليحصل الوِئَامُ والوِفَاقُ.

٢- تصحيح فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ فُهِم عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، فَيُسَاءُ فَهْمُهُ.

وصورة التفاهم بين الدعاة المراد تحققها هي: حالة من الأجواء الودية الصافية التي يسودها الاحترام والسكينة والتحلي بالصبر وسعة الصدر، والقدرة الجيدة على

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٤.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٧٤٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٠٦.

تجنب محاولات الضغط والسيطرة، ليحل محلها التحابب والتقارب المتبادل بين الدعاة[١].

ثانياً: أهمية التفاهم:

التفاهم بين الدعاة يزيد المحبة بينهم، ويقوي أواصر الرابطة، ويعلي من التقارب العاطفي بين أصحاب الدعوات، فإذا بالأداء الدعوي يتحسن ويتطور.

فالتفاهم يجعل الدعاة منتبهين ومركزين وواثقين في دعوتهم، ويجنبهم الوقوع في سوء الظن أو الفهم الخاطئ أو السيطرة بدون دليل.

ففي بعض المواقف الدعوية قد يسيء بعض الدعاة فهم مقاصد ونوايا إخوانهم الدعاة، وبالتالي فقد تحصل الإساءة في التقدير والاحترام فيما بينهم، ويتدخل الشيطان لتعميق الفجوة والجفوة معاً، وهو العدو المتربص الذي يؤرقه تفاهم الدعاة فيما بينهم!! وعليه كان الواجب على الدعاة أن يبحثوا في أصول التفاهم ووسائله وأساليبه وتطبيق ذلك واقعا عمليا في حياتهم الدعوية.

وخصوم الدعاة كثر فلا نسمح لهم بإفشال مشروع الفهم والتفاهم والاحترام المتبادل.

فالتفاهم بين الدعاة، ليس مشروعاً آنياً أو تكتيكيّاً، وإنما هو خيار عميق نابع من الفهم والوعي بقيم الإسلام وتشريعاته العامة.

ثالثاً: شواهد على التفاهم من سيرة السلف:

لنا في سلفنا الصالح القدوة الحسنة، قال يونس الصدفي ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: «يا أبا موسى ألا

(١) مقال بعنوان: هل نحن متفاهمون د. جمال ماضي، بتصرف، منشور على موقع عالم حواء.

يستقيم أن نكون إخواناً، وإنْ لم نتفق في مسألة»(١).

وعن طَارِق ابنِ شِهَابٍ قال: كان بَينَ خالد، وَسَعْدٍ كَلامٌ، فَذهبَ رَجُلٌ يَقعَ فِي خَالِد عِند سَعْد، فقال: «مَهْ إِنَّ مَا بَيْننا لَمْ يبْلُغْ دِيننَا»(٢).

ودخل مرةً بعضُ طلبة الحديث على الإمام أحمد؛ فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه؛ فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعن عليك! قال: فأي شيء حيلتي؟! شيخ صالح قد بُلِيَ بي!(٣).

ما أجملها من كلمات.. إنه النموذج الشرعي في التفاهم الذي تغافل عنه كثير من الدعاة فيما بينهم.

« رابعاً: وسائل وأساليب التفاهم بين الدعاة:

للتفاهم وسائل وأساليب كثيرة منها:

١- حسن الظن بين الدعاة:

حسن الظن يؤدي إلى سلامة الصدر، وتدعيم روابط الألفة والمحبة والتفاهم بين أبناء المجتمع، فلا تحمل الصدور غلاً ولا حقداً، فالله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢].

والرسول ﷺ يقول: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا)(٤).

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٠٢.
(٢) صفة الصفوة ١/ ١٣٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٧.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٤).

«ولما كان من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، ذَكَر سبحانه النهي عنه، إِثْرَ سوء الظن»(١).

ويجر سوء الظن كذلك إلى المزيد من الذنوب، فتحصل الغيبة والبهتان حيث تلصق التهم بالأبرياء، ولذلك نبه الله على سوء الظن المؤدي إلى التجسس، ثم نهى عن الغيبة التي هي ثمرة من ثمرات سوء الظن والتجسس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وكان السلف ينبهون على حسن الظن أشد تنبيه، فعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا وأنت تجد له في الخير محملاً، ومن عَرَّض نفسه للتُهم فلا يلومن إلا نفسه»(٢).

عن أبي قلابة، قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد فقل: لعل له عذراً لا أعرفه»(٣).

ومن المهم أن يضع الداعية نفسه مكان أخيه الداعية، وأن يحمل الكلام والفعل على أحسن الوجوه، وأن يفتح باب الأعذار لإخوانه الدعاة، وأن يتجنب الحكم على النيات أو أن يُعامل الناس بحكم مسبق.

٢- الاستماع والإنصات بين الدعاة:

هذا الأمر من الأمور المهمة لتحقيق التفاهم بين الدعاة إلى الله، ويفتقده الدعاة بشكل كبير إلا من رحم الله، فمن العجب أن تجد داعيةً أو مصلحاً يرفض التعاون مع إخوانه من الدعاة بحجة أنه سمع عنه آراءً أو أفكاراً مخالفة.

(١) محاسن التأويل ٨/ ٥٣٥.
(٢) تقدم تخريجه ص٢٨٤.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥.

وربما كان هذا الداعية من نفس الحي أو المنطقة أو البلد، ولم يسمع منه مباشرة، وقد يسمع من أناس في بلد آخر عن هذا الداعية ويصدقهم، ثم يبدأ التراشق بينهما.

إن أهم خطوات التفاهم بين الدعاة أن يسمع بعضهم لبعض من بعض دون وساطة، وأن يرى بعضنا بعضاً في المجالس لا من خلال الشاشات.

فلا بد للدعاة أن يسمعوا من بعضهم، لا أن يستمعوا من غيرهم عن بعضهم، فالنقل لا يؤمن فيه التحريف أو سوء الفهم وغيرهما، لأن الاستماع المباشر تلتقي فيه الأجساد كما تلتقي فيه الأفهام.

وكان منهج السلف -رحمهم الله- حسن الاستماع لبعضهم، فعن عطاء بن أبي رباح قال: «إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد»[(١)].

وعن الحسن قال: «إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن القول، ولا تقطع على أحدٍ حديثه»[(٢)].

فالإنصات الجيد يؤدي إلى التأكد من المعلومة، ويُظهر اهتمام الدعاة وتقديرهم لبعضهم، وهذا يبني علاقات طيبة بين الدعاة، ويؤدي إلى التفاهم الذي هو من واجبات الدعاة فيما بينهم.

فإن أغلب مشاكل الدعاة تبدأ من سوء تلقي الرسالة! وهذا القصور يرجع لضعف فنِّ الإنصات!! فيقاطع الأخ أخاه ولا يتفهم وجهة النظر، ويفسر الكلام على هواه، وينشغل بالرد على المتحدث دون تركيز على الرأي المطروح.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٦.

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي ص ٢٣٩.

فالاستماع الجيد هو بداية التفاهم الفعّال الناجح بين الدعاة، فعندما يتأدب الدعاة بأدب الانصات فيما بينهم تحصل القدرة على قراءة معاني الكلمات، وفهمِ مواقفِ الدعاة المختلفة في القضية.

لا بد للاستماع والإنصات بين الدعاة بحيث يستطيع أن يعبر كل داعية عن وجهة نظره، ورأيه بوضوح تام، فالاستماع بصمت وعدم المقاطعة هو كل ما يحتاجه الدعاة مع بعضهم حتى يتفاهموا.

ولا بد من الحذر من الاستماع الانتقائي؛ أي أن يسمع الدعاة لبعضهم يريدون أن يسمعوا كلاماً معيناً يتوقع أن يقوله المتحدث كي يحكم عليه!! لذا لا بد من الاستماع بتأنٍ لكل ما يريد الآخرُ أن يوصله إليك.

٣- تقديم مصلحة الدعوة:

لو حرص كل من الدعاة على تحقيق مصلحة الدعوة أولاً وآخراً قبل مصلحة نفسه، لصدق وتحقق التفاهم بينهم.

إذا تنبه الدعاة إلى هدف الدعوة ومقاصدها وعرف كل واحد قدراته، وقدرات غيره من الدعاة، وكيف أن كل داعية يستطيع أن يخدم دينه في تخصص أو مجال من المجالات فهذا مما يعين على تحقيق التفاهم، ويصبح حريصاً على نجاح إخوانه الدعاة، بل يشاركهم ويحفزهم ويدعمهم في مجالهم الذي يخدمون الدين فيه.

وينبني على ذلك إقامة اللقاءات والمشاورات، والبرامج المشتركة بين الدعاة في مصالح وهموم الدعوة، ودراسة الواقع وإيجاد الحلول والبرامج المناسبة ويعرف كل داعية دوره بين زملاءه، وهذا كله مما يعين على التفاهم ويقرب وجهات النظر ويردم هوة الخلاف.

خامساً: تنبيهات في التفاهم بين الدعاة:

هناك بعض التنبيهات المهمة تعين على ضبط واجب التفاهم، نجملها في الآتي:

١- الحذر من الآراء التاريخية لبعض الدعاة عن بعضهم، وهذا أحد المداخل الأساسية لخلق تفاهم عميق بين الدعاة، فأخطاء الإنسان ليست ثابتة ونهائية.

٢- التفاهم يبنى على قاعدة: الإقرار بحقيقة الاختلاف، ولكن هذا الإقرار بحقيقة الاختلاف لا يشرع للدعاة جميعاً أن يسيئوا إلى بعضهم البعض، سواء إلى الرموز أو الثوابت أو القناعات.

٣- ليس المطلوب من الدعاة -لكي يحصل بينهم تفاهم- أن تكون آراؤهم وأفكارهم وقناعاتهم متطابقة، لأنها إذا كانت متطابقة، فلا يحتاج إلى تفاهمٍ، لأنه أصبح هناك تشابهاً.

٤- إن التفاهم العميق بين الدعاة لا يبنى دفعة واحدة، وإنما هو بحاجة إلى مدى زمني، يبني فيه التفاهم خطوة خطوة.

٥- التفاهم بين الدعاة يتطلب سياجاً أخلاقيّاً يحميه ويصونه، ولهذا ينبغي على الدعاة أن يتحلوا بفضائل الأخلاق، ففضائل الأخلاق وحسن تعامل الدعاة مع بعضهم، من بوابات بناء تفاهمات عميقة بين المختلفين، فلا نضيع أفكارنا الرائعة بجفاء سلوكنا وأخلاقنا.

٦- الشعور بأن ساحة الدعوة فيها من الاتساع ما تستوعب الاجتهادات الدعوية وتنوع طرائق الدعوة وأساليبها المختلفة، والشعور بالحجم الكبير للشرائح التي توجه لها الدعوة يعطي فرصةً لقبول الاجتهادات الدعوية وتنوع الطرق والأساليب فيها.

٧- لا بد من القراءة في سير العلماء الكبار واستخلاص العبر من قصص تفاهمهم فيما بينهم، وطرحها في الساحة الدعوية للتثبيت والاقتداء.

٨- ولا بد من التنبيه على أن التفاهم المطلوب يكون في حدود أبرزها:

- الاجتماع على المتفق عليه، ويعذر بعضهم بعضا فيما يسوغ فيه الخلاف.
- الاجتماع على: الاستقامة، وفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، ومحاسبة النفس حساباً دقيقاً على الطاعة والمعصية.
- الاجتماع على القضايا الكبرى للأمة والانشغال بها، ومعرفة العدو المشترك ظاهراً أو باطناً، وهذا يسهم في ردم الفجوات، ويحتم التعاون على مقارعة هؤلاء الأعداء.

المبحث الخامس
التكامل

التكامل بين الدعاة من الأمور المهمة جدًّاً في العمل الدعوي، ولو تم فهمه والعناية به لانحلت إشكاليات كثيرة بين الدعاة.

ونبرز هذا الأمر في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم التكامل بين الدعاة:

لغة: الْكَمَالُ التَّمَامُ، وَيُقَالُ: أَعْطِهِ الْمَالَ كَامَلاً أَيْ كُلَّهُ، ويقال: تكاملتِ الأشياءُ: كمَّل بعضُها بعضاً بحيث لم تحتج إلى ما يُكمِّلها من خارجها[١].

اصطلاحا: يختلف بالمتعلق الذي بعده، فهو في المصطلح الدعوي يقصد به:

أن تقوم الدعوة على تضافر الجهود التخصصية في الدعوة، وتجميعها، وتنظيمها بهدف الوصول للكمال في العمل الدعوي.

والفرق بين التكامل والتعاون، هو أن:

التعاون يكون في شيء واحد، فمثلاً: نتعاون في تعليم القرآن، ونتعاون في جمع المال للدعوة، ونتعاون في السعي لبناء مركز.

أما التكامل فهو أعم من التعاون لأنه عبارة عن جمعٍ لمتفرقٍ حتى يكتمل في عملٍ واحدٍ، فيكون لدينا فئة تدعو الناس للإسلام، وفئة تعلمهم الإسلام، وفئة تنفق على الدعوة، وفئة تعلم القرآن، وفئة تعلم الفقه، وفئة تعلم النساء، وفئة تعلم الرجال.. وباجتماع تلك الجهود كلها يحصل التكامل بين الدعاة، فلا يكون الداعية الواحد هو

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٧٨، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٩٥٩، مختار الصحاح ص٣٧٣.

كل شيء؛ هو الإمام والخطيب، والمفتي، والمعلم، وجامع التبرعات وموزعها، وهو الذي يدعو الشباب والرجال والنساء والأطفال، وهو مدير المدرسة.

فالتكامل هو: تجميع للجهود الدعوية وتنظيمها للوصول للعمل الدعوي لمرتبة الكمال.

ثانياً: شواهد على التكامل:

قضية التكامل تنبع من شمولية هذا الدين، فالدين الإسلامي دين شامل لكل مناحي الحياة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وهذا ينبني عليه كثيرٌ من الواجبات التي تتطلبها الدعوة إلى الله تعالى، فلا يمكن أن يحيط داعية بكل أمور الدين والحياة، ولكن يمكن أن يتخصص كل داعية في شيء من أمور الدين والحياة ثم يكمل بعضهم بعضا بعد ذلك.

ويتضح هذا الأمر في موضوع طلب العلم والجهاد في سبيل الله -على سبيل المثال- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فقد أَمَرَ الله تعالى بتخصيص قوم لطلب العلم: قال ابن عاشور: أي: «أنه كما كان النفْرُ للغزو واجباً لأن في تركه إضاعة مصلحة الأمة؛ كذلك كان تركه من طائفة من المسلمين واجباً لأن في ذهاب جميع المسلمين للغزو إضاعة مصلحة للأمة أيضاً، **فأفاد مجموع الكلام أن النفْر للغزو واجب على الكفاية، أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأن تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو**.. ولذلك كانت هذه الآية أصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من

المسلمين وجوباً على الكفاية»[(١)].

فالأمة المسلمة تتكامل، فيكون منها طالب العلم ويكون منها المجاهد، فينفر لطلب العلم الشرعي طائفة وطلب العلوم الأخرى التي تقيم الحياة طائفة أخرى، فلا بد من وجود الطبيب المسلم والطبيبة المسلمة، والمهندس المسلم والمترجم المسلم...الخ.

ويظهر التكامل جليا كذلك في توظيف الطاقات وتوزيعها، ليُكمِّل كل داعية أخاه في تحقيق الخلافة في الأرض، فهذا رسول الله ﷺ يوزع الجهود الدعوية للتكامل بين الأمة فيقول: **(أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)**[(٢)].

وفي أحاديث أخرى متفرقة، ينبه النبي ﷺ بفعله هذا التكامل الذي لا بد وأن يكون بين الدعاة، فيقول لعبدالله بن زيد رضي الله عنه عندما رأى رؤيا الأذان، قال له: **(فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك)**[(٣)].

لأن قوة الفهم يعتبر تخصصاً مهماً في الدعوة، دعا ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما به فقال:

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٦٠-٦١.

(٢) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب فضائل زيد (١٥٤)، ومسند أحمد ٣/ ٢٨١(١٤٠٢٢)، البيهقي في السنن ٦/ ٢١٠/ ١١٩٦٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٥)، والسلسلة الصحيحة (١٢٢٤).

(٣) مسند أحمد ٢٦/ ٢٠٤ (١٦٤٧٨) وقال شعيب الأرناؤوط: اسناده حسن، وسنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب كيفية الأذان (٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان (٧٠٦) وحسنه الألباني.

(اللهم فقهه في الدين)[(١)].

وطلب رسول الله ﷺ من حسان بن ثابت رضي الله عنه أن ينظم القصائد في خدمة الإسلام والدفاع عنه فقال له: **(اهجهم وروح القدس معك)**[(٢)].

وطلب النبي ﷺ من زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية ليكون مترجما له، فيقول له: **(إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية)** قال: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً[(٣)].

ثم تجده ﷺ في باب الجهاد ينمي مقدرة الرمي عند سعد رضي الله عنه ويقول له: **(ارم سعد فداك أبي وأمي)**[(٤)]، وهذا أسلوب رفع للمعنويات، وإشادة بالطاقات والقدرات، واستخدامها في أماكنها.

فكل هذه أدوار ومجالات دعوية تحتاجها الدعوة مفترقة ومجتمعة، ولا يطلب من كل داعية أن يكون فيه كل تلك الصفات، ولكن لا بد مراعاة التكامل بين التخصصات الدعوية وأن تنشغل كل فئة أو مؤسسة بأمرٍ من أمور الدعوة، خصوصا في هذا العصر المتشعب في كل شيء فيه.

ثالثاً: أهمية التكامل بين الدعاة:

إن الداعية هو العنصر الأساس في الدعوة وبناء المجتمع أو المؤسسة الدعوية،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (١٤٣) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس (٢٤٧٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢١٣)، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب فضائل حسان (٢٤٨٦).

(٣) هذا الحديث روي بألفاظ متعددة، انظر: جامع الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية (٢٧١٥)، ومسند أحمد ٥/ ١٨٢(٢١٦٢٧)، صحيح ابن حيان ١٦/ ٨٤ (٧١٣٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١٨٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن أبي وقاص (٢٤١١).

ولكن لن يحصل هذا ولن تتم النتيجة المطلوبة إلا إذا حصل تكامل بين الدعاة وتعاونوا مع بعضهم.

ولا شك أن الدعوة التي يتكامل أفرادها فيما بينهم، ويلتقون على أساس التكامل؛ دعوة تستحق أن ترقى إلى مقام الريادة، وتتسلم مقاليد الأمور؛ إذ أن تكاملهم يضيف من خلاله كل داعية إلى الآخر إضافة متميزة، ويخرجون برؤى متزنة وواقعية، وممارسات مثالية، وأعمال راقية؛ تترك أروع الأثر في العمل الدعوي.

والمنهج الدعوي النبوي في الدعوة يقرر هذه الروح التكاملية فنجد أن حامل لوائها ﷺ كان يربي ويغرس في صحابته هذه الروح الجماعية التكاملية.

ومن هذا المنطلق لا بد من التركيز على روح التكامل وبثها بين الدعاة وأن يكون جزء من ممارستنا الدعوية، للخروج بأروع النتائج، وأزكى الثمار، فقيمة العمل الدعوي وقوته، وعمقه وأصالته؛ إنما هي نابعة من أساس تكامله الذي يترتب عليه تكامل العاملين له.

ولا بد أن نعلم أنه ما تعثرت كثير من الأعمال الدعوية إلا حين، ضعفت النظرة التكاملية في التغيير والدعوة والإصلاح ترتب عليها أمرين:

١- إرادة بعض الدعاة أن يكونوا كل شيء في العمل الدعوي.

٢- نظرة انتقاص الدعاة من جهود إخوانهم الذين تخصصوا في فئة أو مجال من مجالات الدعوة، والطعن في الجهود الدعوية القائمة.

وهنا حصل الخلاف بين الدعاة والمؤسسات الدعوية، وكثرت الجماعات، فمن أسباب الخلاف -في الأصل- الخلاف في التخصص وأولويات كل مجموعة، مما ترتب عليه الانشقاق، ولو نظر كل داعية أو كل جماعة للآخر على أنه جزء من عمل

إسلامي كبير، وأن كل داعية يقوم بدور تكاملي بين إخوانه الدعاة، وكل مؤسسة تقوم بدور تكاملي مع المؤسسات الدعوية الأخرى لزالت كثير من المشكلات الدعوية.

فاختلاف التنوع بين الدعاة والمؤسسات الدعوية من مقتضيات الرحمة ومظاهرها فلا بد من استثماره بتحقيق التكامل وترك تحقير الأعمال الدعوية الأخرى.

رابعاً: الحاجة إلى التكامل:

لا بد أن يعلم الدعاة وأن تعلم المؤسسات والجماعات الدعوية أنه لا يمكنها أن يقوم بأعباء الدعوة وحدها لأسباب كثيرة أذكر منها[1]:

١- أنه يتعذر على الداعية الإلمام بعلوم الشريعة كلها؛ مسائلها ودلائلها، ولذلك فهو في حاجة إلى غيره ممن يلم بما لم يلم به، ويطلع على ما لم يطلع عليه، فتنتفع الأمة بمجموع الدعاة الذين معه ما لا تنتفع به وحده.

٢- أن الداعية لا يمكنه أن يُوصل الدعوة إلى الناس جميعهم، ولا يقدر أن يعلمهم الخير الذي عنده وحده لكثرتهم واستحالة وصوله إليهم، وحتى لو وصل إليهم فلا يمكنه للأسباب ذاتها أن يتابعهم ويتدرج في تربيتهم، فوجود الدعاة معه كفيل بإيصالها إلى خلق الله بأكملهم وقيام حجة الله عليهم.

٣- أن الداعية معرض لما يقطعه عن دعوته، ويحرم الناس من الخير الذي كان يأتيهم من قبله؛ وعلى رأس ذلك: الموت والضلال.

٤- أن أساليب الدعاة في الدعوة إلى الله متفاوتة، وطرائقهم متباينة، والناس متباينون في تأثرهم بهم بسبب تباين أساليبهم، فالتكامل بين الدعاة إلى الله سبحانه جدير بأن يوسع نطاقها، ويسهم في قبول الناس على اختلاف نفسياتهم وأعرافهم ومستوياتهم لها.

---

(١) استفدت من بحث: الدعاة إلى الله بين التكامل والتخاذل لعبد الصمد سليمان، منشور على الشبكة.

٥- لا بد أن يعي الدعاة أن التكامل قبل أن يكون ضرورة دعوية، فهو سنة كونية، فالكون يعمل كله بقانون التكامل، وكذلك هو سنة نبوية في الدعوة.

خامساً: مجالات التكامل بين الدعاة:

١- التكامل في دعوة فئات المجتمع:

فالدعوة تحتاج إلى متخصصين في التعامل مع كل فئات المجتمع، ولن يستطيع داعية واحد أن يكون لديه القدرة النفسية ولا الوقت ولا العلم الذي يستطيع أن يلبي جميع احتياجات المدعوين، ولذا كان لا بد من متخصصين في كل فئات المجتمع، فيتخصص قوم في دعوة الشباب، وآخرون في دعوة كبار السن، وآخرون في دعوة النساء، وآخرون في دعوة العمال، وآخرون في دعوة الأطباء.. وبذلك يحصل التكامل في دعوة فئات المجتمع.

٢- التكامل في التخصص الدعوي العلمي:

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى متخصصين في كل فن، كل فرد من الدعاة أو كل مؤسسة تقوم على سد الثغرة في هذا الفن، فتحتاج الدعوة الإمام صاحب القراءة المتميزة، والمؤذن صاحب الصوت الندي، والخطيب المؤثر، والعالم بالعقيدة والفرق، والواعظ، والعالم بالحلال والحرام، والعالم بالمواريث، والعالم في السنة.. وهكذا في كل الفنون العلمية.. لا بد من متخصصين يكمل بعضهم بعضا، ففي ظل اتساع المعرفة بكل أنواعها يصعب أن نوجد داعية أو مؤسسة دعوية يمكن أن تلم أو تؤدي كل الأدوار.

٣- التكامل في دعوة أصناف من المدعوين:

فلا بد أن يكون بين الدعاة -سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي- من

لديه القدرة العلمية والفنية في دعوة المسلمين العصاة، وآخر في دعوة المسلمين أهل البدع، وآخر في دعوة اليهود، وآخر في دعوة النصارى، وآخر في البوذية، وهكذا في جميع الأديان والفرق.. حتى يحصل التكامل حيث لا يستطيع داعية واحد أو مؤسسة واحدة التصدي لهذا الكم الكبير من الأديان والفرق والأفكار والاتجاهات المنحرفة التي تظهر يوميا.

٤- التكامل في المسؤوليات الإدارية الدعوية:

فالدعوة تحتاج للقائد، وتحتاج للمدير وتحتاج للمشرف، ولرجال القانون، ولذوي التميز في التخطيط والتطوير، وللمتخصصين في التقنية، والمتخصصين في تنمية الموارد المالية في العمل الدعوي، والمتخصصين في تأهيل الدعاة وتطويرهم، والمتخصصين في تقديم الدراسات العلمية والمؤلفات في جميع الجوانب العلمية والتربوية، ولهذا لا بد أن يكون هناك تكامل في التخصصات والأعمال الإدارية في العمل الدعوي.

٥- التكامل في بناء الشخصية المسلمة:

لا بد أن يحصل التكامل في بناء الشخصية المسلمة، وبناء عليه لا بد من تكامل الدعاة والتخصص في بناء تلك الشخصية، فيضطلع كل داعية أو مؤسسة دعوية من موقعه بمهمة تسهم في بناء الشخصية المسلمة، والمتمثلة في البناء الشرعي في كافة العلوم الشرعية بما فيها القرآن ضبطاً وأداءً، البناء الإيماني، والبناء الأخلاقي، والبناء المعرفي والعقلي، والبناء الدعوي، فلا بد من متخصصين في كل جانب يكون بينهم تكامل في العمل.

سادساً: فوائد التكامل بين الدعاة:

- تحقيق مبدأ التعاون الجماعي الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة.
- الرقي بالمستوى الأدائي سواء على المستوى الفردي الدعوي أو على مستوى العمل المؤسسي نتيجة اجتماع الجهود والخبرات، والإفادة من أرباب التجارب والقدرات.
- ضمان استمرارية العمل الدعوي بإذن الله تعالى؛ لعدم توقفه على فرد فإذا حصل التقصير في جانب لم يختل باقي العمل، ويحاول الفريق سد هذا التقصير.
- القرب من الموضوعية في العمل الدعوي وبرامجه، والخروج برؤىً متزنة، ونظرة واسعة بعيداً عن التفكير الأحادي، واصطباغ العمل بالفردية الجانحة.
- التكامل في العمل، والاتزان عند ظهور بعض التحديات أو المستجدات الداخلية والخارجية، والعمل بروح الفريق الواحد؛ لتجاوزها والتغلب عليها.

سابعاً: تنبيهات حول التكامل بين الدعاة:

التنبيه الأول: آفة التكامل الاعتداد بالنفس - علما وقدرة - فإذا رأى الداعية في نفسه الاستغناء والاكتفاء الذاتي عن غيره أستبد بأعماله وآرائه، وفي الحقيقة هذا من رعونات النفس الخفية، وهي من مخلفات العجب والكبر، وتجد هذا الصنف من الدعاة أزهد الناس في المشورة، وأقعدهم عن طلبها، وأقلهم عملا بها إلا ما أشرب من هواه، ولذا لا بد من علاج أمراض النفس الخفية لدى الدعاة حتى نستطيع أن نطبق التكامل.

التنبيه الثاني: التكامل المؤسسي والتنظيمي الإداري لا بد أن يكون بجانب التكامل العفوي، لأننا لن نستطيع أن نضبط كل الأعمال الدعوية تحت مظلة تكاملية واحدة.

ثامناً: مما يعين ويساعد على التكامل بين الدعاة أمور[(١)]:

١- الإخلاص لله والصدق معه سبحانه.

٢- طلب الآخرة والحرص عليها وترك الدنيا والزهد فيها؛ وبخاصة أن يكون زاهدا في مكانةٍ عند الناس ترنو القلوب إليها، ومنزلةٍ بين الأقران تحرص النفوس عليها.

٣- التواضع للدعاة وعدم التعالي عليهم، وتقدير كل واحد فيهم؛ فلا يحتقر من دونه، ولا يتطاول على من فوقه.

٤- أن ينظر إلى محاسن إخوانه الدعاة، ويثني عليهم بها، ويعرف لهم فضائلهم وأقدارهم، ويحاول أن يتأسى بهم فيما نبغوا فيه وامتازوا على غيرهم به.

٥- الاهتمام بالدعوة والحرص على بلوغها، أيّاً كان الـمُبلِّغ لها والمتكلم بها؛ فلا يهم الداعية من قام بالدعوة إلى الله أهو أم غيره، بل الداعية الصادق يتمنى أن يوفق الله سبحانه من تصدى للدعوة ممن هو أهلٌ لها، ويدعو الله أن يسدده ويصلح به كل من لقي.

٦- أن الدعوة إلى الله عبادة لله، وليست حكراً على أحد من الناس لا تتجاوزه، ولا خاصة بفرد منهم لا تتعداه.

٧- أن الله سبحانه يرفع قدر من يدعو إليه، وقد يرفع قدر من يدعو إلى نفسه، ولكن رفعة قدر الأول تكون دائمة في الدنيا والآخرة، متصلة غير منقطعة، أما رفعة الثاني فهي متغيرة حائلة وذاهبة زائلة.

٨- أن يحرص الداعية أن لا تكون همته في اجتماع الناس عليه، وسماعهم منه، وأخذهم عنه، وتعظيمهم له؛ لأنهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً، فشهوة حب اجتماع الناس عليه تدفعه للأعاجيب، وتؤدي به إلى كل شيء غريب.

(١) استفدت من بحث بعنوان: الدعاة إلى الله بين التكامل والتخاذل لعبد الصمد سليمان منشور على موقع: التصفية والتربية السلفية.

المبحث السادس
التعاون

التعاون من الثمرات المرجوة من المعرفة بواجبات الدعاة، وهي كذلك ثمرة من ثمرات التآخي والتعارف والتآلف والتفاهم بين الدعاة.

ولبيان واجب التعاون بين الدعاة نتطرق للنقاط التالية[(١)]:

أولاً: مفهوم التعاون:

التعاون: مصدر تعاون مأخوذ من «العون» الذي يراد به المظاهرة على الشَّيء، فالعون الظَّهير على الأمر، **والمعونة:** الإعانة، وكلُّ شيء أعانك فهو عون لك، كالصَّوم عون على العبادة[(٢)]، وتعاون الأعوان: إعانة بعضهم بعضاً[(٣)].

ويمكن تعريف التّعاون بصفة عامة بأنه: أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله ﷻ وتجنّب معصيته[(٤)].

أما التعاون بين الدعاة فهو: أن يظاهر الداعية أخاه الداعية، ويعينه في فعل الخيرات والدعوة إلى الله ﷻ، والوقوف صفاً واحداً في وجه أعداء الإسلام ومن يرغب في تفريق المسلمين[(٥)].

(١) كثير من أفكار هذا المطلب تم تلخيصها من بحث بعنوان: التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، للشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥١، ص١٩٥-٢٢٨.

(٢) لسان العرب ٥/ ٣١٧٩- ٣١٨٠، وانظر: الصحاح للجوهري ٦/ ٢١٦٨- ٢١٦٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى ٤/ ١١٣.

(٤) نضرة النعيم ٣/ ١٠٠٨.

(٥) التعاون بين الدعاة أهميته وثماره.. الشيخ/ مراد بن أحمد القدسي.

ثانياً: أهمية التعاون عامة:

التعاون فطرة بشرية كونية بين الناس جميعا، فقد خلق الله الإنسان مدنيًّا بطبعه، فركبه على صورة لا تستقيم حياته ولا يدوم بقاؤه إلا بمعاونة غيره له، فسخر الله الناس بعضهم لبعض في الغذاء والكساء والتصنيع والحماية، بما لا يستطيع أحد منهم أن يستقل بنفسه البتة، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالاجتماع والتعاون والتضامن ضروري لنوع الإنسان؛ لتتحقق الحياة على وجهها، ويهنأ له العيش، ويتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض بمقتضى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، وقوله سبحانه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ولذا فالقرآن يأمر بالتعاون لعظيم الأجر والنفع لمن أخذ به، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢] «فالله سبحانه يوجب على الناس إيجاباً دينيًّا أن يعين بعضهم بعضاً، في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً، في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم»[1].

وقد جاء التمثيل النبوي لأهل الإيمان أنهم كالجسد الواحد، فقال رسول الله ﷺ: **(ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا**

(١) تفسير المنار ٦/ ١٣١.

تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[(١)]، وكالبنيان كما قال النبي ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه)**[(٢)].

وكذلك في عموم قوله ﷺ: **(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**[(٣)].

ثالثاً: أهمية التعاون بين الدعاة خاصة:

الأصل في أهمية التعاون بين الدعاة، قوله تعالى على لسان موسى عندما كلفه بالرسالة: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [طه٢٩-٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص٣٤، ٣٥].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: قال رسول الله ﷺ: **(من ولاه الله عز وجل من أمر المسلمين شيئاً فأراد به خيراً جعل له وزير صدق، فإن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه)**[(٤)].

فمن خلال التعاون بين الدعاة يمكن أن توظف الأموال والأوقات، والطاقات والأفكار، وكافة الجهود التوظيف الصحيح.

وإذا لم ينجح الدعاة في التعاون بالشكل المطلوب، سيؤدي ذلك لهدر الطاقات، وزيادة أعباء الدعوة على الأفراد و الجماعات والمؤسسات، واستهلاك أموالٍ وأوقاتٍ مع ضعف في الانتاج الدعوي؛ مما يؤدي إلى الفتور والضعف.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦).

(٢) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٤) مسند أحمد ٤٠/ ٤٧٦ (٢٤٤١٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح، سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الوزير (٢٩٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٣).

ولذا ينبغي أن يعي الدعاة أن من أسرار النجاح في العمل الدعوي التعاون بينهم.

ومن جهة أخرى فإن الصراع بين الحق والباطل تلزمه سنة المدافعة، والتي لا تكون إلا بالتعاون، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤] فهنا جاء التمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنيان المرصوص.

«فإن الحاجة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله»(١).

قال ابن تيمية وهو في سجنه: «وتعلمون أننا جميعاً متعاونون على البر والتقوى، واجب علينا نصر بعضنا بعضاً أعظم مما كان وأشد»(٢).

والدعاة في حاجة إلى التعاون بالرأي؛ المتمثل في التشاور بين الدعاة في هموم الدعوة، بما يدل على الحق، ويخرج من الحيرة، وينقذ من المأزق والهلكة، ويقرب وجهات النظر ويردم هوة في الخلاف.

وهم في حاجة للتعاون بالجاه؛ من الشفاعة لذي الحاجة عند من يملك قضاءها، وغيرها من صور الشفاعة المستحبة والجائزة.

وكل ميادين الحياة واحتياجاتها مجال فسيحة أمام الدعاة للتعاون فيما بينهم؛ وهذا انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فواجب على الناس التعاون، فالعالم يعين بعلمه، والغني بماله،

(١) مجموع فتاوى ومقات الشيخ ابن باز ٨/ ٤٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٢-٥٦.

والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، فالمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»(١).

ففي التعاون الصحيح يكون التفرغ الأكثر لأداء رسالة الدعوة ونشرها، وتوزيع أعباء الحياة ومشاغلها، فالمتعاونان يمكن أن يوزعا الوقت بينهما ليقوم كل واحد بالضروري في حياته، ومن ثم تتوفر الأوقات لعمل الدعوة والإصلاح.

وهناك جانب مهم جدًّا وهو أن التعاون يوصل إلى زيادات في الطاعة لا يصل إليها الإنسان بمفرده، كما قال موسى عندم طلب المعين: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣، ٣٤].

رابعاً: نماذج تبين أهمية التعاون بين الدعاة:

فهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو الله تعالى أن يكون معه أخاه هارون شريكاً له في دعوته، ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢].

فقوله تعالى: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ إنه الإخلاص في التعاون، فالمقصود دعوة الله ورضا الله، وإنقاذ البشرية من الظلم والجهل والقهر، وهذا يحتاج إلى معين بعد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا بد للداعية الصادق من نبذ حظوظ نفسه، ولذا نجد موسى عليه الصلاة والسلام أحب لأخيه أن يشاركه في تحمل العبئ والأجر والفضل، والخير فلابد في التعاون مع كل أحد، الاعتراف بفضله وأهمية دوره كشريك وليس كخادم.

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعم المعين لأصحابه في الدعوة إلى الله ويجعلهم، يتعاونون فيما بينهم، كما حصل في بناء المسجد أول ما وصل للمدينة، فقد دهش الصحابة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه حجر فتقدم أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليحمل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٧.

عن رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطنيه؟ فقال: **(اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله مني)**[١] فتعاون النبي ﷺ مع صحابته، كان يزيدهم نشاطاً واندفاعاً وتفانياً في العمل.

وكما في حفر الخندق، فعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو غبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته أبينا أبينا»[٢].

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قال لهما: **(وتطاوعا ولا تختلفا)**[٣].

ومن خبر التعاون قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...» إلخ القصة في خبر هجر النبي ﷺ نساءه...[٤].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٣٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٤١٠٦).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وعدم التنفير (١٧٢٣).
(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم (٨٩).

خامساً: أقوال السلف التي تدل على أهمية التعاون:

سئل حمزة الشيباني عن الإخوان من هم؟ فقال: «هم العاملون بطاعة الله ﷻ، المتعاونون على أمر الله ﷻ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم»[(١)].

وقال ابن المعتز: «من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً»[(٢)].

وقال عبدالله بن شوذب: «إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسَّك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها»[(٣)].

وقال بعض البلغاء: «صديق مساعد، عضد وساعد»[(٤)].

سادساً: أقسام الدعاة في التعاون فيما بينهم:

يقول الإمام الماوردي، في أقسام الناس في التعاون: «الناس أقسام أربعة:

الأول: من يعين ويستعين. **والثاني:** من لا يعين ولا يستعين. **والثالث:** من يستعين ولا يعين. **والرابع:** من يعين ولا يستعين»[(٥)] ثم شرحها رحمه الله.

وأعظم هذه الأنواع من يعين إخوانه الدعاة، ويستعين بهم في الدعوة إلى الله، فلا يترك إخوانه بدون إعانة، ولا يستأثر هو بالعمل الدعوي ويترك طلب الإعانة والمشورة من إخوانه، فتكامل الإعانة والاستعانة حتى لا يحصل الخلل في جانب من جوانب الدعوة أو مجال من مجالاتها.

أما الداعية الذي لا يعين ولا يستعين فهو داعية محروم، يفقد الدعوة هدفها، إذ منع خيره عن إخوانه وخير إخوانه عنه.

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا ص١٢٦- ١٢٧.
(٢) أدب الدنيا والدين ص٢٠٠.
(٣) الإبانة لابن بطة ١/ ٢٠٥ رقم (٤٤).
(٤) أدب الدنيا والدين ص١٦١.
(٥) أدب الدنيا والدين ص ١٧١- ١٧٢ وفيه كلام جميل وتفصيل رائع.

وأما الداعية الذي يستعين ولا يعين فهو ثقيل على إخوانه الدعاة، ثقيل على الدعوة، يأخذ ولا يعطي، وقد يصل به الأمر إلى النفعية.

وأما الداعية الذي يُعين ولا يستعين فهو داعية جيد لكنه مقصر في حق الدعوة، حيث إن تبادل الإعانة بين الدعاة أمر مطلوب، ولا يمكن لداعية واحد أن يقوم بكل متطلبات الدعوة، والتخصص الدعوي مطلوب لإتقان العمل.

سابعاً: وسائل معينة في تحقيق التعاون:

١- استشعار الأخوَّة الإيمانية بينه وبين إخوانه الدعاة:

إن من أهم صفات الداعية استشعار قيمة الأخوَّة في الله، الأخوة من أجل نصرة دين الله، أخوة يستشعر فيه الداعية أنه ليس وحيداً ولا فرداً.

وعليه فإن من أولى واجبات الداعية تجنب ما يعكر هذا الصفو، من هنات وهزات تورث نفرة القلوب ووحشة النفوس، فيتجنب العتاب والمراء والجدل، وبخاصة إذا شابه رائحة استعلاء وحب تميز وظهور، وكذلك يترك التكلف، بعيداً عن الأنانية وضيق الأفق، والتعلق بصغائر الأمور والانشغال بها، وكذلك التحرر من أمراض الحسد، وحب الزعامة، والبغي والحزبية الضيقة.

ومن ذلك الأخذ بحسن الظن المتبادل بين الدعاة، لأنه يتيح فرصاً للتفهم والتعاون ويقطع طرائق ومداخل الشيطان في النزاع والخصومة.

٢- تعميق الإخلاص في نفوس الدعاة:

هناك علاقة تنازع جلية بين بذل التعاون والرغبات الشخصية، والإخلاص في التعاون وبذله يستلزم تنازلاً عن الرغبات الشخصية والأهواء الذاتية.

ومن قام بالتعاون على وجهه، ووفى أعباءه ومتطلباته، إنما يغلب هواه، ويتجرد في إخلاصه؛ بل إنما يقدم المصالح العليا، والحاجات الكبرى، على المصالح الخاصة.

ومنه يدرك الناظر أثر التعاون الحقيقي في بناء الوحدة وكبح شر التشرذم، ومن هنا تتجلى الحسنات بين التعاون والمنافع الذاتية، إنها قضية أساسية يجب أن تحتل مكاناً أرفع لدى الدعاة والمفكرين في ميادين الدعوة.

وبهذا يتبين أن الإخلاص الصادق كفيل بإذهاب التحاسد والتنافس غير الشريف.

٣- البعد عن التعصب للأفراد والجماعات:

ليس أضر على الدعوة بعامة والتعاون بين الدعاة بخاصة من الحزبية المنغلقة والمذهبية الضيقة، بل لا يكدر صفو الأخوة الإيمانية، ولا يضعف الرابطة الإسلامية أعظم من التحزب المقيت والتعنصر البغيض.

كيف تمد جسور التعاون وأخطاء الأصحاب يهون من شأنها، ويغض الطرف عنها، وتدخل في دائرة الاجتهاد المأجور، أما غيرهم فيبسط اللسان في التشهير به، ويرفع الصوت في تكبير أخطائه، أخطاء الجماعة وأغلاطها يستجلب لها المسوغات، ويستغفر لأصحابها، فهي عندهم لا تخدش في أصل المنهج، ولا تعيق المسيرة. أما غيرهم فأخطاؤهم غير مسوغة ولا مبررة؟!

بل كيف يرجى التقارب -فضلاً عن التعاون- إذا كان المنتمي عندهم محصوراً ومحاصراً، فلا يقرأ إلا كتب الجماعة، ولا يتتلمذ أو يتلقى إلا عن شيوخ الحزب والمذهب؟!

إذن كيف يبنى التعاون مع هذا التلميذ، ضيق الأفق، مذبذب الشخصية، الذي لا ينظر إلا من زاوية واحدة، ولا يدور إلا في فكر منغلق.

٤- الاطلاع على تجارب الدعاة في التعاون:

وذلك من خلال القراءة في سير علماء السلف، والعلماء الكبار وطرحها في الساحة الدعوية، وطرح المشاريع الدعوية والتجارب الناجحة أمام الدعاة لتعطي فرصاً ليس فقط لنقل هذه التجارب والاستفادة منها، بل وتطبيع الاجتهادات الدعوية في الأساليب.. كما تعطي فرصاً للمناقشة بهدف النقد البناء وإنضاج التجربة.

ثامناً: ثمار التعاون:

آثار التعاون وثماره بين الدعاة أمر جلي بيِّن، وهو ضرورة من ضرورات الإنسان عامة، فلا تقوم الدعوة على وجهها إلا بالتعاون؛ لأن الداعية بمفرده لا يستطيع القيام باحتياجات الدعوة كلها وتحقيق أهدافه الدعوية، وهنا نشير إلى بعض ثمار التعاون بين الدعاة:

١- إمكان إنجاز الأعمال الدعوية الكبيرة التي لا يقدر عليها الدعاة منفردين.

٢- شعور الداعية بالقوة ونزع شعور العجز عن نفسه.

٣- دليل حب الداعية الخير لإخوانه الدعاة والمدعوين.

٤- سبيل لمواجهة الأخطار المحدقة بالدعوة والدعاة.

٥- التعاون ثمرة من ثمرات الإيمان فيحققه ويكمله والإيمان حاجة ملحة للدعاة.

٦- التعاون أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

٧- يزيل الحقد من القلوب الضعيفة، ويزيل أسباب الحسد وسبب من أسباب الألفة.

٨- التعاون طريق موصل إلى مرضاة الله ومحبته وجنته.

٩- التعاون يؤدي إلى التناوب في العمل وتقاسم العمل.

تاسعاً: معوقات في طريق التعاون بين الدعاة[(١)]:

إذا كان التعاون على البر والتقوى من قواعد الإسلام العظيمة، ومن الأوامر الإلهية الجليلة، والوصايا النبوية الشريفة؛ إلا أن هذا التعاون قد يعكر صفوَه أو يحول دونه بعض المعوقات التي يجد الشيطان فيها بغيته في صرف المسلمين عن التعاون في ما بينهم، لا سيما الدعاة والمصلحين. فتتباعد قلوبهم وتتبعثر جهودهم وتذهب أُلْفَتُهُم؛ فعن عمير ابن اسحق قال: «كنا نتحدث: أن أوَّل ما يُرفَع من الناس الأُلْفة»[(٢)].

فمن هذه المعوقات:

١- الاستبداد بالرأي والإعجاب به:

فالمستبد برأيه المعجَب بنفسه شخصية يصعب التعاون معها؛ لأنه يستصغر الآخرين ويحقِّر رأيهم، ويستعظم نفسه، ولا يثق إلا برأيه، وفي ذلك الهلاك.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات: فأما المهلكات فشحٌّ مطاع، وهوىً متبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه...)[(٣)].

٢- الخوف من تعلُّق الأتباع بالآخرين حال التعاون معهم:

فالداعية قد يكون له أتباع يحيطون به ويستفيدون منه ويأتمرون بأمره؛ ولكنه يكره أن يجلسوا إلى غيره، ويخشى إذا تعاون هو ومن معه مع آخرين أن يتم التعارف بين من معه وهؤلاء فتكون لهم علاقات معهم وربما صداقات وإعجاب... إلى غير

---

(١) معوقات في طريق التعاون بين الدعاة د. هشام عقدة، مقال تم اختصاره.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٦.

(٣) مسند البزار ١٣/ ١١٤(٦٤٩١)، مسند أبي يعلى ٦/ ٥٠٠ (٦١١٤)، وقال الألباني حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٠٨ (٤٥٣).

ذلك، وهذه الخشية قد تشوب الإخلاص، ويضيع بسببها كثير من المصالح؛ فليس من الإخلاص أن يغضب العالِم أو الداعية إذا وجد تلميذه يجلس مع آخرين من الدعاة وأهل العلم، وليس من الإخلاص التفاخر بكثرة الأتباع.

فلا بد أن نحاسب أنفسنا على التجرد وطلب المصلحة العامة ولو تحققت على يد من يخالفنا؛ فالمؤمن يفرح بحصول ما ينفع الإسلام دون تعلُّق بالتفاف الأتباع حوله، وإذا كان كذلك كان أجدر أن يكون إماماً قوي الحجة رفيع القدر.

٣- الظن أن التنازل عن الرأي أو الرئاسة لحصول التعاون ضعف أو هزيمة:

وما ذاك إلا وهمٌ محضٌ من تزيين الشيطان حتى لا تقوم لأهل الإسلام قائمة، وربما أتى الشيطانُ الدعاةَ والمصلحين من مدخل: أنتم أفضل من غيركم، وأنتم أصحاب الصورة المثالية؛ فلا تسمحوا لهم أن يكون أحدهم في المقدمة... إلخ، ومن ثَمَّ يصرُّون على مقاماتهم وصداراتهم على حساب مصلحة الأمة.

فهوِّن أخا الإسلام على نفسك، ولا تنظر للآخرين من الدعاة على أنهم هباءً لا فائدة لهم، وأن الآمال معقودة بك دون غيرك؛ فهذه هي النظرة العمياء التي أضاعت التعاون فيما بين الدعاة كأفراد أو جماعات.

٤- السماع عن الآخرين أكثر من السماع منهم:

فمن العجب أن تجد داعيةً يرفض التعاون مع بعض الدعاة بحجة أنه سمع عنه كلاماً يطعن في دينه أو شخصيته أو منهجه، ولا يتوثق من هذا.

فإن أهم خطوات التعاون أن يسمع الدعاة من بعضهم دون وساطة، فكم من مصالحَ دعوية تعطلت بسبب سماع الدعاة عن بعضهم، بدلاً من سماعهم من بعضهم.

٥- الثوابت الوهمية التي يُنظَر من خلالها للآخرين على أنهم مخالفون:

فالبعض درج على اعتبار بعض الأمور من المسلَّمات؛ سواء في مسائل علمية ألحقوها بالعقيدة؛ أو في ممارسات وفروع عملية؛ مع أنها أمور لم يقع فيها إجماع صريح، وكلها في محل الاجتهاد؛ وغاية الأمر أن يكون المخالف مخطئاً غير خارج عن عقيدة أهل السُّنة ومنهجهم، ولا يكون تبنِّيه لاجتهادٍ مخالفٍ مسوغاً لمنع التعاون معه أو التهكم عليه أو الاستهزاء به.

ومن ثَمَّ وجب علينا الانضباط بالشرع وبما عليه أهل العلم، من إقامة العذر بيننا في مواطن الخلاف، ومن الامتناع عن تبديع كل من أخطأ في مسألة خطأً لم يخالف فيه إجماعاً لأهل السُّنة، وإذا لم تتسع صدور العلماء لذلك فسيخسرون بعضهم، وتنسد أبواب التعاون والتكامل في ما بينهم دون سببٍ مقبولٍ (شرعي أو عقلي). ونحن الآن في وقتٍ نقاتل فيه على أصول الدين وثوابت الملة وعلى هويتنا الإسلامية؛ وتعاوننا في قَدْرٍ مُجمَعٍ عليه ولا خلاف فيه، فلا يسوغ في هذا الحال التنطع في مسائل الخلاف وتمزيق الأمة بسببها.

٦- الركون للظالمين وتقديم رضاهم وتزكيتهم على الرضا والتعاون مع الدعاة:

إن خصوم الدعوة الإسلامية يحرصون على تقريب بعض الدعاة وإبعاد بعض؛ للتمكن من زرع العداوة بين الفريقين والتمكن من ضرب بعضهم ببعض، ولا شك أن الدعاة الصادقين حين يرون ارتماء الآخرين في أحضان الخصوم يزدادون نفوراً منهم، وتتسع الهوة، والله جلَّ وعلا، حذَّرَ نبيَّه ﷺ وهو خير البرية من مجرد الاقتراب من الركون لأعداء دينه، فقال: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ

عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء٧٣- ٧٥].

فبعض الدعاة يغتر حين يعطيهم الخصم من القول معسولَه ويقابلهم بالبشاشة ويمدح دعوتهم واعتدالهم ويفتح لهم الأبواب ويقرِّبهم؛ فيعدُّ ذلك مكاسب دعوية وينسى قول الحق تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩].

فعلى الدعاة أن يكونوا بإخوانهم الصادقين وإن كان فيهم من النقص ما فيهم؛ ولا يؤْثِروا عليهم المنحرفين والعَلمانيين مهما أبدوا لكم من معسول القول وجميل المواقف.

عاشراً: تنبيهات في التعاون بين الدعاة:

التنبيه الأول: لا تعاون في معصية الله:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فقد نهى الله تعالى عن التعاون على باطل وما فيه إثم وعدوان، كتعاون بعض الدعاة لإفشال بعضهم، أو إثارة الناس وولاة الأمر عليهم، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قا: قال رسول الله ﷺ: **(من أعان على خصومه بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع)**[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة فليس من أمتي)**[2].

(١) مسند أحمد ٩/ ٢٩٣ (٥٣٨٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وسنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من ادعى ما ليس له وخاصم فيه (٢٣٢٠) وصححه الالباني في الصحيحة (١٠٢١)، سنن أبي داوود، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (٣٥٩٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (١٨٤٨).

التنبيه الثاني: المبادرة في إفساح المجال للدعاة في المشاركة والتعاون:

فليعلم رجل الدعوة أنه إن كان يضيق ذرعاً بمساعدة إخوانه ومبادراتهم ومناصحتهم وتوجيههم وفتح الميادين الواسعة أمامهم، فعليه أن يبادر بفسح المجال للكفء الأمين بالإسهام في ميادين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويكفي نبراساً وقدوة تضرع موسى عليه السلام إلى ربه في أخيه هارون عليه السلام: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾.

التنبيه الثالث: التعاون يتأكد كلما كان الدعاة أقرب:

«اختار موسى أخاه لأن هذا اختصاص وحظوة، والقريب أحق بالبر وأولى بالإدناء. واختيار موسى لأخيه لأن القريب مظنة النصح، بل خص من الأهل الأخ لأنه أقوى في المناصحة، إضافة إلى أخوة الدين اللازمة للتعاون»[١].

(١) التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته- مجلة البحوث الإسلامية- العدد ٥١ - لسنة ١٤١٨هـ، ص ٢٢٤.

المبحث السابع
التشاور

التشاور بين الدعاة من الواجبات والأدبيات التي تكون بين الدعاة إلى الله، على المستوى الفردي وعلى المستوى الجمعي المؤسسي.

وإبرازاً لهذا الجانب بين الدعاة نتطرق للنقاط التالية[(١)]:

❑ أولاً: مفهوم التشاور:

لغة: اسم للمشاورة، وكلاهما مأخوذ من مادَّة (ش و ر) التي تدلُّ على أخذ شيء من شيء[(٢)]، وشاورت فلاناً في أمري، وكأنَّ المستشير يأخذ الرَّأي من غيره، يقال: شاوره في الأمر مشاورة، طلب منه المشورة، وأشار عليه بكذا: أمره وارتآه له، وبيّن له وجه المصلحة، ودلَّه على الصَّواب[(٣)]، واستشرته راجعته لأرى رأيه، فأشار عليّ بكذا أي أراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت إشارته حسنة[(٤)].

واصطلاحاً: استنباط المرء الرّأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئيَّة التي يتردَّد المرء فيها بين فعلها وتركها[(٥)].

(١) للاستزادة: ينظر أقوال المفسرين عن آية سورة الشورى، وسورة المائدة، وكذلك صفة الشورى من كتاب نضرة النعيم٦/ ٢٤٢٦ وما بعدها، وبحث بعنوان: الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبد الحميد الكبتي، منشور على موقع مداد، وبحث كذلك بعنوان: حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء- د. محمد بن شاكر الشريف، بحث منشور على موقع صيد الفوائد.

(٢) مقاييس اللغة ٣/ ٢٢٦.

(٣) لسان العرب ٤/ ٤٣٧، ومختار الصحاح ص٣٥٠.

(٤) المصباح المنير ١/ ٣٢٦.

(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب ص٢٩٤.

❑ ثانياً: الآيات الواردة في الحث على التشاور:

وردت آيتان في القرآن تدل على التشاور:

الآية الأولى: الأمر المباشر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ إمام الدعاة أن يشاور أصحابه الذين كانوا دعاة معه، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عن الحسن البصري رضي الله عنه: «قال: قد علم الله أنَّه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستنَّ به من بعده»(١).

ويقول الإمام الرازي: «إنه ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلاً إلا أن علوم الخلق متناهية، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا»(٢).

ينشئ الإسلام أمة، ويربيها ويَعِدُّها لقيادة البشرية. وخير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى، وأن تتدرب على حمل التبعة، وأن تخطئ لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها.

الآية الثانية: وصف المؤمنين بأنهم يتشاورون فيما بينهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

«أي لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تدبّرهم وتيقظهم، وصدق تآخيهم في إيمانهم وتحابّهم في الله تعالى»(٣).

---

(١) الدر المنثور ٢/ ٣٥٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٠٩.

(٣) محاسن التأويل ٨/ ٣٧٢.

وقوله: « ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ أي بحيث إنهم لا فرق في حال المشاورة بين كبير وصغير بينهم بل كل منهم يصغي إلى الآخر وينظر في حصته فلا يستبد أحد منهم برأي.. أي يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين مما لهم من قوة الباطن وصفائه في الإخلاص والنصح»(١).

ومع أن هذه الآيات مكية، نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة، مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسيًّاً للدولة، فهو طابع أساسي، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم ينتقل من الجماعة إلى الدولة.

❑ ثالثاً: تطبيق النبي ﷺ للشورى بين الدعاة:

أثبتت السنة والسيرة النبوية أن النَّبيَّ ﷺ شاور أصحابه رضي الله عنهم، ليطيب بذلك قلوبهم، وليشجِّعهم على المضيِّ في نشر الدِّين والدَّعوة إلى الله عز وجل؛ انطلاقاً من توجيه الله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه في كثير من المواقف.

ومن المواقف التي استشار فيها رسول الله ﷺ صحابته تأصيلاً وتثبيتاً لهذا المبدأ:

١ - استشارته لهم في الدخول في معركة بدر(٢).

٢- قبول إشارة الحباب بن المنذر رضي الله عنه في تغيير المكان في بدر(٣).

٣- استشارته لهم في أسرى بدر(٤).

(١) نظم الدرر ٦/ ٦٣٩.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام١/ ٦١٥.

(٣) ينظر: مغازي الواقدي١/ ٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦٢٠.

(٤) القصة في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (١٧٦٣).

٤- استشارته لهم قبل غزوة أحد في الخروج للقتال أو البقاء في المدينة[١].

٥- قبول مشورة سلمان رضي الله عنه في حفر الخندق[٢].

٦- الشورى في الأحزاب للتخفيف عن المسلمين[٣].

٧- مشورته لهم في حادثة الإفك[٤].

٨- مشورته لأم سلمة رضي الله عنها بعد صلح الحديبية عندما توقف الصحابة عن تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالحلق والإحلال من الإحرام[٥].

وغيرها كثير لمن تتبع كتب السنة ومرويات السيرة.

❑ رابعاً: أقوال السلف في الحث على الشورى:

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «الرِّجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور، فيسدّدها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرَّأي، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً، ولا يطيع مرشداً»[٦].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «نعم المؤازرة: المشاورة، وبئس الاستعداد: الاستبداد»[٧].

وعن الحسن رحمه الله **قال:** «والله ما استشار قوم قطُّ إلاَّ هدوا لأفضل ما بحضرتهم،

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧١.

(٢) ينظر: مغازي الواقدي ١/ ٢١، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢١.

(٣) ينظر: مغازي للواقدي ٢/ ٤٧٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٢٣.

(٤) القصة في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (٤٧٥٠). ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢٧٧٠).

(٥) القصة في صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣٢).

(٦) أدب الدنيا والدين ص٢٦٠.

(٧) أدب الدنيا والدين ٢٦٠.

ثمّ تلا ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾»[(١)].

وقال الماورديّ: «اعلم أنَّ من الحزم لكلِّ ذي لبٍّ، ألاَّ يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلاَّ بمشورة ذي الرَّأي النّاصح، ومطالعة ذي العقل الرَّاجح»[(٢)].

قال أحدهم: «من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبدَّ برأيه كان من الصَّواب بعيداً»[(٣)].

وقال بعض الحكماء: «الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه»[(٤)].

وقال بعض البلغاء: «من حقِّ العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرَّأي الفذُّ ربَّما زلَّ، والعقل الفرد ربَّما زلَّ»[(٥)].

❑ خامساً: أهمية الشورى بين الدعاة:

«كلمة الشورى أجمل لفظ وأعذبه في فقه الدعوة، وغدت عند الداعية العصري: عنوان وعي ودليل فهم حضاري، وأصبحت يوماً بعد يوم تُستعمل كوصف للعمل الجاد، ورمزاً للنبل، فإذا قلت: فلان يؤمن بالشورى ويمارسها فكأنك تمدحه وتقول: هو داعية خبير في الإدارة، منصف في التعامل، واقعي في النظر»[(٦)].

فالشورى خلق وسجية، تدل على رجاحة العقل وعلى متانة العمل الدعوي.

---

(١) فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد ص ٢٥٨.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٦١.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٠.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٢٨٩.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٣.

(٦) الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبد الحميد الكبتي، نقلا عن كتاب أصول الاجتهاد للأستاذ محمد أحمد الراشد.

ولذا فإن للشورى بين الدعاة أهمية كبيرة يمكن إبرازها في النقاط التالية:

- الشورى عبادة وتقرباً إلى الله ﷻ وتنفيذٌ لأمره سبحانه.
- الدعاة المتشاورون يشعرون بالانتماء إلى الدعوة وأن أمر الدعوة هو أمرهم جميعا وهو جزء لا يتجزأ من مهامهم ومسؤولياتهم.
- بالشورى يتشجع الدعاة على التفاعل الإيجابي وحبِّ التَّعاون، والتحلي بروح المسؤولية تجاه القضايا التي تهم المجتمع.
- بالشورى تتضافر الجهود وتتوزع المسؤوليات الدعوية ويوضع الفرد المناسب في المكان المناسب وبهذا نستغل الطاقات الموجودة في الأعمال الدعوية ونتخلص من الطاقات العاطلة وهو بحد ذاته تنظيم للأمور.
- في الشورى تلاقح الأفكار وتتنور الآراء وتتقارب وجهات النظر، ويحصل بذلك تآلف القلوب.
- الشورى من أسباب تمتين علاقة الصف الدعوي بعضه ببعض فتقوى شوكتهم فلا يصيرون طمعا للأعداء المتربصين بهم.
- الشورى تلغي فكرة الاستئثار بالصواب، ويقوي القدرة على التفكير المنتج.
- الشورى ترسخ فكرة اشتراك الدعاة جميعاً مع العلماء والمتخصصين في الأمة في تحمل مسؤولية البحث عن الصواب في القضايا الدعوية.
- الشورى توجِد تلاحماً حقيقيّاً بين الدعاة أفراداً وجماعات، بحيث يشعر القائمين بالدعوة أنهم أصحاب دار، ليسوا ضيوفاً أو أجراء.

- الشورى توجِد اطمئناناً لدى الدعاة والمدعوين بصواب العمل، وأنهم لا يُقادون من خلال نزعات فردية، مما يساهم بدرجة كبيرة في قناعة الناس بما يصدر من تنظيمات، أو ترتيبات، وهذا يسهم بدوره في الالتزام بها، والعمل على إنجاحها.
- الشورى تمثل دافعاً من دوافع العمل والإنتاج في العمل الدعوي؛ حيث يشعر الداعية في مؤسسته الدعوية، وكذلك المؤسسات الدعوية فيما بينها بالانتماء إلى مجتمع دعوي كبير يقدرهم ويعترف بمكانتهم، ففي الشورى يشعُر كلُّ داعية بأنَّ له مكانته وكرامته في العمل.
- الشورى تقود إلى المشاركة في العمل وتحمل المسؤولية في ذلك، وتقضي على السلبية واللامبالاة التي تعاني منها الدعوة.
- الشورى تعمل على إنضاج الآراء الدعوية، وتسهم بدور كبير في تجميع وتوحيد الجهود والتوجهات.
- في الشورى بين الدعاة إغلاقٌ لأبواب الإشاعة المؤذية وسد الفرج التي تأتي منها الفتن فلا عمل من وراء الكواليس أو في الزوايا المظلمة.

❑ سادساً: حكم الشورى بين الدعاة:

«الشورى مأمور بها في الجملة، إما أمر إيجاب وإما أمر استحباب، حسب مقتضيات الأمر الدعوي خطورته وأهميته وترك التشاور بين الدعاة تعريض لمصالح الدعوة للخطر والفوات، وتشتيت للعمل الدعوي وضعف التكامل على مستوى الأفراد الدعاة وعلى مستوى المؤسسات الدعوية.

وكذلك يؤدي إلى ضعف الموقف الدعوي في القضايا المعاصرة، وضعف الفتوى في المستجدات العلمية والفقهية.

وهناك فريق يذهب إلى أن الشورى واجبة ونتيجتها ملزمة وينبغي التقيد بما دلت عليه، بينما هناك من يقول: إن الشورى مستحبة وليست واجبة، ونتيجتها غير ملزمة، بل بوسعه مخالفتها إذا لم يقتنع بها، ويسوق كل فريق منهم الحجج التي يراها تؤيد قوله، والناظر في هذه الأقوال وما استدل به العلماء من أدلة، يمكنه القول: إن كل فريق قد أصاب فيما قال، والخطأ إنما يكمن في تعميمه لمقولته على موضوعات الشورى كلها؛ إذ هناك من الأمور ما تكون الشورى فيها واجبة ونتيجتها ملزمة حسبما يقول الفريق الأول، بينما هناك من الأمور ما تكون الشورى فيها مستحبة ونتيجتها غير ملزمة حسبما يقول الفريق الثاني، كما أن هناك من الأمور ما تكون الشورى فيها واجبة ونتيجتها غير ملزمة»[١].

ولا نستطيع أن نذكر بمثالاً، لأن الذي يتحكم في ذلك الحال والزمان والملابسات.. فكل قضية تدرس في ضوء المصالح ومدى أهمية وجدية التزام الشورى من عدمها.

وكذلك وهو أمر مهم جدًّا: لو التزم أفراد مؤسسة دعوية، أو إدارة مسجد أن تكون الشورى ملزمة للجميع واتفقوا على ذلك، وجب على الجميع التزام ذلك ما لم يخالف المتفق عليه أمر من أمور الدين، وذلك لأن المؤمنين على شروطهم، وهم كما وصفهم الله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وإلا كان لزم العضو في الشورى أن يمتنع من البداية من المشاركة في الشورى.

(١) حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء- د. محمد بن شاكر الشريف، بحث منشور على موقع صيد الفوائد.

❑ سابعاً: مجالات التشاور بين الدعاة:

الداعية الصادق في إيمانه ليس له إزاء ما شرعه الله إلا القبول والالتزام، والسعي في تنفيذ ما شرعه الله، وهذا يعني أن التشاور بين الدعاة لا مدخل له فيما شرعه الله تعالى؛ إذ ليس أمام المسلم إلا قبول الشريعة، وإنما يكون التشاور في:

- تحصيل أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما، وكذلك بدفع المفاسد الخالصة أو بدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما.
- الاختيار من بين متعدد لمناسبة ظرف أو حال أو مكان.
- التشاور يكون عندما يُشْكِل الأمر في قضية ما، وعندما لا يكون الداعية أو المؤسسة الدعوية قادرة على اتخاذ القرار السليم، أو عند إرادة التأكد من صواب القرار الذي يراد اتخاذه، أو يراد التوصل إلى الأيسر والأنسب من الحلول الصالحة المتعددة.

❑ ثامناً: صورة التشاور:

- التشاور يكون بين مجموعة من الدعاة ومجموعة أخرى، أو بين أفراد من الدعاة بعضهم البعض، أو أن مجموعة تستشير فرد، أو أن داعية يستشير مجموعة.
- التشاور يكون على انفراد أو على اجتماع، وبالتواصل المباشر أو التواصل عن بعد.
- قد يكرر التشاور في الأمر الواحد إذا لم يتضح وجه الصواب، وقد يكتفي بإشارة أول من يشير عليه إذا تبين له صواب رأي المشير وصلاحه.
- التشاور ألزم عندما يكون الأمر ليس خاصّاً بفرد، بل يعم مجموعة من الناس أو الجماعة المسلمة كلها.

• الشكل الذي يتم به التشاور متروك للأمة حسب ما ترى فيه من مصالح في كل زمان ومكان.

❑ تاسعاً: أهل الشورى في العمل الدعوي:

يختلف تحديد أهل التشاور في العمل الدعوي باختلاف المجال الذي يراد التشاور فيه؛ فأمور الدين والفتوى يتشاور فيها مع العلماء المتخصصين في فنهم، وأمور الإدارة والتخطيط الدعوي لها أهلها حتى ولو كانوا من غير الدعاة.

كما تختلف إذا كان التشاور في أمور خاصة تخص داعية أو مجموعة من الدعاة، أو عمل دعوي عام أو عمل دعوي خاص.

قال ابن الجوزي: «إنما أُمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأته فيه وحي، وعمهم بالذكر والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم»[(١)].

قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ الشورى لا ينبغي أن تتجاوز من يهمهم الأمر من أهل الرأي، فلا يدخل فيها من لا يهمه الأمر[(٢)].

قال القرطبي: «قال العلماء: وصفة المستشار إن كان في الأحكام أن يكون عالماً دَيِّناً؛ وقلما يكون ذلك إلا في عاقل.. وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً وادّاً في المستشير»[(٣)].

وقال ابن قدامة: «يشاور أهل العلم والأمانة؛ لأن من ليس كذلك فلا قول له في الحادثة، ولا يُسكَن إلى قوله»[(٤)].

---

(١) زاد المسير ١/ ٣٤٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ١١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٥٠.

(٤) المغني لابن قدامة ١٠/ ٤٧.

وقال سفيان: «وليكن أهل مشورتك أهل التقوى وأهل الأمانة، ويشاور الموافقين والمخالفين ويسألهم عن حجتهم ليبين له الحق»(١).

إنه لا بد للدعاة أن يكونوا «أصحاب عقول كاملة وأن يتشاوروا مع أصحاب التجربة السالفة من إخوانهم أهل التقى والدين، وأن يكونوا في تشاورهم ناصحين وودودين، فإنَّ النُّصح والمودَّة يصدِّقان الفكرة ويمحِّضان(٢) الرَّأي»(٣).

ولا بد لمن يستشير إخوانه الدعاة أن يكون «سليم الفكر من همٍّ قاطع، وغمٍّ شاغل، فإنَّ من عارضت فكره شوائب الهموم لا يقدم مشورته لكي لا يخون إخوانه ودعوته، حتى لا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه، ولا هوى يساعده»(٤).

«فحتى يكون القرار بعد التشاور صواباً أو أقرب إلى الصواب، فلا بدَّ من اتخاذه من قِبَلِ أهله فليس كل الدعاة أو كل المؤسسات يمكن استشارتها، وليس بمعقول كذلك أن يطالب كل الدعاة بأن تعرض عليهم المؤسسة الدعوية طلب المشورة في كل أمر، فللتشاور دوائر تتناسب مع طبيعة الموضوع، ومدى سعة تأثيره، وأهمية إشاعته وغير ذلك من سياسات ضابطة للسير بالشورى، علينا أن نعيها، ولا نسير بعجلة مطالبين بالشورى معنا في كل أمر، فالرجوع إلى أهل الاختصاص في كل فن وحقل هو من أهم مفاهيم التشاور بين الدعاة.

لكن هذا لا يغني عن مشاورة عدد من أهل الشمول من بعد في نفس القضايا لاتخاذ القرار الأخير لما عند هؤلاء من سعة نظر تحيط بحركة الحياة من جميع أقطارها»(٥).

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٢) **يمحّضان**: يخلّصان الرأي.

(٣) نضرة النعيم ٦/ ٢٤٢٧.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٢.

(٥) الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبد الحميد الكبتي- مقال: منشور على موقع مداد.

❑ عاشراً: تنبيهات حول مفهوم التشاور بين الدعاة:

✧ التشاور على المستوى الفردي أو على المستوى المؤسسي، لا بد أن يقوم على قواعد وأسس علمية منظمة.

✧ عند التشاور لا بد أن يعطى الداعية حقَّه في التفكير والتعبير، على أن يلتزم الجميع في النهاية بالقرار المتخذ، ما لم يكن ذلك مخالفاً لمبادئ الشريعة العامة والصريحة.

✧ المقصود من التشاور بين الدعاة أن يكون تشاورا حقيقيّاً لا صوريّاً، يجمع ولا يفرق، يزيد من قوة وصلابة الدعاة فيما بينهم على المستوى الفردي أو على مستوى المؤسسات الدعوية فيما بينها.

✧ لا بد أن تكون لكل مؤسسة دعوية طريقة واضحة في التشاور وتقديم المشورة بين أعضائها والتشاور بين المؤسسات والتجمعات الدعوية الأخرى تتناسب مع الواقع والنظم الإدارية الحديثة، وطبيعة كل عمل دعوي.

✧ لا بد أن توضع قضية التشاور بين الدعاة في مناهج التأهيل للدعوة تأصيلاً لهذا الخلق، وغرساً لأساس الشورى في جوانبها، حتى تمسي الدعوة قائمة على أرضية قوية.

✧ لا بد أن يكون من المتشاورين من يفصل في الأمر ويدير المشورة إذا كانت على مستوى عدد كبير من الدعاة أو على مستوى مؤسسي ويزداد الأمر عندما يكون التشاور في قضية دعوية تهم الأمة.

✧ عند التشاور بين الدعاة لا بد أن يبدي الداعية رأيه تبعاً لما ينفع الدين لا ما يناسب ظروفه الخاصة.

✧ عند التشاور لا بد أن يحترم الداعية رأي أخيه الداعية ولا يحقره ولا يعقب عليه بشكل مباشر ويشير إليه بالاتهام.

✧ في قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ بيان أن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي، واختيار واحد من الآراء، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ.. التنفيذ في عزم وحسم، وفي توكل على الله.

فللشورى وقتها، ولا مجال بعدها للتردد، وإلا لن ينتهي الأمر إلا إن جد جديد وتغيرت الأمور والملابسات والمعطيات.

✧ لا بد من الحذر من صور مغلوطة للتشاور بين الدعاة، مثل:

- حجب المعلومات أو بعضها أثناء أخذ الشورى.
- تزيين رأي معين لبعض الأفراد قبل أخذ الشورى بما يمنعهم من التأمل المنصف في الآراء الأخرى.
- تسفيه الرأي المخالف.
- استغلال السبق والسن والألقاب العلمية كممارسة خاطئة في توجيه الآراء.
- عدم إعطاء الفرصة الكاملة والمتكافئة لإبداء الآراء.
- إبداء المسؤول لرأيه قبل الآخرين تصريحاً أو تلميحاً.
- عدم التوقيت الصحيح والمناسب لأخذ الرأي.

المبحث الثامن
التكافل

والتكافل داخل في التعاون ولكن إفراده لأهميته بين الدعاة، حيث يجب أن يحمل الدعاة عبء بعضهم البعض، فيتعاهد الدعاة إخوانهم بالسؤال والبر، مع المبادرة إلى المساعدة والتكافل.

ويمكن بيان هذا الأمر في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم التكافل:

التكافل: مأخوذ من مادة كفل ولها معانٍ متعددة منها: الكافل وهو العائل، يقال: كفله يكفله وكفّله، والكفيل: هو الضمين، فالتكافل هو التضامن(١).

والتكافل: تبادل الإعالة والنفقة والمعونة(٢).

فالتكافل هو: «أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفراداً وجماعات حكاماً ومحكومين على اتخاذ مواقف إيجابية، بدافع شعور وجداني عميق، ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة في مؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضر عن أفراده»(٣).

والمقصود بالتكافل بين الدعاة: أن يكون الدعاة مشاركين في المحافظة على مصالحهم العامة والخاصة، ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية، فيشعر

---

(١) ينظر: لسان العرب ٧/ ٦٩٨.

(٢) معجم لغة الفقهاء ص١٤٢.

(٣) هذا تعريف د. محمد أبو زهرة. ينظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام لمحمد أبو زهرة ص٧.

الداعية أن عليه واجبات لإخوانه الدعاة، وتهدف لإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم.

ثانياً: فضل التكافل بين الدعاة:

التكافل بين الدعاة من أهم معالم الأخوة، وهذا المبدأ عام مع كل المسلمين، وهو بين الدعاة أوجب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

«**ومن شرط الأخوة**: أن لا تحوج أخاك إلى الاستعانة بك والتماس النصرة منك، ولا تُقَصر في تفقد أحواله؛ بحيث يشكل عليك موضع حاجته، فيحتاج إلى مسألتك»[(١)]، هذا في جميع الناس فكيف بالدعاة إلى الله تعالى الذين يحملون همّ إصلاح الناس وينفقون في ذلك أوقاتهم وأنفسهم، وأموالهم.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً فرَّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: **(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً... ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام)**[(٣)].

---

(١) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري ٧/ ٢٩٢.

(٢) تقدم تخريجه ص٢١٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني عن ابن عمر ١٢/ ٤٥٣ (١٣٦٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

وقال ﷺ: **(ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)**[١].

وقال ﷺ: **(من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله في أهله بخيرٍ فقد غزا)**[٢].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: قال رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[٣].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم، فإنهم زينٌ في الرخاء، وعدةٌ في البلاء»[٤].

وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «التارك للإخوان متروك»[٥].

وعن عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللَّهُ **قال**: «تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث؛ فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم»[٦].

وقال داود الطائي لرجل طلب الوصية: «اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة وأكثرهم لك معونة»[٧].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر (٢٦٩٩).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير(٢٨٤٣).
(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.
(٤) الإخوان لابن أبي الدنيا ص١١٦، وإحياء علوم الدين ٢/ ١٧١.
(٥) أدب الدنيا والدين ص٢١١.
(٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٠/ ١١٣.
(٧) الإخوان لابن أبي الدنيا ص١٢٤. حلية الأولياء ٧/ ٣٤٦.

ثالثاً: أهمية التكافل بين الدعاة:

تظهر أهمية التكافل بين الدعاة في النقاط التالية:

- تكافل الدعاة فيما بينهم وقضاء حوائجهم جسرٌ يربط العلاقات الدعوية، لأن طبيعة النفس البشرية فُطرت على محبة من يحسن إليها ويقوم بشؤونها ومصالحها، ومن ثم فهي تنظر إليه نظر الإجلال والتعظيم والحب.

- «العلاقات الإنسانية في بيئة العمل الدعوي هي المادة اللزجة التي تحرك آلة العمل والإنجاز الدعوي، وكلما كانت هذه المادة عالية اللزوجة أدت إلى تحقيق نتائج باهرة في الدعوة، ولذا يجب أن نستثمر هذه العلاقات المختلفة في مجالات الدعوة المتعددة»[(١)].

- يؤسس التكافل بين الدعاة بناءً متكاملاً، شامِلاً يلبي حاجَاتِ الدعاة، ويربط بين الدعاة بوشائِجَ متينة؛ تُؤَلِّف بينهم، وتقوي علاقتهم ببعضهم، وتقويهم أمام أعدائهم، وتظهر جيلاً من الدعاة قويّاً مُتَماسِكاً.

- التكافل بين الدعاة يظهر جيلاً من الدعاة يتحَمَّلُ المسؤولية المشتركة في الإصلاحِ وإِحْداثِ التَّغيير في المجتمعات.

- التَّكافُل بين الدعاة تحتاجه الدعوة اليوم لِحَلِّ مشكلاتها الدعوية، ولمواجهة التحديات المعاصرة، ومكافحة ما يهدِّدها من المخاطِر.

- التكافل بين الدعاة يقي ويعالج النفعية والتنافس على الدنيا بين الدعاة، الذي يقضي على الدعوات.

---

(١) العلاقات الاجتماعية بناؤها وتوظيفها في الدعوة، د. الربيع مليحي – مقال منشور في مجلة البيان، عدد ٢٣٨.

التكافل بين الدعاة يعطي صورة متميزة للدعاة في كل مجتمع، وهو من الأسباب التي تقنع الناس في الدخول إلى هذا الدين، عندما يرون أهله والداعين له قدوة عملية تمثل الوحدة والتكافل.

رابعاً: نماذج من التكافل:

فهذا رسول الله ﷺ يثني على ما قام به أبو بكر الصديق من تكافل: **(إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي)**[(١)].

وقال: **(ليس أحد أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة)**[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر) فبكى أبو بكر، وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله[(٣)].

وبيَّن الله تعالى ما قام به الصحابة رضي الله عنهم في تكافلهم مع بعضهم في أمورهم الحياتية؛ في الوقت الذي أخرج فيه المهاجرون من أموالهم وبلدانهم وعلاقتهم به، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

روى أنس بن مالك رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية: «أن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين سعد بن الربيع وبين عبدالرحمن بن عوف فقال له سعد: إن لي مالاً فهو بيني وبينك شطران ولي امرأتان فانظر أيتهما أحببت حتى أطلقها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **(لو كنت متخذاً خليلاً..)** (٣٦٦١) وحديث (٤٦٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أبوب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد (٤٦٧).

(٣) تقدم تخريجه ص١٧٩.

فإذا خلت فتزوجها قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلني على السوق»[١].

وكان سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبداً مملوكاً فقال له رسول الله ﷺ: **(كاتب يا سلمان)** قال سلمان: فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[٢] وبأربعين أوقية[٣]، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **(أعينوا أخاكم)** فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية[٤]، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعنى الرجل بقدر ما عنده -حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية.. »[٥].

وقد ثبت في مدح النبي ﷺ الأشعريين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بدعمهم المادي لبعضهم وتكافلهم في سبيل الدعوة والجهاد؛ فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **(إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو -أو قل طعام عيالهم بالمدينة- جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسوية، فهم مني وأنا منهم)**[٦].

وورد أن أبا أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم البصرة، فنزل عليه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً، فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، وكل ما في البيت[٧].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١/ ٢٥٢ (٧٢٨)، وأصل الحديث في صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه (٣٩٣٧).

(٢) **الفقيرُ**: بئرٌ يُحْفَرُ في أَصْلِ الفَسِيلَةِ إِذا حُوِّلَتْ، ويُطْرَحُ فيها البَعْرُ والسَّرْجِين، وفي حديثِ سَلْمَانَ أَنَّهُ أَحْيَا النَّخْلَ بالفَقِيرِ أي: بالبِئْرِ، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٢٠٢.

(٣) **الأوقية**: جمعها أواقي ومقدارها أربعون درهماً. انظر: لسان العرب ١٥/ ٤٠١.

(٤) **الودية**: صغار النخل. انظر: القاموس الفقهي ١/ ٣٧٧.

(٥) مسند أحمد ٥/ ٤٤١ (٢٣٧٨٨)، المعجم الكبير للطبراني ٦/ ٢٢٢ (٦٠٦٥)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٩٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (٢٤٨٦).

(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٥٢٠ (٥٩٣٦)، شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٤٣٦ (١٠٨٨٠)، وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٢. وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

بل إن الأمر تجاوز تكافل الدعاة فيما بينهم في حياتهم إلى وفاتهم، برعاية أهل الداعية، فهذا داعية الإسلام إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما وصل نعيه؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم)**[(١)].

وظهر تكافل الدعاة فيما بينهم في تجهيز بعضهم لبعضٍ لأمور الدعوة، فكان لبعض الصحابة دورٌ في تجهيز إخوانهم المتجهين إلى غزوة تبوك وعلى رأسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم)**[(٢)].

وقد ورد أنه كان لسعد بن عبادة رضي الله عنه قدم السبق في رعاية التكافل حتى إنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان يبعث إليه كل يوم جفنة[(٣)] من ثريد اللحم، أو ثريد بلبن أو غيره[(٤)].

خامساً: نماذج من السلف في تكافلهم:

ورد أن أبا حنيفة كان يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة، إلى سنة فيشتري بها حوائج أشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير والأرباح إليهم، ثم يقول: أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله، فإني ما أعطيكم من مالي، ولكن من فضل الله علي فيكم.

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميت (٣١٣٢)، وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت (١٦١٠)، جامع الترمذي كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت (٩٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠١٥).

(٢) جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان(٣٧٠١) وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٠٦٤).

(٣) **الجفنة**: وعاء الأطعمة، انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٤٧.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص٣٥ (٥٣)، وفي قري الضيف ص٢٩ (٢١)، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٤٦١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٥٤-٢٥٦، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧١، وكنز العمال ٧/ ١٨٣ (١٨٥٩٤)، وتخريج أحاديث الحيوان للدرديري ص٥٦١ (٦٩).

وكان إذا اشترى لعياله شيئاً، أنفق على شيوخ العلماء مثل ما أنفق على عياله، وإذا اكتسى ثوباً فعل مثل ذلك. وإذا جاءت الفاكهة والرطب وكل شيء يريد أن يشتريه لنفسه ولعياله لا يفعل ذلك حتى يشتري لشيوخ العلماء مثله. ثم يشتري بعد ذلك لعياله، وكان إذا اشترى للصدقة أو لبر إخوانه شيئاً اشترى أجود ما يقدر عليه، وكان يتساهل فيما يشتريه لنفسه ولعياله.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الصلاة والصيام كثير الصدقة، فكان كل مال يستفيده لا يدع منه شيئاً إلا أخرجه، ولقد وجه بهدايا لأحد العلماء حتى استوحش العالم من كثرتها؛ وما كان يدع أحداً من المحدثين إلا بره برّاً واسعاً، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروفاً بكثرة الأفضال وقلة الكلام وإكرام العلم وأهله.

وأُهْدِي له ألف نعل. فلما كان بعد ذلك أراد أن يشتري نعلاً، فقيل له: ما فعلت بتلك النعال؟ فقال: ما دخل بيتي منها شعرة وهبتها كلها لأصحابنا»[(١)].

وسئل أحد السلف: كيف فَضَلكم ابن المبارك ولم يكن بأسن منكم؟ قال: كان يقدم ومعه من الغلمة الخرسانية والبزة[(٢)] الحسنة، فيصل العلماء ويعطيهم[(٣)].

وكان ابن المسلمة موصوفاً بالعقل والفضل والبر، وداره مألف لأهل العلم[(٤)]، وقال المرزباني: كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لأهل العلم الذي يبيتون عندي[(٥)].

---

(١) انظر: أخبار أبي حنيفة ص٤٤- ٤٦.

(٢) **البزة:** الثيابُ أو مَتاعُ البيتِ من الثيابِ، انظر: لسان العرب ٥/ ٣١١.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٤١.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٤١.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ١/ ٤٢. والدواج: لحاف أو ثوب واسع يغطي الجسد كله، وكل ما تغطيت به فهو لحاف. تاج العروس ٥/ ٥٨٢، و٢٤/ ٣٥٦ والمعجم العربي لأسماء الملابس ص١٧٩.

ووصفوا محمد بن إبراهيم الواقد بأنه: كريم نبيل نسيب صاحب مرؤة وجاه ومحبة للعلم وأهله، وكان يكرم العلماء البلديين والغرباء، وينزل الواردين من أهل العلم والأكابر مدرسته ودوره، ويسدي إليهم الجميل ويسرحهم بإحسان إذا ارتحلوا[(١)].

قال أبو حازم: «لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم، أربعين فقيهاً، أدنى خصلة فينا: التواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه متماريين، ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا»[(٢)].

وهذا غيض من فيض، أرادنا به الدلالة والتمثيل فقط، وكتب السير والتراجم مليئة بذلك.

سادساً: مجالات التكافل بين الدعاة:

هناك كثير من المجالات التي يمكن أن يتكافل من خلالها الدعاة العامة ومنها:

١- الهدية:

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»[(٣)].

وعن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟!! قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح[(٤)] فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: التدوين في أخبار قزوين ١/ ٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ـ٥/ ٣١٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب المكافأة في الهبة (٢٥٨٥).

(٤) **المنائح:** جمع منيحة وهي العطية، وأصلها عطية الناقة أو الشاة وقيل: لا يقال منيحة إلا للناقة وتستعار للشاة. انظر: فتح الباري ٥/ ١٩٩.

من ألبانها فيسقيناه»[(١)].

٢- الضيافة والسكن للدعاة:

فهذا رسول الله ﷺ يقبل الضيافة من أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه حتى يتم بناء المسجد وبناء مسكنه عند هجرته ففي حديث الهجرة الطويل: «فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فقال نبي الله ﷺ: **(أي بيوت أهلنا أقرب)** فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي، قال: **(فانطلق فهيئ لنا مقيلا[(٢)]...)**[(٣)].

٣- القرض الحسن:

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن نبي الله ﷺ كان يقول: (من أقرض الله مرتين كان له مثل أجر أحدهما لو تصدق به)[(٤)].

٤- العارية:

العارية هي: تمليك المنفعة بغير عوض[(٥)]، وقيل: إباحة المنفعة بلا عوض[(٦)].

وقد تكون العارية واجبة في بعض الأحيان إذا احتاج إنسان من أخيه شيء تتوقف عليه حياته، فهنا يجب إعارته إياه، وإذا امتنع يكون آثماً»[(٧)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب(٢٨)، (٢٩٧٢).

(٢) **مقيلاً**: أي مكانا تقع فيه القيلولة. فتح الباري ٧/ ٢٥٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي إلى المدينة(٣٩١١).

(٤) صحيح ابن حبان ١١/ ٤١٨ (٥٠٤٠)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(٥) القوانين الفقهية، ابن جزي، ص٣٧٣.

(٦) مغني المحتاج، لمحمد الخطيب الشربيني ٢/ ٢٦٤.

(٧) التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٩١.

وقد ذم الله تعالى من يمتنعون من إعانة الناس بما لديهم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٧]. قال الطبري: «يمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء منفعته»[(١)].

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الماعون فقال: «هو ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس، والقدر، والدلو»[(٢)].

ويؤيد هذا ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ جاء رجل على راحلته فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: **(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)**، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[(٣)].

فالعارية في كثير من صورها نوع من أنواع التبادل، إلا أن هذا التبادل يقلل كثيراً من الأعباء على الداعية إلى الله تعالى؛ خصوصاً أن هذا التبادل لا يؤثر على المعطي من الناحية المالية فهو يعير الداعية منزله أو سيارته أو آنيته أو كتبه لكي يستفيد منها لفترة معينة أو دائمة على حسب قول الفقهاء، ولكن لا يمتلك عين الشيء.

٥- توفير فرص عمل للدعاة:

توفير فرص عمل للدعاة باب واسع جدًّا، ومتيسر، خصوصاً مع ارتفاع معدلات البطالة، وهذا سينال الأجر بالشفاعة الحسنة والدلالة على الخير.

(١) جامع البيان ٢٤/ ٦٣٤.
(٢) جامع البيان ٢٤/ ٦٣٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال (١٧٢٨).

وهذا ما فعله الرجل الصالح مع موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨].

وكذلك فعل الأنصار مع إخوانهم الدعاة المهاجرين الذين قدموا عليهم من مكة بلا أدنى مال، فحلوا مشكلة انعدام الموارد المالية لديهم عن طريق المزارعة رضي الله عنهم أجمعين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأنصار عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم ما يملكون من نخيل بينهم وبين المهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا)، قالوا: تكفوننا المؤونة، ونشرككم الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا[(١)].

٦- إنظار أو إبراء المعسر من الدعاة أو سداد ديونه:

فقد شرع الله تعالى باباً من أبواب الخير يقوم به الدائن؛ وهو: أن يبرئ المدين مما عليه من مال. ورتب على ذلك الأجر الكبير قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**)[(٢)].

٧- رعاية أسرهم وأهليهم عند غيابهم:

الدعاة إلى الله يقومون بواجبات كثيرة لخدمة دينهم، وهذا ينتج منهم بعض التقصير في رعاية أسرهم، ولذا لا بد من أن يتعاون الدعاة فيما بينهم في رعاية أَسَرِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مئونة النخل أو غيره وتشركني في الثمر (٢٢٠٠).
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقات، باب فضل إنظار المعسر (١٥٦٣).

بعضهم، خصوصاً إذا سافر أحدهم وترك أسرته، فأولاده يحتاجون إلى تربية ورعاية علمية ومعيشية.

وحين يعلم الداعية أن حوله إخوة له سيقومون برعاية وبكفالة أسرته حال غيابه أو حال حصول مكروه له؛ فإن ذلك مما يجعله يُقدم ولا يخاف إلا الله تعالى.

وفي الرعاية الأُسرية نُصح الدعاة لبعضهم عندما يقصرون في حق أهليهم، فقد ورد أن سلمان الفارسي زار أخاه أبا الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما - فرأى أم الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال له: كل، فإني صائم. فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال سلمان: **إن لبدنك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حقٍ حقه.** فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: النبي ﷺ: **(صدق سلمان)**[(١)].

٨ - رعاية بعضهم في طلب العلم:

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...»[(٢)]. فكان كل واحد منهم يفرغ أخاه يوماً ليرتحل إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (١٩٦٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم (٨٩).

فهذه بعض الجوانب التي يمكن من خلالها أن يمكن للدعاة أن يتكافلوا فيها فيما بينهم، ويحصل بها الخير لهم ولدعوتهم.

سابعاً: فوائد التكافل بين الدعاة:

- ✓ قوة الدعاة وترابطهم واستحالة تفككهم وانهيارهم.
- ✓ سدُّ العوز والحاجة والفقر بين الدعاة، فالغني يُعطي الفقير وتُقضى الحوائج دون الشعور بالذل والإهانة.
- ✓ تبادل الخبرات، حيث يعتبر التكافل فعلاً جماعيًّا يشمل العديد من الأشخاص، كل منهم يستفيد من خبرة الآخر.
- ✓ توفير الوقت وتنظيمه وتوفير الجهد في العمل الدعوي.
- ✓ توطيد المحبة والمشاعر الجميلة في النفوس بين الدعاة.

- وسبق ذكر فوائد أخرى في فضل التكافل.

المبحث التاسع
التناصر

من الأمور التي حث عليه الشرع عموماً بين المسلمين وأوجبها عليهم، النصرة للمسلمين، ويزداد الأمر عندما تكون النصرة للدعاة الذين ينشرون دين الله تعالى، وهذا التناصر من المهام والواجبات الدعوية بين الدعاة إلى الله تعالى، لما له من أثر في نجاح الدعوة وخدمة دين الله تعالى.

يتعرض الداعية لعوائق أو لأنواع من الأذى؛ فيجد من إخوانه ما يعينه على تخفيف الأذى ويرفع العدوان.

ونبرز هذا الأمر في النقاط التالية:

☑ أولاً: مفهوم التناصر بين الدعاة:

التناصر لغة:

التَّناصر مصدر قولهم: تناصر القوم إذا نصر بعضهم بعضا وهو مأخوذ من مادَّة (ن ص ر) التي تدلُّ على إتيان خير أو إيتائه. والتَّناصر: التَّعاون على النَّصر.

والنّصر إعانة المظلوم، والأنصار: أنصار النَّبيِّ ﷺ غلبت عليهم الصّفة، فجرى مجرى الأسماء[1].

التناصر اصطلاحا:

يُقصد بالنُّصْرَة: تلك الغَيْرة الإيمانيَّة، التي تدفع المسلم لرفع الظُّلم عن أخيه

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٥ ٤٣٥، وبصائر ذوي التمييز ٥/ ٦٩، والصحاح ٢/ ٨٢٨، ومفردات الراغب ص ٤٩٥.

المسلم المستَضْعف[١].

تناصر المسلمين يراد به: أن يقدِّم كُلٌّ منهم العون لأخيه ليدفع عنه الظُّلم إن كان مظلوماً ويردّه عن ظلمه إن كان ظالماً[٢].

والتناصر بين الدعاة: هو أن يقوم الدعاة بنصرة بعضهم البعض في الحق، ورفع الظلم عنهم، وتصديقهم لبعضهم، وردهم عن ظلم غيرهم.

☑ ثانياً: أهمية التناصر بين الدعاة:

بين الله تعالى في كتابه أنه أخذ العهد على الأنبياء بنصرة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. فهذا من أقوى الأدلة على أهمية نصرة الدعاة لبعضهم البعض.

قال ابن تيمية: «وروي عن غير واحد من السلف - علي وابن عباس وغيرهما- قالوا: لم يبعث الله نبيًّا من عهد نوح إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمدٌ وهو حيٌ ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمدٌ -وهم أحياءٌ- ليؤمنن به، ولينصرنه»[٣].

ومدح الله تعالى المؤمنين الذين ينصرون إخوانهم، ووعدهم بالخير الكبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟

---

(١) هذه أخلاقنا لمحمد الخزندار ص ٥٧.

(٢) ينظر: نضرة النعيم ٤/ ١٢٣١.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٣٥٧- ٣٥٨.

وَنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٤]. «لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض»[١].

وأمر تعالى أن ينصر الدعاة بعضهم خصوصاً إذا طلبوا النصر، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ومن هنا نعلم أن للتَّناصر أهمِّية عظمى في حياة الدعاة، وبدونه يصبح العمل الدعوي مكشوفاً أمام أعدائه معرَّضاً للهزيمة في كلِّ وقت وعلى العكس من ذلك؛ فإنّ التزام الدعاة بنصرة بعضهم البعض يؤدِّي إلى نجاح الدعاة في دعوتهم وظهورهم على عدوّهم تحقيقاً لوعده ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ونصرة الداعية لربّه يكون بتقديم العون لأخيه الداعية، وقيامه بحفظ حدود الله واجتنابه لمعاصيه، وفي هذه الحالة فقط؛ فإنَّ عليه أن يتيقَّن من نصر الله له لأنّ التّناصر تفاعل من الجانبين، فإذا حدث أحدهما حدث الآخر لا محالة.

وممَّا لا يشكُّ فيه كذلك أنَّ نصرة الداعية لأخيه الداعية بتقديم العون له إن كان مظلوماً، وردعه عن ظلمه إن كان ظالماً، يثبّت دعائم العمل الدعوي، فتسود فيه روح التَّعاون والألفة، واحترام الحقوق، والتزام الواجبات، وتكون محصِّلة ذلك مجتمعاً دعويّاً قويّاً متآلفاً لا شحناء فيه ولا بغضاء ممَّا يجعل نسيج الأمَّة كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٧.

إنَّ التَّناصر هو صفة الدعاة أفراداً وجماعات، أمَّا أن ينكفأ كلُّ داعية أو كلُّ جماعة دعوية على شأنها الخاصِّ؛ فإنَّ ذلك كفيل بتعرُّض الدعوة للضَّياع، لأنَّ الدعوة الحقيقية تقتضي تحقيق التَّناصر فيما بين الدعاة بعضهم وبعض.

قال البيهقي: «وإنَّما أُمِر كلُّ واحد بنصرة أخيه المسلم، إذا رآه يُظْلم، وقَدِر على نَصْره؛ لأنَّ الإسلام إذا جمعهما صارا كالبدن الواحد، كما أنَّ أُخوَّة النَّسب لو جمعتهما، كانا كالبدن الواحد، والدِّين أقوى من القرابة، وأولى بالمحافظة عليه منها»(١).

ومتى تخاذَل الدعاة، وتواهَنوا وتفاشَلوا، وصار لكل واحدٍ منهم شأنه وهمُّه، فرَّق العدوُّ جمعَهم، وبدَّد شملَهم، وتسلَّط عليهم، واستباحَ حرمتهم، ومتى تناصر الدعاة حصلت النجاة من الفتنة والفساد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢، ٧٣].

قال ابن جرير: «فبيِّنٌ أنَّ أولى التأويلين بقوله: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾، تأويلُ من قال: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين، تكن فتنة في الأرض»(٢).

يقول البقاعي: «لما ترك بعض العلماء إعانة بعض فإنه حصل ما خَوَّف الله تعالى منه من الفتنة والفساد، حتى صار الأمر إلى ما ترى من علو المفسدين وضعف أهل

(١) شعب الإيمان للبيهقي ١٠/ ٨٤.
(٢) جامع البيان ١٤/ ٨٧.

الدين، فالأمر بالمعروف فيهم في غاية الذل والغربة، يرد عليه أدنى الناس فلا يجد له ناصراً، ويجد ذلك الآخر له على الرد أعواناً كثيرة، وصار أحسن الناس حالاً مع الأمراء وأعظمهم له محبة من يقنع بلومه على فعله ظناً منه أن ذلك شفقة عليه»[١].

☑ ثالثاً: الأحاديث الواردة في التناصر بين الدعاة:

وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تبين أهمية التناصر بين المسلمين عامة، ومن باب أولى يدخل في ذلك التناصر بين الدعاة إلى الله تعالى فهم أشد الناس حاجةً للتناصر فيما بينهم، حيث إن هدفهم وعملهم واحدٌ فيتطلب منهم هذا الأمر.

ومن تلك الأحاديث:

١- أحاديث تأمر أمراً مباشراً بالتناصر:

عن أنس رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)** فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: **(تحجزه أو تمنعه من الظّلم، فإنّ ذلك نصره)**[٢].

قال العلائي: «وسمِّي رَدُّ المظالم نَصْراً؛ لأنَّ النَّصْر هو العون، ومنع الظَّالم عون له على مصلحته، والظَّالم مَقْهور مع نفسه الأمَّارة، وهي في تلك الحالة عاتية عليه، فردُّه عونٌ له على قَهْرها، ونُصْرةٌ له عليها»[٣].

٢- أحاديث تبين فضل التناصر وعظم أجره:

وعن أنسٍ رضي الله عنه **قال:** قال ﷺ: **(من نَصَر أخاه بظَهْر الغيب، نَصَره الله في الدُّنْيا**

---

(١) نظم الدرر٣/ ٢٥٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: أعن أخاك ظالما أو مظلوما (٢٤٤٣) واللفظ له، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٨٤).

(٣) فيض القدير ٥/ ٨٠٥.

والآخرة)[(١)]، فالنصر للدعاة الذين يتناصرون يكون في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال رسول الله ﷺ، في الحديث القدسي: **(وحقَّت محبَّتي للَّذين يتناصرون من أجلي، وحقَّت محبَّتي للَّذين يتصادقون من أجلي)**[(٢)]، فبين أن محبة الله تعالى للذين يتناصرون في سبيل الله تعالى.

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: (من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقًّا على الله** عز وجل **أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة)**[(٣)].

«وذلك لأن عِرْضَ المؤمن كدَمِهِ، فمن هتك عرضه فكأنه سفك دمه، ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة»[(٤)].

٣- أحاديث تبين أهمية التناصر:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ: **(ما من امرئ يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته)**[(٥)].

---

(١) مسند الشهاب ١/ ٢٨٨ (٤٧٣- ٤٧٥)، السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٦٨ (١٦٤٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٧٤).

(٢) مسند أحمد ٣٢/ ١٨٤ (١٩٤٣٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) مسند أحمد ٤٥/ ٥٢٤ (٢٧٥٣٦) وقال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره، وجامع الترمذي في الجامع في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم (١٩٣١) وحسنه الألباني.

(٤) فيض القدير ٦/ ١٣٥.

(٥) سنن أبي داوود في السنن كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة (٤٨٨٤)، والسيوطي في جامع الأصول ٦/ ٥٦٩، وقال شعيب الأرناؤوط محقق الجامع: وهو حديث حسن بشواهده.

وعن سهل بن حنيف؛ عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: **(من أذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذلَّه الله ﷻ على رءوس الخلائق يوم القيامة)**(١).

٤- أحاديث تبين أن التناصر من حقوق الأخوة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم، لا يَظْلِمه، ولا يُسْلِمه..)(٢)، وفي رواية: **(ولا يخذله)**(٣).

فقوله: (ولا يُسْلِمه..) قال ابن حجر: «أي: لا يتركه مع من يُؤذيه، ولا فيما يُؤذيه، بل يَنْصُره، ويدفع عنه»(٤).

وقوله ﷺ: (ولا يخذله)، قال النووي: «الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **(المؤمِنُ مرآةُ المؤمِن، والمؤمنُ أخو المؤمِن، يكفُّ عليه ضَيعتَه، ويحُوطُه من ورائه)**(٦)، أي: «يحفظه ويصونه ويذب عنه ويدفع عنه من يغتابه أو يلحق به ضرراً ويعامله بالإحسان بقدر الطاقة والشفقة والنصيحة، قال بعض العارفين: كن رداءاً وقميصاً لأخيك المؤمن وحطه من ورائه

(١) مسند أحمد في المسد ٢٥/ ٣٦١ (١٥٩٨٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥٢٦: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة الآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٢٥٦٤).

(٤) فتح الباري ٥/ ٩٧.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٢٠.

(٦) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة (٤٩١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٣٢).

واحفظه في نفسه وعرضه وأهله فإنك أخوه بالنص القرآني فاجعله مرآة ترى فيها نفسك فكما يزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرآة فأزل عنه كل أذى به عن نفسه»[١].

وعن عمرو بن شُعيبٍ عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **(المسلِمون تتكافأُ دماؤهم، ويَسعَى بذِمَّتهم أدناهم، ويُجيرُ عليهم أقصاهُم، وهُم يدٌ على من سواهم)**[٢]، «فإن معنى اليد المعاونة والمظاهرة إذا استنفروا وجب عليهم النفير وإذا استنجدوا انجدوا ولم يتخلفوا ولم يتخاذلوا»[٣].

☑ رابعاً: نموذج للتناصر بين الدعاة:

ورد في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه طلب من ربه من ينصره في دعوته، قال تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢].

فقوله: ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ وقوله: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ «دليل على أهمية التناصر بين الدعاة، فليس المقصود منه أن يقول هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ: هو صادق بمجرد لسانه، لأن ذلك يستوي فيه الفصيح وذو الفهاهة[٤]، وإنما يكون مصدقاً بما عُرِفَ عن هذا الردء والمعين من العقل والرزانة وقوة الحجة والبيان، فيحصل ببيانه وقوة موقفه الخضوع والانقياد والتسليم ورد الخصوم المجادلين. فالمصدق يبسط بلسانه

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢٥٢.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٢٦٨ (٩٦٠) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وسنن ابن ماجه، كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم (٢٦٨٣)، وأبو داوود في كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر (٢٧٥٣).

(٣) معالم السنن ٢/ ٣١٤.

(٤) ذو الفهاهة: العيي في الكلام، ثقيل اللسان فيه. المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٤.

ويفصح ببيانه ويجادل أهل الباطل، ولهذا قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذات السياق في مسوغات الترشيح: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾»[1].

فالدعاة في حاجة إلى من ينصرهم ويقف معهم خصوصا في الشدائد، ولذا قال الله تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾.

وهذا **عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلب أن يكون له أنصار من قومه، فقال حواريوه نحن أنصارك، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وامتدح الله فعلهم وأمر به في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

وهذا **صاحب ياسين** يقول عنه الله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٤]، وقال الله عنه: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠].

ويقول الله عن **مؤمن آل فرعون**: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

ولقد كان **رسول الله** ﷺ يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى أن يمنعوه ويحموه؛ ليبلغ دعوة الله، ويبين للناس ما نزل إليهم. وكان مما يقول: **(يا بني فلان، إني**

---

(١) محاسن التأويل ٨/ ١٠٥.

رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا وتمنعوا، حتى أبين عن الله ما بعثني)[(١)].

وكان **أبوبكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صدِّيقاً ففي حادثة الإسراء كان أول المصدقين له حيث قال: «إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدقه في بيت المقدس»[(٢)].

وعبدالله بن عمرو بن العاص قال: بَيْنا رسول الله ﷺ يصلِّي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨][(٣)].

وهذا ما فعله أهل المدينة مع رسول الله ﷺ ومع إخوانهم المهاجرين، حتى لقبوا **بالأنصار**، قال تعالى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وبهذا يشعر الداعية بالقوّة ونزع شعور العجز من نفسه، ومواجهة الأخطار المحدقة به وبالدعوة حتى يبلغ دعوة الله على أكمل وجه.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣١، ٣٢، البداية والنهاية ٣/ ١٣٨ - ١٤١، وأخرجه ابن أبي عاصم (٩٦٢)، وعبد الله بن الإمام أحمد (٣/ ٤٩٣)، وأبو القاسم البغوي ٧٦٣، وأبو نعيم في الصحابة (٢٧٥٩)، والطبري في التاريخ ٢/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٨١ (٤٤٥٨)، وعبد الرزاق في المصنف ٥/ ٣٢١، والآجري في الشريعة (١٠٣٠)، وانظر: الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٥٥٢ (٣٠٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: **(لو كنت متخذاً خليلاً)** (٣٦٧٨).

خامساً: فوائد التناصر بين الدعاة:

١- الداعية الذي يَنْصُر أخاه الداعية يَنْصُره الله، والجزاء من جنس العمل، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُسخر له من يقف إلى جانبه وينصره في الدُّنْيا، ويتولَّاه الله في الآخرة.

٢- في التناصر بين الدعاة إحقاق الحقِّ ورفع الظُّلم عن المظلوم.

٣- في التناصر بين الدعاةُ يعلي جانب المؤمنين ويُقوي إيمانهم وثباتهم على الحق.

٤- التناصر بين الدعاة يُقوى شوكة المؤمنين ويمتنعون من أعدائهم.

٥- التناصر بين الدعاة سبب في تكوين المجتمع الدعوي القويّ المتعاون.

٦- التناصر بين الدعاة يفشي المحبَّة والألفة بينهم.

٧- التَّناصر بين الدعاة يساعد على انتشار الحقِّ وهزيمة الباطل.

المبحث العاشر
التناصح

من الواجبات المهمة كذلك بين الدعاة التناصح فيما بينهم بأن يدل كل واحد منهم أخاه على الحق، ويخرجه من الحيرة، وينقذ من المأزق والهلكة، بالنصيحة.

ويمكن بيان هذا الأمر في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم التناصح:

النصيحة لغة: هي الاسم من النُّصح، وكلاهما مأخوذ من مادَّة (ن ص ح) التي تدلُّ على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما.

ومن المادَّة النُّصح، والنَّصيحة: خلاف الغشِّ، يقال: نصحته أنصحه، نصح الشَّيء: خلص والنَّاصح الخالص من العمل وغيره.

والنُّصح: الإخلاص والصِّدق في المشورة والعمل.

فالنَّصيحة كلمة يعبَّر بها عن جملة، هي: **إرادة الخير للمنصوح له**(١).

واصطلاحاً: كلمة جامعة تتضمَّن قيام النَّاصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا، وتشمل النَّصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم(٢).

وقال الجرجانيُّ: هي الدُّعاء إلى ما فيه الصَّلاح والنَّهي عمَّا فيه الفساد(٣).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٥/ ٤٣٥، ولسان العرب ٧/ ٤٤٣٨. والصحاح ١/ ٤١٠، ٤١١. والمصباح المنير ٢/ ٢٧٦، المفردات للراغب ص٤٩٤.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٧٦.

(٣) التعريفات ص٣٦٠، وإلى مثل هذا ذهب المناوي في التوقيف ص٣٢٥.

ثانياً: أدلة التناصح بين الدعاة:

الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

عن أبي مدينة الدارمي، قال: «كان الرجلان من أصحاب محمد ﷺ إذا التقيا، ثم أرادا أن يفترقا، قرأ أحدهما: والعصر إن الإنسان لفي خسر حتى يختمها، ثم يسلم كل واحد منهما على صاحبه»[1].

عن تميم الدَّاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(الدِّين النَّصيحة)**. قلنا: لمن؟ قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم)**[2].

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بايعت النَّبيَّ ﷺ على إقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والنُّصح لكلِّ مسلم»[3].

وقال الخطابي: «جعل رسول الله ﷺ النَّصِيحَة للمسلمين شرطاً في الذي يبايع عليه كالصلاة، والزكاة، فلذلك تراه قرنها بهما»[4].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رسول الله ﷺ: (حق المسلم على المسلم ست) قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: **(إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**[5].

---

(١) الزهد لأبي داوود ص٣٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: **(الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** (٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٦).

(٤) إعلام السنن للخطابي ١/ ٥٥.

(٥) تقدم تخريجه.

فقوله: (وإذا استنصحك فانصح له) أي: «إذا استشارك في عمل من الأعمال: هل يعمله أم لا، فانصح له بما تحبُّه لنفسك»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: **(المؤمِنُ مرآةُ المؤمِن، والمؤمنُ أخو المؤمِن، يكفُّ عليه ضَيعتَه، ويحُوطُه من ورائه)**[(٢)].

قال المناوي: «أي: يبصر من نفسه بما لا يراه بدونه، ولا ينظر الإنسان في المرآة إلا وجهه ونفسه، ولو أنه جهد كلَّ الجهد أن يرى جرم المرآة لا يراه؛ لأنَّ صورة نفسه حاجبة له، وقال الطيبي: إنَّ المؤمن في إراءة عيب أخيه إليه، كالمرآة المجلُوَّة التي تحكي كلَّ ما ارتسم فيها من الصور، ولو كان أدنى شيء، فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء حاله تعريفات، وتلويحات، فإذا ظهر له منه عيب قادح كافحه، فإن رجع صادقه، وقال العامري: معناه كن لأخيك كالمرآة تريه محاسن أحواله، وتبعثه على الشكر، وتمنعه من الكبر، وتريه قبائح أموره بلين في خفية، تنصحه ولا تفضحه»[(٣)].

ثالثاً: أقوال السلف في التناصح بين الدعاة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي»[(٤)].

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: «لا نزال بخير ما كان في الناس من ينكر علينا»[(٥)].

وعبدالرحمن بن يزيد قال: قال لي بلال بن سعد: «بلغني أن المؤمن مرآة أخيه فهل تستريب من أمري شيئاً»[(٦)].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار ص١١٢.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فيض القدير ٦/ ٢٥١.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٩٥٠.

(٦) الزهد لابن المبارك ص٣٨٥.

وعند عمر بن عبدالعزيز قوله: «من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه»(١).

وكان الحسن البصري يحث على هذا الخلق، ويلهج في تزيينه، حتى جعله ثلث العيش، فقال: «لم يبق من العيش إلا ثلاث: أخ لك تصيب من عشرته خيراً، فإن زغت عن الطريق قوَّمك، وكفاف من عيش ليس لأحد عليك فيه تبعة وصلاة في جمع، تُكفى سهوها، وتستوجب أجرها»(٢).

ويقول أيضاً: «المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه ما لا يعجبه سدده وقومه وحاطه وحفظه في السر والعلانية، فثقوا بالأصحاب والإخوان والمجالس»(٣).

وقال: «ما زال لله تعالى نصحاء، ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حقِّ الله، ويعملون لله تعالى في الأرض بالنَّصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض»(٤).

ويقول عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو نسوا فذكروهم»(٥).

ويروى عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «مثل المسلم وأخيه كمثل الكفَّين تنقي إحداهما الأخرى»(٦).

وقال أبو نصر العياضي: «ترك النصيحة يورث الفضيحة»(٧).

---

(١) المتحابين في الله لابن قدامة ص٨١.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٦٢٦.

(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا ص ١٣١.

(٤) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٦٧، ٦٨.

(٥) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٦.

(٦) ينظر: الجامع في الحديث لابن وهب ١/ ٢٩٨، وتاريخ مدينة دمشق ٢١/ ٤٤٤، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين للحداد ٣/ ١١٠٥ (١٦٠٢).

(٧) طبقات الحنفية ١/ ٧٠.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «من عرف منه أنَّه أراد بردِّه على العلماء النَّصيحة لله ورسوله، فإنَّه يجب أن يعامل بالإكرام والاحترام والتّعظيم كسائر أئمَّة المسلمين الذين كان يردّ على المخطىء منهم، ومن عرف أنَّه أراد بردِّه عليهم التَّنقيص والذَّمِّ وإظهار العيب، فإنَّه يستحقُّ أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرَّذائل المحرَّمة»[1].

رابعاً: أهمية التناصح بين الدعاة:

فتناصح الدعاة فيما بينهم وقبول نصح الداعية لأخيه الداعية بسرور وفرح وشكر له على ذلك من أعظم ما يقوي علاقة الدعاة فيما بينهم.

وبالتناصح يتكامل الدعاة، ويسدد بعضهم بعضاً، ويترقَّوْن في درجات الكمال.

والتناصح بين الدعاة دليل حبِّ الدعاة الخير لبعضهم، وبغض الشرِّ لبعضهم.

والتناصح بين الدعاة دليل على تعظيم الدعاة الأمانة التي كلفوا بها، ورغبتهم الشديدة في نشر هذا الدين على الوجه الصحيح.

والتناصح بين الدعاة يقوي شوكة الدعاة؛ ويجعلهم مترابطين.

وبالتناصح بين الدعاة تصلح المجتمعات؛ فإذا نصح الدعاة لبعضهم البعض كانوا أقدر على النصيحة لغيرهم ففاقد الشيء لا يعطيه.

بالتناصح بين الدعاة تحل الرحمة، والوداد مكان القسوة والشقاق.

التناصح بين الدعاة من أهم وسائل تقويم وتقييم العمل الدعوي، على مستوى الفرد أو الجماعة، فالتناصح مطلوب بين أفراد الدعاة وبين المؤسسات الدعوية الرسمية منها والأهلية.

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ص٣٦ بتصرف يسير.

خامساً: صور من التناصح بين الدعاة:

- التناصح بين الدعاة فيما يعود نفعه عليه، في الدنيا والآخرة، أي شمولية التناصح لأمور الدين والدنيا ولليس فقط أمور الدين.
- التناصح بين الدعاة فيما يكون نفعه متعدٍّ للمدعوين، كاختيار المنهج السديد في القول والوسيلة والأسلوب.
- التناصح ببيان أخطائهم بأسلوب يحفظ لهم كرامتهم، ويعينهم على القبول.
- التناصح بالتبصير بالواقع الدعوي والمدعويين واحتياجاتهم.
- التناصح بالتطوير المستمر في الجانب العلمي والمهاري الذي يخدم الدعوة.
- التناصح بدعوتهم للاطلاع على الجديد من المحاضرات والأفكار والتوجيهات والكتب، والبرامج التي تسهم في تميزهم الدعوي.

سادساً: نماذج من التناصح بين الدعاة:

فقد بين الله تعالى في قصة موسى نصيحة الرجل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالخروج من المدينة حتى لا يقتل، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

«انظر كيف جمعت هذه الآية صفات الدعاة الناصحين: حرص على مصلحة الناس، ودفع ما يضرهم، ويتحملون التعب والمشقة من أجلهم، ويقترحون الحلول المناسبة لحل المشاكل»[١].

وموسى عليه الصلاة والسلام ينصح رسول الله ﷺ في حادثة الإسراء عندما فرض الله عليه خمسين صلاة، ففي الحديث: **(ثمَّ فرضت عليَّ الصَّلاة خمسين صلاة**

---

(١) سلسلة ليدبروا آياته- مركز تدبر.

كلّ يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كلّ يوم. قال: إنّ أمّتك لا تستطيع خمسين صلاة كلّ يوم. وإنّي والله قد جرّبت النّاس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربّك فاسأله التّخفيف لأمّتك، فرجعت، فوضع عنّي عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضع عنّي عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضع عنّي عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فأمرت بعشر صلوات كلّ يوم. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كلّ يوم. فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كلّ يوم. قال: إنّ أمّتك لا تستطيع خمس صلوات كلّ يوم. وإنّي قد جرّبت النّاس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربّك فاسأله التّخفيف لأمّتك. قال: سألت ربّي حتّى استحييت، ولكن أرضى وأسلّم. قال: فلمّا جاوزت نادى مناد. أمضيت فريضتي، وخفّفت عن عبادي)[١].

وعن هارون بن عبد الله الحمَّال قال: جاءني أحمد بن حنبل بالليل فدقَّ عليَّ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد، فبادرت أن خرجت إليه، فمسَّاني ومسَّيته، قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي، قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟ قال: جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس[٢].

وعن حميد بن هلال، قال: أُوخِيَ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فسكن أبو الدرداء بالشام، وسكن سلمان الكوفة، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: سلام عليك، أما بعد: فإن الله قد رزقني بعدك مالا وولدا، وأنزلت الأرض المقدسة. قال: فكتب

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب المعراج (٣٨٨٦٧).

(٢) الأنساب للسمعاني ٤/ ٢٢٩.

سلمان إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنك كتبت إلي أن الله رزقك بعدي مالاً وولداً، وإن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يعظم حلمك، وأن ينفعك علمك، وكتبت إلي بأنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض لا تعمل لأحد، فاعمل كأنك تُرَى، واعدد نفسك في الموتى[١].

سابعاً: تنبيهات حول التناصح بين الدعاة:

من أهم التنبيهات حول التناصح بين الدعوة هو:

١- الحرص على النصيحة لا الفضيحة والتعيير، «قال معمر: كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك. وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرًّا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبَّخه، المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير»[٢].

٢- ليحذر الداعية الناصح أن يتغير قلبه على أخيه الداعية المنصوح بمقدار شعرة، وليحذر أن يشعر بانتقاصه، أو بتفضيل نفسه عليه، ويحاول ألا ينقص حبه لأخيه الداعية وتقديره إياه مودته له.

٣- وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة، فإن مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب.

٤- أن تكون النَّصِيحَة بالرفق واللين، والأسلوب الحسن، مع انتقاء الألفاظ المحبَّبة، وعدم استخدام الأساليب المنفِّرة، قال تعالى: و﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) الزهد لأبي داوود ص ٢٣٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٤.

٥- حتى لا يواجه الأخ أخاه الداعية بالنصيحة ويكون فيها إحراج للمنصوح، يمكن استخدم الرسائل العامة.

٦- ليس من المهم أن يقوم الداعية بنصيحة أخيه الداعية مباشرة، بل يمكنه تكليف من يقوم بالنصيحة إذا كان أقدر عليها، فالمنصوح قد يقبل من شخص دون آخر.

٧- من أهم الأمور التي تجعل الدعاة يتقبلون النصيحة من بعضهم، هو الحب في الله والعلاقة الطيبة بين الدعاة، فلا بد من العمل على تقوية العلاقات الأخوية بين الدعاة حتى تنفتح القلوب لسماع والتزام النصيحة.

المبحث الحادي عشر
التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات

من الواجبات المهمة التي تكون بين الدعاة التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات، على مستوى الأخطاء تجاه الدعاة مع بعضهم، أو على مستوى الأخطاء والاجتهادات الدعوية، أو على مستوى المؤسسات.

ولبيان هذا الأمر نتطرق للنقاط التالية:

أولاً: مفهوم التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

التَغَافَر بين الدعاة: أن يقول الداعية لأخيه الداعية المخطئ رب اغفر لي ولأخي.

أما التغافل بين الدعاة: هو: إعراض الداعية عن قول أو فعل صدر من أخيه الداعية وهو متيقن غرضه السيء منه، ومقابلة ذلك بالتحلم والتسامح في التعامل معه.

فالمتغافل من الدعاة: من يتعمد الغفلة عن أخطاء وعيوب إخوانه الدعاة، مع أنه مدركٌ لها وعالمٌ بها، وكذلك يتغافل عن ما يقع أمامه من المواقف المحرجة للبعض، فمن حسن الخلق التغافل عن ذلك وعدم إشعار صاحب الموقف بأنه شوهد أو شُعِر به[(١)].

أما التعاذر بين الدعاة فهو: هو أن يلتمس الداعية لأخي الداعية العذر في فعل أو قول جانب فيه الصواب سواء في حق إخوانه الدعاة أو في حق دعوته.

وأما إقالة عثرات فالمقصود به: غض الطرف عن أخطاء المخطئين من الدعاة ما دام طريقا لاستصلاحهم.

(١) التغافر والتغافل سياج الأخوة د. محمد أبو غدير- مقال منشور على نافذة مصر بتصرف يسير.

ثانياً: أدلة عامة في التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

هناك أدلة عامة تدل على فضل وأهمية التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فقوله: «﴿وَلْيَعْفُوا﴾ أي عن زللهم بأن يمحوه ويغطوه بما يسلبونه عليه من أستار الحلم حتى لا يبقى له أثر.

ولما كان المحو لا ينفي التذكر قال: ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي: يعرضوا عنه أصلاً ورأساً، فلا يخطروه لهم على بال ليثمر ذلك إحسان، ومنه الصفوح وهو الكريم»[(١)].

وقد بين الله تعالى أنه يتولى إثابة المتسامحين ومنحهم الأجر وهو الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وبين القرآن أننا لا بد من أن نتغافر ونتغافل ونتعاذر ونقيل العثرات عن أخطاء إخواننا الدعاة لأن المسلم يوزن بسيئاته وحسناته معاً، فأيهما غلب كان الحكم له، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقال النبي ﷺ: (ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)[(٢)]، قال النووي: «فيه وجهان: أحدهما أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك»[(٣)].

---

(١) نظم الدرر ٥/ ٢٤٠٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٤١.

ثالثاً: الأدلة الخاصة في التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات بين الدعاة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال ﷺ: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[١].

«قال الشافعي في تفسير ذوي الهيئة: هو من لم يظهر منه ذنبه. وقال ابن الملك: الهيئة الحالة التي يكون عليها الإنسان من الأخلاق المرضية. وقال القاضي: المراد بذوي الهيئات أصحاب المروءات والخصال الحميدة، وقيل: ذوو الوجوه بين الناس، وقيل: والمعني بهم الأشراف، وقيل: أهل الصلاح والورع»[٢].

قال ابن القيم: «وإقالة ذوي الهيئات باب من أبواب محاسن الشريعة الكاملة وسياستها للعالم، وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد»[٣].

وأولى وأحرى من يدخل في ذوي الهيئات، العلماء، وطلبة العلم، وأهل التقوى والصلاح، فليحذر أولئك الذين سخَّروا أقلامهم وألسنتهم، بتتبعهم عورات، وزلاَّت وهفوات العلماء، وطلبة العلم؛ المشهود لهم بالتمسك بالسنة، والتقوى والصلاح، والزهد في الدنيا.

وقد نهانا النبي ﷺ عن تتبع العورات، فعن عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: (يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤٢/ ٣٠٠ (٢٥٤٧٤)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث جيد بطرقه وشواهده.

(٢) مرقاة المفاتيح ٦/ ٢٣٤٣.

(٣) بدائع الفوائد٣/ ١٣٩.

(٤) مسند أحمد٣٣/ ٢٠ (١٩٧٧٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وسنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب الغيبة (٤٨٨٠) وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **(ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)**[(١)].

قال النووي: «وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد»[(٢)].

○ رابعاً: قصة موسى وهارون ودلالتها على التغافر والتعاذر وإقالة العثرات:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠، ١٥١]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤].

وهذه القصة تدل على أهمية التماس العذر للدعاة في مواقفهم الدعوية وأن يدعو كل داعية لأخيه بالمغفرة، على التقصي أو الإساءة، وللأخ أن يعاتب أخاه المسلم، ولكن بعيدا عن سمع المتربصين بالإسلام، وشماتتهم.

قال الجشمي: «تدل الآية على أن الأمر بالمعروف قد يسقط في حال الخوف على النفس، وفي الحال الذي يعلم أنه لا ينفع»[(٣)].

(١) تقدم تخريجه ص٢٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٣٥.

(٣) التهذيب في التفسير للجشمي ٤/ ٢٧٢٨.

وقال الزمخشري: «لما اعتذر إليه أخوه، وذكر له شماتة الأعداء قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ [الأعراف: ١٥١]. ليرضي أخاه، ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه، فلا تتم لهم شماتتهم، واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة، وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته، ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة»[١].

وهذا يدل على ندم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير.

وموقف هارون كذلك أنه لم يقابل موسى بمثل ما قابله به بل التمس العذر لأخيه في غيرته على الدين، وبين له السبب ولم يعاتبه فيما صدر منه من أذية قبل معرفة السبب.

○ خامساً: التطبيق العلمي للنبي ﷺ في التغافر وإقالة العثرات:

وبهذا المنهج عامل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما كتب لكفار قريش عن تحرك جيش المسلمين لغزوهم، فقال رسول الله ﷺ: **(يا حاطب ما هذا؟)**، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(لقد صدقكم)**، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ: **(إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)**[٢].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢/ ١٦٢، وانظر: محاسن التأويل ٥/ ١٨٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٢٤٩٤).

وعن هذه الواقعة قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثيراً ظاهراً، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، ويُعْفَى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل، فإنه لا يحتمل أدنى خبث.. فدل ذلك على أن مقتضى عقوبة حاطب قائم لكن منع من ترتيب أثره عليه لما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات»[١].

مع التنبيه إلى أن: «إقالة العثرة ليس إقراراً للباطل، ولكنها إنقاذٌ للواقع فيها، فحق لمن غلط أو زل أن يسمع كلمة صائبة، وأن يستضيء بشمعة أمل، من أجل أن يرجع إلى الجادة، ويسير مع الأخيار من الصحاب»[٢].

إن إقالة عثرة الدعاة، والعفو عن الخطأ والزلة الواقع منهم، ليس إقراراً لخطئه، ولا تهوينا من زلته، ولكنها -مع الإنكار عليهم ومناصحتهم- إنقاذ لهم بالأخذ بأيدهم ليستمروا في سيرهم إلى الله، وعطائهم لدين الله.

○ سادساً: السلف والتغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

ورد عن السلف -رحمهم الله- تطبيقٌ عملي لهذا الأمر، ومن ذلك:

ذكر ابن الجوزي عن ميمون بن مهران أنه قال: سمعت ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة»[٣].

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٦.
(٢) نظرات في الدعوة ومسالك الدعاة للشيخ صالح بن حميد، خطبة منشورة على موقع إسلام ويب.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٨٥.

فقد ورد أن صديقاً حدث له ما يغضبه من ابن السماك فقال له: الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب، فرد عليه ابن السماك رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «بل بيني وبينك غداً نتغافر»[(١)].

وعن حميد الطويل عن أبي قلابة قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه»[(٢)].

وعن ابن المديني قال: سمعت سفيان يقول: كان ابن عياش يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر فقال: «يا هذا لا تفرط في شتمنا، وأبق للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[(٣)].

حفظُ مقادير العلماء والدعاة واجبٌ شرعيٌّ، ولا يجوز أن تسقط مكانتَهم أو تهدر محامدَهم لزلةٍ عابرةٍ أو فلتةٍ عارضة، فالعبرةُ بكثرة المحاسن، قال الحافظ ابن رجب: «والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»[(٤)].

وقال الفضيل بن عياض: «لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما أدرك بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصح للأمة»[(٥)].

وعن الزهري زهري فقال: حدَّثني عروة أنَّ المسور بن مخرمة أخبره أنه وفد على معاوية، فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال: يا مسور! ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن. قال: لا والله! لتكلِّمني بذات نفسك بالذي تعيب عليَّ. قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبُه عليه إلا بيَّنتُ له. فقال: لا أبرأ من الذنب. فهل تعُدُّ لنا يا

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٣٢٤.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥.
(٣) حلية الأولياء ٥/ ١١٣.
(٤) قواعد ابن رجب ص٢.
(٥) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٤٣٩.

مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامَّة، فإنَّ الحسنة بعشرة أمثالها، أم تعدُّ الذنوب وتترك المحاسن؟ قال: ما تُذكر إلا الذنوب. قال معاوية: فإنَّا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه؛ فهل لك يا مسور ذنوبٌ في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم تغفر؟ قال: نعم. قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أُخيَّر بين أمرين، بين الله وبين غيره، إلا اخترتُ الله على ما سواه، وإني على دين يُقبَل فيه العمل ويُجزَى فيه بالحسنات، ويجزَى فيه بالذنوب، إلا أن يعفو الله عنها. قال: فخصمني. قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلَّى عليه(١).

التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات عن الأخطاء بين الدعاة ضرورة لسلامة الصدر ونقاء القلب، امتلاؤه إيماناً ويقيناً وتقوى ومحبة ورحمة، وخُلوُّه من كل غلٍّ وحسد وحقد على الدعاة.

○ سابعاً: خطورة عدم التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات بين الدعاة:

وقال الشيخ السعدي: «وتتبُّعُ العثرات وإشاعةُ الزلات وكتمانُ الصالحات؛ آفةٌ خطيرةٌ تدل على ضعف الديانة وقلة المروءة»(٢).

وقد استعاذ النبي ﷺ من: (خليل ماكر عينه تراني وقلبه يرعاني، إذا رأى حسنة دفنها، وإذا رأى سيئة أذاعها)(٣).

والإمام الشعبي يقول: «لو أصبت تسعاً وتسعين، وأخطأت واحدة، لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين»(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥١. وصلى عليه أي دعا له.

(٢) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار ص (١٠١-١٠٢).

(٣) الدعاء للطبراني رقم (١٣٣٩)، وقال الألباني: إسناده جيد، السلسلة الصحيحة رقم (٣١٣٧).

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٣٢١-٣٢٠.

وعندما تتبّع الحميدي بعض أخطاء الشافعي عتب عليه أحمد بن حنبل قائلاً: «تمرُّ مائة مسألة يخطئ خمساً أو عشراً، اترك ما أخطأ وخذ ما أصاب»[١].

«إنَّ تربيةَ الشباب على التخوّض في أعراضِ الدعاةِ وتتبُّعِ زلاتهم، من الآفات التي أثقلت المسيرةَ الدعوية وأوجدت بيئة خصبة للتعانف اللفظي والتفرق والتنازع لأي سبب عارض»[٢].

والداعية صاحبُ الدين والعقل والمروءة الذي تصلح صحبته، هو الداعيةَ الناصح لإخوانه، الذي ينأى بنفسه عن الجدلِ ويتورع عن القيل والقال ويحبس لسانه عن فضول المنازعات وتتبع العثرات.

وعدم التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات يؤدي إلى أمرين خطيرين:

١- الشماتة بالدعاة ودعوتهم، فيكون التنافر والتنابز مجلبة لازدرائهم؛ حيث يجد المتربصون بالدعوة فرصة عظيمة للنيل من أصحابها والشماتة بهم، كما قال هارون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أخذ برأسه: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٢- ابتعاد المدعوين عن الدعوة، والنفرة من أصحابها لعدم اتفاقهم في الدعوة أو عدم مراعاة آداب الخلاف.

○ ثامناً: كل ابن آدم خطاء فلابد من التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

لقد قرر النبي ﷺ ذلك بقوله: (كل بني آدم خطاءٌ، وخير الخطائين التوابون)[٣].

(١) طبقات الشافعيين لابن كثير ١/ ٤٠.

(٢) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف- أحمد بن عبدالرحمن الصويان- مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٣٢٥١) وحسنة الألباني.

فالخطأ صفة ملازمة للبشر لا ينجو منه أحد إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، ولقد صدر الخطأ عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وكذا العلماء والأولياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس من شرط أولياء الله المتقين ترك الصغائر مطلقاً، بل ليس من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه توبة»[(١)].

وإذا كان لا عصمة لبشر فمن مصلحة الجميع أن يتغافل ويتغافر بعضهم عن ذنوب بعض حتى تتصافى القلوب وتطيب النفوس وتبقى الأخوة الصادقة على قلب رجل واحد لتقيم شرائع الإسلام ومناهجه.

فطالما أن كل واحد من الدعاة قد يقع في الخطأ، فالكل يحتاج إلى من يعينه ويأخذ بيده، وكثيراً ما يقع الخطأ من غير قصد أو عمد، وحين نقيل العثرة نكون عونا لإخواننا على تجاوزها والتوبة منها. ورحم الله ذاك الرجل من السلف فقد وقع صديق له في زلة ومعصية، فظل هذا الرجل معه ولم يقطعه، فعاتبه الناس على ذلك، وقالوا له: ألا تقطعه وتهجره وقد فعل ما فعل؟ فقال: «إنه أحوج ما يكون لي الآن، إنه وقع في عثرته وأنا آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه»[(٢)].

وقيل: «إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى، وقيل: لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٦.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٤.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٤ باختصار.

تاسعاً: من فوائد التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات:

١- الستر على الدعاة:

التغافر والتغافل وسيلة فعالة لستر العيوب والأخطاء، وغلق أبواب الإشاعات وحماية أعراض الدعاة، قال النبي ﷺ: (ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[(١)].

«قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمرُ بالمعروف: اجتهد أن تسترُ العُصَاةَ، فإنَّ ظهورَ معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب»[(٢)].

٢- حفظا للعلم والدعوة:

فلو أننا أسقطنا العالم أو الداعية بسبب خطأ وقع فيه، هل سيبقى أحدٌ من العلماء أو الدعاة في القديم أو الحديث؟ يقول ابن القيم: «لو كان كل من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأُهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات والحكم، وتعطلت معالمها»[(٣)].

ومن أعلى المقامات في ذلك ما روي عن الإمام النووي قوله: «فقد كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني[(٤)]، وهذا ليستطيع أن يقبل منه العلم ولا يجده على هيئة تنفره من شيخه.

٣- تحول العداوة إلى صداقة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) جامع العلوم والحكم ٣/ ١٠١٢.

(٣) مدارك السالكين ٢/ ٣٩.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ص٣٨.

إنّ مجتمع الدعاة لا ينبغي أن تقوم فيه المعاملة بين أفراده على المؤاخذة والمحاسبة والانتصار للذات، والانتصاف لها في كل صغيرة وكبيرة، وإنما ينبغي أن تقوم فيه المعاملة على المسامحة والتغاضي والصفح والصبر، وهذا ما دعت إليه نصوص الشرع.

٤- التآلف:

إن التغافر والتغافل من أهم الحصون الواقية للعلاقة بين الدعاة من التصدع، فبها نحافظ على ألفة القلوب التي هي من أجلّ نعم الله تبارك وتعالى على عباده، قال تعالى ممتناً على عباده مخاطباً: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

إن التغافر بين الدعاة يُظلل الدعوة بظلال الإيمان، ويحل المجتمع الدعوي السلام، ويملأ قلوب الدعاة بالوئام، ويحقق بين القلوب التآلف والانسجام، ويمنح الدعاة صحة نفسية، ويجنبهم الاضطرابات الشخصية والنفسية، ويكفي الدعوة شر الصراعات والأحقاد.

○ عاشراً: وسائل إشاعة التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات بين الدعاة:

١- أن يكون كلاً من الدعاة قدوة للآخر في التغافر، ولا ينتظر مغفرة إخوانه وهو لا يغفر لهم.

٢- مدارسة الآيات والأحاديث التي تدعو إلى التغافر، وسيرة السلف كذلك.

٣- تدريب النفس ومراقبتها على العفو والتسامح والتحلي بالصبر.

المبحث الثاني عشر
التطاوع

من الأمور التي تجب أن تكون بين الدعاة إشاعةُ روح التطاوع في العمل الدعوي، «والمطاوعة في حقيقتها هي: استعداد من كل طرف للتنازل للطرف الآخر، إذا وقع اختلاف على أمر ما، وليس المقصود بهذا التنازل الرجوع عن حق صريح واضح، وإنما هو لين جانب حينما يكون الاختلاف بين الحسن والأحسن، أو إرجاء المناظرة في الأمر المختلف فيه؛ إبقاء على المودة، وإيثاراً لصفاء القلب، فكل منهما طيّع في يد أخيه، يتنازل هذا تارة، ويتنازل ذاك أخرى»(١).

ولبيان هذا الأمر نتعرض للنقاط التالية:

◆ أولاً: الأمر بالتطاوع في السنة:

وقد ورد الأمر بالتطاوع في السنة النبوية في موضعين:

الموضع الأول: وصية النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري:

فقد ورد أن النبي ﷺ، قال لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حينما بعثهما إلى اليمن: **(تطاوعا ولا تختلفا)**(٢).

قال ابن حجر: «أمرهما أن يكونا شريكين.. أي: توافقا في الحكم ولا تختلفا لأن ذلك يؤدي إلى اختلاف أتباعكما فيفضي إلى العداوة ثم المحاربة والمرجع في الاختلاف إلى ما جاء في الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

---

(١) قيمة التطاوع وعدم الاعتداد بالرأي، أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه (٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير (١٧٣٣).

﴿ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]»[(١)]، أي: (**تحابا وليطع كل منكما الآخر**)[(٢)].

وبوب الإمام البخاري لهذا الحديث العظيم تبويباً يحوي شرحاً جامعاً ونصيحة ذهبية للأمة: فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فقوله: (**تطاوعا ولا تختلفا**) وقيل: «ليلن كل منكما جانبه لأخيه، وليخفض كل منكما جناحه لأخيه»[(٣)].

وكان بإمكانه أن يقول: (**تطاوعا**)، ولا يذكر و (**لا تختلفا**)، ولكن ذكرهما « لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء»[(٤)].

الموضع الثاني: وصية النبي ﷺ أبا عبيدة وعمرو بن العاص:

ولما بعث ﷺ جيش ذات السلاسل استعمل أبا عبيدة على المهاجرين، وعَمْرَو بن العاص على الأعراب، وقال لهما: (**تطاوعا**)، وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو، فأغار على قضاعة لأن بكرا أخواله. فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة وقال له: «إن رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإن ابن فلان -يعني عمرَو بن العاص- قد ارتبع أمرَ القوم وليس لك معه أمر» قال أبو عبيدة: «إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله ﷺ، وإن عصاه عمرٌو»[(٥)].

«فلم يحِد أبو عبيدة عن وصية رسول الله، ولم يشتغل بتسوية الخلافات مع عمرو،

(١) فتح الباري ١٣/ ١٦٢.
(٢) تعليق مصطفى البغا على البخاري (٣٠٣٨).
(٣) تعليق الشيخ حسن أبو الأشبال على شرح صحيح مسلم ١٦/ ٨٥ نسخة مفرغة.
(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٤١.
(٥) مسند أحمد في مسنده ٣/ ٢٢٧ (١٦٩٨).

وذلك أن المقصود من البَعْثين تحقيقُ مصالح الإسلام، وما كان هذا شأنه فليس مناخاً صالحاً للخلافات، حفاظا على سمعة الدعوة وتمهيداً لاستيطانها قلوبَ الجماهير، فلا غرو إذاً أنْ كانت الوصية النبوية بالائتلاف والتطاوع أعظمَ ما يحتاجه العامل لدين الله»[(١)].

فهذه وصية رسول الله ﷺ لكل الدعاة.

◆ ثانياً: أهمية التطاوع بين الدعاة:

«التطاوعُ يَدلُّ على صفاءِ النفس وقوةِ الشخصية وسِعَةِ الأفق، ولا يتحقق إلا بقدر كبير من السماحة والاستعداد للتوافق»[(٢)].

«والتطاوع يثبت المحبة، والتعصب للمواقف والآراء يرفعها ويشتِّت شمل الأخوة ويشحن النفوس بالبغضاء، قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وفي الآية إشارة إلى أن عدم التنازع يَلزَم لتحقيقه الصبر على قبول ما لا يراه المرء راجحاً أو صواباً وهذا من أسرار ختم الآية بالوصية بالصبر وقد أشار إلى هذا المعنى عدد من المفسرين كالقاسمي والطاهر بن عاشور عند تفسير هذه الآية.

وكلما كان المسلمون أقرب إلى قطف الثمرة كانوا أحوج إلى تقديم مصلحة الأمة على الأهواء الشخصية، فلا بد أن يتنازل أحد الأطراف المختلفة؛ ليطاوع الطرف الآخر، مؤثرا رضا الله، وجلب الخير العميم، ودفع الشر العظيم»[(٣)].

---

(١) الأدب النبوي ١/ ١٠٥.

(٢) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

(٣) قيمة التطاوع وعدم الاعتداد بالرأي أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

قال الإمام النووي: «غالِب المصالح لا يتمّ إلا بالاتفاق، ومتي حصل الاختلاف فات»[(١)].

فلا بد أن يكون أنَّ في كل مؤسسة أو عمل دعوي فئاماً من ذوي الحلم والسماحة ولين الجانب، ممَّن يألف ويؤلف؛ وهؤلاء هم الجسر الحقيقي للتطاوع، يبنون بأخلاقهم العالية بساط التوافق والتواصل البناء، وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله: **(المؤمنون هينون لينون، مثل الجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن سيق انساق، وإن أنخته على صخرة استناخ)**[(٢)].

◆ ثالثاً: تنبيه حول التطاوع بين الدعاة:

«التطاوع قوة وألفة والتخالف ضعف ونفرة. فما دام الأمر في معروفٍ فليتطاوع الدعاة، فإن رأى غير ما رأى تباحثاً في وجوه الاختلاف، ومحّصا المسألة، ثم أصدرا عن اتفاق، تلك نصيحة الرسول ﷺ لأبي موسى ومعاذ»[(٣)].

«والتطاوعُ لا يعني التنازلَ عن الحقِ أو القبولَ بالباطل، أو السكوت عن الأخطاء، لكنه يعني الملاينة واتساعَ الصدرِ للاجتهادات السائغة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، والكبرى على الصغرى، وسعة الأفق في احتواء النزاعات»[(٤)].

◆ رابعاً: أهم أسباب عدم التطاوع الشح والمكابرة:

«إنَّ من الآفات المزمنة التي لا تكاد تخطئها العين: شيوع روح المكابرة والاستعلاء والتعنّت والاعتداد بالرأي، والتهوين من قدر الآخرين علماً أو عملاً،

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٤١.

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ١١٥ (١٣٩)، والبيهقي في الآداب ص٦٥ (١٦٠)، والبيهقي في الشعب (٨١٢٨)، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر: السلسلة الصحيحة رقم (٩٣٦).

(٣) صراعٌ بين الدعوة والدعاة- مشاري بن سعد الشثري- مقال منشور على موقع صيد الفوائد.

(٤) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

وهذه أسباب تعوق التطاوع وتقطع سبيل الملاينة، وتؤكد حاجتنا الماسة لإعادة بناء منظومتنا التربوية والأخلاقية.

ومن أعظم موانع التطاوع أيضاً: شح النفوس، كما قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

ولعل هذا من أعظم أسباب إخفاق مشاريع التنسيق والتعاون بين الدعاة والتجمعات الإسلامية؛ فالعلاقة المتينة المستمرة لا تستقيم إلا بالسماحة والتطاوع»[(١)].

وقد عرَّف الشيخ السعدي الشح بقوله: «هو عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له». ثم ذكر أن السماحة ضد الشح، وهي: «بذل الحق الذي عليك، والاقتناع ببعض الحق الذي لك»، وبيَّن بعد ذلك أنه: «متى وُفّق الإنسان لهذا الخلق الحسن، سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب، بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ما له، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه. فإن كان خصمه مثله، اشتد الأمر»[(٢)].

---

(١) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، مقال منشور في مجلة البيان عدد ٣١١ باختصار وتصرف يسير.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٠٦.

الفصل الثامن

آفات الدعاة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآفات القلبية:

المطلب الأول: آفة فساد النية.

المطلب الثاني: آفة التحاسد.

المطلب الثالث: آفة التعالي.

المطلب الرابع: آفة سوء الظن.

المطلب الخامس: آفة الإقبال على الدنيا.

المبحث الثاني: الآفات السلوكية:

المطلب الأول: آفة اليأس.

المطلب الثاني: آفة الفتور.

المطلب الثالث: آفة العجلة.

المطلب الرابع: آفة التسويف.

المطلب الخامس: آفة المعاصي.

---

(١) فأما الآفات المنهجية تحولت إلى بحث مشكلات وعوائق الدعوة والدعاة.

تمهيد

«إن توضيح معالم الطريق أمام الدعاة إلى ربهم -كي يُعدِّوا لكل أمر عدته، ويأخذوا لكل شيء أهبته، فلا ينقطعوا، ولا يتوانوا ولا يتأخروا عن ركب النجاة- ضرورة لا مفر منها، ولا محيص عنها، توجبها الدعوة إلى الله من أجل التمكين لدينه في الأرض.

ولعل من أهم هذه المعالم: أن هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض الدعاة -بل قد تصيبهم بالفعل- فتقعد بهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم»[(١)].

فلا شك أن الدعوة طريق شاق وطويل، ومليء بالآفات والمعوقات التي تعترض الداعية، وتعيق سيره في الدعوة إلى الله، والدعاة إلى الله بشر غير معصومين، ويقع من بعضهم الخطأ والغلط والنسيان والسهو والغفلة، وهذه من الآفات التي تصيب البشر، ولكن ينبغي للداعية أن يقللها، ويحذرها، فإن كثرتها تؤدي إلى تشويه رسالة الإسلام، وتعيق مسيرة الدعوة إلى الله.

نعرض لهذه الآفات بشيء من التحليل والبيان كي يحذرها العاملون ويتطهروا منها[(٢)].

مع التنبيه إلى أن الآفات كثيرة جدًّا، ولكن سنعرض هنا لأهمها وأكثرها انتشارا وتأثيرا، فإن الأمراض القلبية، والسلوكيات الخاطئة في التعامل مع الناس كثيرة، وكلها لها ارتباط بالدعوة وآفات الدعاة.

---

(١) آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح ص١.

(٢) ينظر: كتاب آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، وهو كتاب من أربعة أجزاء، وكتاب عقبات في طريق الدعاة، عبدالله علوان، وسلسلة أمراض على طريق الدعوة، مجموعة من المقالات القيمة منشورة على ملتقى الخطباء، وقد استفدنا منهما كثيراً في إعداد مادة هذا الفصل.

المبحث الأول
الآفات القلبية

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: آفة فساد النية.

المطلب الثاني: آفة التحاسد.

المطلب الثالث: آفة التعالي.

المطلب الرابع: آفة سوء الظن.

المطلب الخامس: آفة الإقبال على الدنيا.

من أشد الآفات التي تصيب الدعاة إلى الله فتؤثر سلباً على الداعية والدعوة في الدنيا والآخرة، الأمراض التي تصيب النفوس والأرواح والقلوب والعزائم والإرادات، وهي أشد فتكاً وأعظم خطراً من الأمراض البدنية، فأمراض البدن تظهر أعراضها ويشعر المريض بآلامها، أما أمراض القلوب فتنمو وتستفحل يوماً بعد يوم وصاحبها لا يشعر بها ولا يعاني من آلامها.

لذلك وجب على الدعاة إلى الله التعرف على آفات القلوب، والوقوف على أسباب تلك الآفات ومعرفة دواعيها ومظاهرها وتداعياتها وآثارها على الدعوة والداعية والمجتمع بأسره، واعتبار ذلك من أولويات العمل الدعوي.

فعلى الداعية أن يراقب قلبه، ويراقب تصرفاته، ويحاسب نفسه، ويزيل آثار هذه الآفات أولا بأول، قبل أن يستفحل الداءُ في الجسد الدعوي على مستوى الفرد أو على مستوى المؤسسة والفريق.

ولا يظن الداعية أنه ليس من أصحاب تلك الآفات، ولا أنه معَرَّضٌ لهذه الأمراض، ورسول الله ﷺ -إمام الدعاة- كان يسأل الله ثبات قلبه في سجوده فيقول: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: **(كل مخموم القلب، صدوق اللسان)**، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **(هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد)**[(٢)].

ومن هنا يأتي الحديث عن خمسٍ من الآفات القلبية، محاولة للوقاية منها وعلاجها، والتنبيه عليها وعلى خطرها، وعلى ما يتبعها من آفات أخرى.

وذلك من خلال المطالب التالية:

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ١٦٠ (١٢١٠٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (٤٢٢٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩١).

المطلب الأول
آفة فساد النية

وبيان هذه الآفة وكيفية التغلب عليها في النقاط التالية[١]:

أولاً: خطر فساد النية في العمل عموماً:

إن فساد النية مخالف لأصل الدين والدعوة إليه، فالدين هو التعبد لله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ففساد النية مخالف للإخلاص، وإذا وقع الداعية في مخالفة الإخلاص فسد عمله، وأصبح لا قيمة له في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

فالحذر الحذر من دخول الرياء على العمل فما دخل الرياء عملاً إلا أفسده، وحرم صاحبه التوفيق والأجر والمثوبة، بل نال العقاب والخزي يوم القيامة.

ثانياً: خطر فساد النية على الدعاة إلى الله خاصة:

إن فساد النية داء وبيل لا يسلم منه إلا من عصمه الله، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة -إلى أن قال- ورجلٌ تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته

---

(١) بعض أفكار هذه الآفة من مقال بعنوان: الإخلاص في الدعوة: أهميته، ما يعين عليه، ما ينافيه، وآثاره على الداعية، د. خالد المسقري، منشور على موقع طريق الإسلام، وللاستزادة ينظر: كتاب الإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء القرآن والسنة النبوية، د. رائد محمد العبيدي.

وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..)(١).

ويمكن إجمال خطر فساد النية على الدعوة في النقاط التالية:

١- يُذهب بركة الدعوة وثمرتها وقيمتها.

٢- التكاسل والفتور في القيام بواجب الدعوة.

٣- الحرص على كسب رضا المدعوين على حساب الدعوة.

٤- عدم إبداء النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضعها.

٥- عدم الثبات في مواجهة الضغوط والمحن والشدائد في طريق الدعوة.

٦- التطلع إلى الريادة والصدارة والرئاسة، والحرص على إصدار الفتوى، وعلى تَصَدُّرِ المجالس، وإيراد أقوال العلماء تعالماً و تظاهراً بالعلم.

٧- عدم محبة النجاح للدعاة بغياً وحسداً، وضعف التعاون معهم، والفرح والتشهير بأخطائهم.

٨- عدم السعي في استكمال صفات الداعية، والجوانب اللازمة من قضايا العلم.

٩- مخالفة القول العمل في الخير والدعوة إليه.

١٠- دفع الرأي أو الفكرة أو الدفاع عنهما؛ دفاعاً عن النفس.

١١- التعصب للأشخاص والمذاهب.

١٢- الاختلاف والافتراق.

١٣- حب الدنيا والسقوط في فتنتها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار(١٩٠٥).

ثالثاً: علامات ومظاهر فساد النية:

وفساد النية عند الدعاة له صور كثيرة يجمعها حب الشهرة والتصدر، وتحويل الدعوة وسيلة لجلب المال، ومن علامات ذلك:

١- أن يميل إلى الأعمال التي تُشْهِر اسمه، وتُظْهِر شخصيته، وينفر من الأعمال التي تغمر هويته.

٢- حب المخالفة والاعتراضات لكونها طريقاً سهلاً للشهرة وذياع الصيت.

٣- حب نسبة الأعمال إليه، أو ما يسمى بالسرقة الأدبية والفكرية، وسرقة الأعمال.

٤- التطلع إلى حيازة أماكن الصدارة، ويحارب من يحاول مشاركته إياها.

٥- يحب أن يمشي الناس خلفه، ويعجب بالتفاف الطلاب والأتباع حوله.

٦- أن يجد الداعية ميلاً للأشخاص الذين يتملقون له ويمتدحونه، وينفر من سواهم ممن يدلونه على أخطائه أو ينصحونه.

٧- أن يسعى في أعمال الدعوة التي يجنى من وراءها مالاً، ويتكاسل عن غيرها.

٨- جعل الدعوة وسيلة لشهوات دنيوية أخرى كالتقرب إلى شيخ أو إمام، للحصول على منفعة دنيوية لديه. ونحو ذلك.

رابعاً: كيف يختبر الدعاة نياتهم:

لكي يعرف الداعية فساد نيته في عمل دعوي معين، ينظر إلى الباعث الذي بعثه للعمل، ويراجع نفسه في الغرض الذي نشطه لهذا العمل من بداية الطريق، فإن غالطته نفسه في ذلك وأبت إلا ادعاء الإخلاص: **فليتصور عدم تيسر العمل**، فأول شيء يحز في نفسه فقده الباعث الذي بعثه للعمل، فإن تألمت نفسه لفقد الأجر والمثوبة فتلك نيته،

وإن تألمت لفقد شيءٍ آخر؛ فهو نيته.

أو يتصور قيام غيره بالعمل -ممن هو كفؤ له- بنفس الكيفية ونفس النتيجة، فإن لم يغير ذلك في نفسه شيئاً فهو مخلص، وإن تعكر مزاجه لاقتران العمل باسم غيره، فليراجع إخلاصه.

وإذا كان العمل ينشر إلى الناس باسم صاحبه، فليتصور نسبة العمل لغيره، فإن عز في نفسه تجاهل اسمه فليعد النظر في نيته.

❐ خامساً: علاج فساد النية عند الدعاة:

وعلاج فساد النية يكون بالإخلاص، وذلك من خلال العوامل التالية[١]:

١- تيقن الداعية تيقنا كاملاً: أن الناس لا يملكون لأنفسهم جلب نفعٍ ولا دفع ضُرٍّ، فهم من باب أولى لا يملكون ذلك لغيرهم.

٢- الزهد في الدنيا، ومعرفة حقيقتها، وقيمة لذائذها وحظوظها.

٣- الحرص على الأعمال الخفية حتى تتعود النفس على تجريد القصد لله، ثم يبدأ في الأعمال الظاهرة ونفسه قد تشربت، ولا ينبغي له أن يقفز مباشرة إلى الأعمال الجلية، فإن اشتاقت نفسه إلى الأعمال التي ينتشر صيت صاحبها بين الناس فليتهم قصده.

٤- تدبر آيات النعيم، وما أعده الله لأوليائه، حتى تتشوق النفس لذلك، فتنحصر الهمة في طلبه.

٥- الاطلاع على سيرة المصطفى ﷺ، وسير السلف الصالح، ليأخذ منهم الحرص على الإخلاص.

---

(١) تحدث الشيخ د. سعيد بن وهف القحطاني في مقومات الداعية وفي الحكمة في الدعوة إلى الله عن هذا الأمر وذكر فيها ١٥ وسيلة في دفع الرياء وتقوية الإخلاص.. يمكن الرجوع لها.

٦- استشعار رقابة الله تعالى، واطلاعه عليه في كل لحظة، ومعرفته بجميع حركاته وسكناته.

٧- اليأس مما في أيدي الناس، قال ابن القيم: «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأْس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص»[(١)].

المطلب الثاني

آفة التحاسد بين الدعاة

من الآفات الخطيرة على الدعاة: آفة التحاسد، فإن لها أثرها السيء على الدعوة والمجتمع الدعوي، والدعاة أنفسهم، ونبرز هذا الأمر في النقاط التالية[(٢)]:

◈ أولاً: مفهوم التحاسد بين الدعاة:

الحسد هو: أن يرى الرجل لأخيه نعمةً فيتمنى أن تزول عنه وتكون لهُ دونه[(٣)].

---

(١) الفوائد لابن القيم ١/ ١٤٩.

(٢) ينظر: أبعاد الحسد على العمل الإسلامي، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، مقال منشور على موقع صيد الفوائد، ومقال بعنوان: تحاسد الدعاة، منشور على موقع تيار الإصلاح، والتحاسد بين العلماء مسعد سالم، مقال منشور على موقع الألوكة، الحسد: أسبابه وأضراره وعلاجه، السيد طه أحمد.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٨٣.

والفرق بين الحسد والتنافس:

قال ابن القيم عن بعضها: «الفرق بين المنافسة والحسد:

أن المنافسة: هي المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك، فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه؛ فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر، وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلبا ورغبة، فَتُنَافِسُ فيه كل من النفسين الأخرى، وربما فرحت إذا شَارَكَتْهَا فيه، كما كان أصحاب رسول الله يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل يَحُض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه، وهي نوع من المسابقة..

والحسد خُلُقُ نفسٍ ذميمةٍ وضيعةٍ ساقطةٍ ليس فيها حرص على الخير، فَلِعَجْزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها، وتتمنى أنْ لَوْ فَاتَهُ كَسْبُهَا حتى يساويها في العدم، فالحسود عدو النعمة مُتَمَنٍّ زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو؛ والمنافس مسابق النعمة مُتَمَنٍّ تمامها عليه وعلى من ينافسه.

وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة، كما في الصحيح عن النبي: **(لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)**[(١)]، فهذا حسد منافسة وغبطة، يدل على علو همة صاحبه، وكبر نفسه، وطلبها للتشبه بأهل الفضل»[(٢)].

◈ ثانياً: خطورة التحاسد عامة:

التحاسد هو أول ذنب عُصِي الله به؛ إذ حسد إبليسُ آدمَ، وكان سبب أول جريمةٍ

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٨٠) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب من يقوم بالقرآن ويعلمه (٨١٦).

(٢) الروح لابن القيم ص٢٥٢.

في الدنيا الحسد؛ إذ حسد أحد ابني آدم أخاه فقتله.

وذكر الله أن الحسد من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة ١٠٩].

وذمهم فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤].

وقد ذم النبي ﷺ الحسد والحاسد فقال: (..ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد)[١]، وقال: (لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا)[٢].

قال الماوردي: «اعلم أن الحسد خلق ذميم، مع أضراره بالبدن، وإفساد للدين حتى لقد أمر الله بالاستعاذة منه، فقال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]، وناهيك بحال ذلك شرًّا، ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء، يتوجه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والصاحب، وهو كذلك بالنفس مضر، وعلى الهمِّ مصرٌّ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية بعدو ولا إضرارٍ بمحسود»[٣].

«فالحسد من الرذائل الخلقية ذات النتائج النفسية والاجتماعية السيئة جدًّا على الأفراد والجماعات، وعلَّة هذا الداء ترجع إلى إفراط في الأنانية وحُبِّ الذات، مع ضعف في الإيمان بكمال حكمة الله تعالى في توزيعه الأرزاق بين عباده»[٤].

فمن أضرار الحسد «إسخاط الله تعالى في معارضته، إذ ليس يرى قضاء الله

---

(١) سنن النسائي في السنن كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (٢٩١٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٢٠).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٣٠٩، رقم (٨١٥٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٧٨: رجاله ثقات. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٨٦).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠-٢٦١.

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ٧٨٩ بتصرف.

عدلاً ولا لنعمه من الناس أهلاً، حسرات النفس وسقام الجسد، وانخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة، مقت الناس، وعداوتهم، ويجلب النقم ويزيل النعم، ومنبع الشرور العظيمة ومفتاح العواقب الوخيمة، ويورث الحقد والضغينة في القلب، وهو معول هدم في المجتمع، ودليل على سفول الخلق ودناءة النفس»(١).

«وقد يغلب الحسد صبر الحاسد وأناته، فيحمله على إيصال الأذى للمحسود؛ بإتلاف أسباب نعمته أو إهلاكها رأساً، وقد كان الحسد أول أسباب الجنايات في الدنيا، إذ حسد أحد ابني آدم أخاه على أن قُبِل قربانه ولم يقبل من الآخر، كما قصه الله تعالى في سورة المائدة »(٢).

◈ ثالثاً: خطر الحسد بين الدعاة:

وإذا كان الحسد من الأمور المنهي عنها في الدين لخطره على الفرد والمجتمع، وبالإضافة إلى ما سبق من أضرار، فهو بين الدعاة إلى الله أشد، وقد اشتهر أمره، وجرت به أقلام المؤرخين، حتى قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «هلاك العلماء بحسدهم»(٣).

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء، إلا قول بعضهم في بعض، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس»(٤).

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلام الأقران لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصراً من العصور سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس»(٥).

---

(١) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٢٨.

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٦٥.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٩١.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

فالحسد بين الدعاة يؤدي إلى أمور خطيرة منها:

١- أن التحاسد يؤدي إلى أن يكيد الدعاة بعضهم لبعض.

٢- التحاسد بين الدعاة يؤدي إلى غلبة الانفعال المفرط، الذي يثير جيشان الدم الذي يقتل صاحبه؛ إما فرحاً أو غمّاً.

٣- والحسد بين الدعاة يؤدي إلى التعصب للباطل أحياناً؛ لأنه يرغب في الانتصار للنفس؛ لا للحق، والحسد مانع عن الحق وصاد عن تلقيه، فما منع أهل الكفر عن قبول دعوة الحق إلا أن قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥].

٤- وقد يؤدي هذا التحاسد إلى التزوير وتعمية الحقائق، وكتمان الحق، والشهادة بالباطل، والكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ بالحياد عن الفهم الصحيح.

٥- عندما يدب الحسد بين الدعاة في العمل الإسلامي، تبدأ شرارة الكراهية والبغض والضغينة، ويحمى الوطيس حينما ينتقل ذلك إلى الأتباع بسبب أن الدعوة أصبحت إلى الذات أو الجماعة أو المؤسسة.

٦- والتحاسد بين الدعاة سبب لشيوع التصنيف والتبديع والتفسيق بين الدعاة، ويمتزج بالتحذير سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو المؤسسات.

٧- التحاسد بين الدعاة يجفف منابع الخير، ويشتت أذهان المدعوين في معرفة الحق وأهل الحق، ويلبِّسُ على الدعاة -أنفسهم- وعلى طلبة العلم.

٨- التحاسد بين الدعاة يؤدي إلى الشماتة بالدعاة ومنهجهم، وهذا يكون باباً سهلاً لتشتيت صوت الحق أمام الأعداء؛ بل يؤدي للشماته بهم من عدوهم، واستغلال ذلك للتنفير عنهم.

٩- في التحاسد بين الدعاة فرصةٌ للمتربصين للتشهير بالدعاة وتكبير سيئاتهم ودعم

يعضهم على حرب بعضٍ، فيتقارب بعض الدعاة مع الأعداء ويبتعدون عن إخوانهم.

١٠- في التحاسد تنقيص الدعاة لبعضهم البعض، فالحاسد يريد أن يرى المحسود في أقل درجة وأسوأ حالة، لأنه يعتقد أنه بتهجمه وسبه وتنقيصه لخصمه ينزل قدره ومقداره.

◈ رابعاً: دواعي الحسد بين الدعاة:

«لسائل أن يسأل كيف يثور الحسد بين المشتغلين بالدعوة والقرآن ونشر العلم وغير ذلك مما يقصد به عادة الآخرة؟!

والسر في ذلك والله أعلم هو: اختلاط النية، وفساد الإرادات، فمتى تنافس المؤمنون في فعل الخير لا يريدون بذلك إلا الله استقامت أمورهم، فإذا دخلت الدنيا وحظوظ النفس -ولو تحت ستار الدين والدعوة والمشروع الإسلامي-، وقع التحاسد المذموم والتنافر المشؤوم؛ لأنه في هذه الحالة يتحول التنافس المحمود على الخير إلى التسابق على الجاه والشهرة والمحمدة والمغنم والمنصب والتعويض عن سنوات الدعوة والنضال وما إلى ذلك»[١].

فمبعث الحسد في النفس ما ركِّب فيها من حب الغني، والسيطرة، والأثرة، وحب التملك، والرغبة في الاستعلاء، فإذا ما وجدت مَن يفوقها في ذلك، استطار شرُّها.

ومن أسباب الحسد:

١- بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر.

٢- أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه، ويكره تقدمه فيه.

٣- أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، فيعترض على قضاء الله له[٢].

---

(١) الفرق بين المنافسة والحسد، لسعيد هلاوي، مقال منشور على موقع حركة الإصلاح والتجديد.

(٢) هذه الأمور الثلاثة ذكرها الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ١٧٦.

٤- الخوف من فوت المقاصد، وهذا يختص بمتزاحمين على مقصود واحد[(١)]، وهي أمور الدنيا، وأما أمور الآخرة فإنها لا تضيق على المتزاحمين.

٥- حب الرئاسة والجاه.

خامساً: علاج الحسد بين الدعاة:

مرض الحسد بين الدعاة يمكن أن يعالج بأمور:

١- تجديد النية والإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- التنافس في تكثير الأعمال، وجعل الدعاة الآخرين قدوة للتنافس وليس للتحاسد.

٣- اتباع دين الله تعالى، والتوبة إلى الله تعالى، والرجوع إلى الله في تأديب نفسه؛ فيقهر نفسه على اجتناب مذموم الأخلاق.

٤- تذكر أن العقل السليم يستقبح هذا الأمر.

٥- أن يجاهد نفسه على عدم التفكير في نعمة الله على غيره، ويرضى بما قضاه الله له.

٦- إشغال الذهن بالتفكر في آيات الله ونعم الله عليه.

٧- الدعاء لمن يتميز؛ بنعمةٍ من الله وتوفيقٍ في جانبٍ دعوي.

٨- أن يحاول الدعاة إشراك إخوانهم معهم في العمل الدعوي فهذا مما يعين على التقليل من أسباب التحاسد.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٠.

المطلب الثالث

آفة التعالي بين الدعاة

التعالي والتكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين، والغرور، والنظرة الدونية أو نظرة التعالي المتبادلة بين بعض الدعاة، أو بين الدعاة والمدعوين، كلها أمور قريبة من بعضها، لها أثرها الخطير على العمل الدعوي.

ويمكن إبراز تلك الآفة في النقاط التالية(١):

أولاً: مفهوم التعالي:

فالتعالي هو: الإحســاس بالتميُّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، محمودة أو مذمومة(٢).

وعرفه ابن المبارك بعبارة موجزة فقال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك(٣).

والمقصود بآفة التعالي عند الدعاة: إظهار الداعية إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الدعاة الآخرين أو المدعوين وأعمالهم ويترفع عن قبول الحق منهم، سواء ظهر ذلك في كلامه أو أفعاله.

ثانياً: أدلة النهي عن التعالي والحث على التواضع:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]. وقد قال الله قبلها: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ

---

(١) ينظر: بحث قيم بعنوان: العُجْبُ وخطرهُ على الداعية، عبد الحكيم بن محمد بلال- منشور على موقع صيد الفوائد، استفدنا منه كثيرا في أفكار هذه الآفة.

(٢) انظر آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح ١/ ١١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٠٧.

﴿ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال البقاعي: «لما كان من آفات العبادة لا سيما الأمر والنهي - لتصورهما بصورة الاستعلاء - الإعجاب إلى الكبر، قال محذراً من ذلك معبراً عن الكبر بلازمه، منبهاً على أن المطلوب في الأمر والنهي اللين لا الفظاظة والغلظة الحاملان على النفور»[(١)].

فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير. ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل.

وقد بين الله أنه لم يجعل للمتعالين نصيباً في الآخرة فقال: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. «فلم يعلق الموعد بترك العلوّ والفساد، ولكن بترك إرادتهما، وميل القلوب إليهما»[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسنة؟ قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطَرُ الحق وغمط الناس)[(٣)].

وقال ﷺ: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[(٤)].

والتعالي من المهلكات بوصف النبي ﷺ حين قال: (ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)[(٥)].

---

(١) نظم الدرر ٦/ ٢٠.

(٢) الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٣٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

(٥) مسند البزار ١٣/ ١١٤(٦٤٩١)، مسند أبي يعلى ٦/ ٥٠٠ (٦١١٤)، وقال الألباني حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب١/ ١٠٨ (٤٥٣).

قال محمد بن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: «ما دخل قلب رجل شيء من الكبر إلا نقص عقله بقدر ذلك»[(١)].

ثالثاً: مظاهر التعالي عند الدعاة:

للتعالي مظاهر كثيرة في حياة الدعوة والدعاة نجملها في النقاط التالية:

١- احتكار الحق واحتقار المخالفين، فيتوهم بعض الدعاة أنهم أصحاب الحق المطلق وأنهم وحدهم على الهدى، وتشيع فيهم روح الغرور والاستعلاء، فيتعاملون مع سواهم من الدعاة والمدعوين بخشونة واستكبار، إن ثقة الدعاة بموقفهم الحق محمودة ومطلوبة، لكن ينبغي لها أن تقترن بعاطفة طيبة، ليكونوا دعاة محبوبين لا منفِّرين، ورحماء لا قساة[(٢)].

٢- الإكثار من الثناء على النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحاً أو تلميحاً، وقد يكون على هيئة ذم للنفس أو للآخرين، يراد به مدح النفس.

٣- الحرص على تصيُّد العيوب وإشاعتها، وذم الآخرين، أشخاصاً أو هيئات، والفرح بذمهم وعيبهم.

٤- النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين.

٥- الاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير.

٦- صعوبة المطاوعة، والحرص على التخلص من التبعات والمسئوليات، وتحقيق القناعات الشخصية.

٧- الترفع عن الحضور والمشاركة في بعض الأنشطة العلمية والدعوية، وخصوصاً العامة.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٤٦.
(٢) ميثاق الشرف الدعوي ص٢٠ بتصرف يسير.

٨- تنقّص أعمال الآخرين، وازدراؤها، ورؤيتها دون أعماله.

٩- ادعاء أمور وهمية، وتضخيم بعض القضايا، يظنها كبيرة، وليست كذلك، كمن يعتبر نفسه داعية كبيراً؛ لكونه يحسن التحدث والكلام، أو يرى نفسه عالماً فقيهاً ويتجرأ غروراً بما عنده من نتفِ علم، أو يعد نفسه مؤهلاً للقيادة.

١٠- العجب بأمور باطلة يظنها حقًّاً، كغرور العلماء والعباد والمتصوفة والأغنياء بأجزاء من الدين، يحسبونها الدين كله.

١١- إظهار الترفع على الناس، والتبختر والاختيال في المشي، والتقعر في الحديث، والاستخفاف بضعفة المسلمين.

١٢- حب التصدر في المجالس، وأن يقوم الناس له، ومحبة التقديم في المشية والجلسة.

١٣- الاشمئزاز عن أن يرد عليه كلامه، وإن كان باطلاً.

١٤- الحرص على المدح والتعظيم ومحبة أن يسعى إليه الناس، ولا يسعى إليهم.

رابعاً: أسباب التعالي عند الدعاة:

يمكن إجمال أسباب التعالي في النقاط التالية:

١- إعجاب الداعية بما منحه الله من بلاغة أو بيان أو سعة في العلم وقوة في الـرأي.

٢- حديث الناس عن أعمال الداعية، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه.

٣- جهل الداعية بحق ربه وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبده بها.

٤- الغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها.

٥- تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات.

٦- الجهل بما عند الآخرين من علم أو عمل قد يفوق ما عنده كثيراً.

٧- النظر إلى من هو دونه في أمور الدين، دون النظر إلى من فاقه وزاد عليه.

٨- النشأة في كنف مربٍ به تعالٍ، كثير الثناء على نفسه.

٩- صحبة بعض أهل التعالي، لا سيما إذا كانوا من المبرزين النابهين.

١٠- الاعتداد بالنسب، أو المكانة الاجتماعية، أو كثرة المال.

١١- الإطراء والمدح في الوجه، والإفراط في الاحترام.

١٢- المبالغة في الانقياد والطاعة، ولو في المعصية.

١٣- التصدر للناس قبل النضج العلمي والتربوي، تساهلاً، أو تطلعاً لسماع الجماهير، أو مراعاة لظروف الدعوة، لخلو الساحة من المؤهلين تأهيلاً كافياً.

١٤- تحقيق بعض الدعوات أو الأشخاص نجاحات في الدعوة؛ كالتفاف الجماهير، وسماعهم، وتأثرهم.

خامساً: مخاطر التعالي وآثاره على الدعاة والدعوة:

للتعالي أثره على الدعوة والدعاة، ولا شك أن آثاره على الدعاة تنعكس على الدعوة أيضاً بالسلب، فمن آثار التعالي:

١- أنه طريق إلى الغرور والكبر، وآثار الكبر المهلكة لا تخفى.

٢- الحرمان من التوفيق والهداية؛ لأن الهداية إنما ينالها من أصلح قلبه وجاهد نفسه، ومن صور هذا الحرمان: نسيان الذنوب واستصغارها، والعمى عن التقصير في الطاعات، والاستبداد بالرأي، والتعصب للباطل، وجحود الحق، وهذه الآثار في الجملة منها ما يقع سبباً للعجب، ثم يزداد ويستمر، ليبقى أثراً ثابتاً له.

٣- بطلان العمل.

٤- العجز والكسل عن العمل؛ لأن المتعالي يظن أنه بلغ المنتهى.

٥- الانهيار في أوقات المحن والشدائد؛ لأن المتعالي يهمل نفسه من التزكية، فتخونه حينما يكون أحوج إليها، ويفقد عون الله ومعيته؛ لأنه ما عرف الله حال الرخاء.

٦- نفور الناس وكراهيتهم؛ لأن الله يبغض المتعالي.

٧- العقوبة العاجلة أو الآجلة، كما خسف الله بالمتعالي الأرض.

٨- ومن آثاره على الدعوة: توقفها أو ضعفها وبطؤها بسبب قلة الأنصار؛ نظراً لنفور الناس، وكراهيتهم للمتعالين، وسهولة اختراق صفوف الدعاة وضربها؛ نظراً لانهيار الدعاة المتعالين حال الشدائد.

سادساً: علاج التعالي:

يمكن بيان خطوات العلاج فيما يلي:

١- تجديد الإخلاص ومراقبته، قال الذهبي: «فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء: تحامق واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب»[(١)].

٢- الحرص على العلم الشرعي، الذي يهذب النفوس، ويصلح القلوب، ويزيد الإيمان؛ فإن الإيمان الكامل والعجب لا يجتمعان. وتحصيل العلم النافع دليل على أن الله أراد بعبده خيراً.

٣- العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وحقه في التعظيم الـمورِث للخوف.

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢.

٤- تذكّر فضل الله ﷻ على الداعية، والنظر في حال من سُلبها، فهو الذي هداه ووفقه للطاعات، وهيأ له أسباب العلم والدعوة، وهو الذي يثيبه عليها.

٥- الفهم لحقيقة الدنيا والآخرة، وأن الدنيا مزرعة هدف العبد فيها مرضاة الله تعالى وهو ﷻ لا يرضيه التعالي.

٦- تذكّر الموت وما يكون بعده من الأهوال التي لا ينفع فيها إلا صالح العمل، والتعالي يجعله هباء منثوراً.

٧- إدراك عواقب التعالي، وأنه طريق إلى الكبر المهلك.

٨- محاسبة النفس أولاً فأول، وتنقيتها من داء العجب والفخر.

٩- التناصح بين الدعاة والقائمين على العمل الدعوي ومتابعة البارزين ومن يخشى عليهم العجب، من خلال اللقاءات الفردية التي يذكرون فيها بمعاني الإيمان والتواضع، ومصارحة الواحد منهم بما يصدر منه، بأسلوب مناسب، حتى لو أدى ذلك إلى التوقف عن إبرازهم في المناشط العامة وتأخيره عن المواقع الأمامية، كنوع من العلاج، مع مراعاة ألا ينتج عن ذلك تفرق وانشقاق.

١٠- اتباع الآداب الشرعية في المدح والثناء، والتوقير والاحترام، والطاعة والانقياد بين الدعاة بعيدا عن الإفراط والتفريط.

١١- النظر إلى العلماء والدعاة المتواضعين والتأمل في سيرهم وحياتهم.

١٢- التأكيد على المسؤولية الفردية في محاسبة النفس ومتابعتها، حسب خطوات العلاج السابقة كلها، وتفقّد القلب في نيته عند كل عمل، قال عبيد الله ابن أبي جعفر: «إذا كان المرء يحدِّث في مجلس، فأعجبه الحديث فليمسك، وإذا كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليتحدث»[1]، ولكن يجب التنبه إلى أن هذا يكون في حدود

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠.

التأديب والعلاج، لا يتعداه إلى ترك العمل خشية العجب أو الرياء.

١٣- تعريض النفس بين الحين والحين لبعض المواقف التي تكبح جماح كبريائها، وتعرفها بمكانتها اللائقـــة، كخدمة من هو أصغر منه، أو حمل متاعه بنفسه، على نحو ما أُثِرَ عن كثير من السلــف.

١٤- صحبة المتواضعين وقراءة سيرهم.

المطلب الرابع
آفة سوء الظن

من أسوأ الأمراض على طريق الدعوة الإسلامية سوء الظن، فهو الأساس الذي تنبني عليه كثير من الأمراض والآفات بين الدعاة، مثل: الغيبة والنميمة والتجسس والتحسس والبغضاء والشحناء وفساد ذات البين والشائعات، فهو مرض في غاية الخطورة على الدعوة، وعلى العاملين لدين الله عز وجل.

ويمكن بيان تلك الآفة في النقاط التالية[1]:

✧ أولاً: مفهوم سوء الظن:

سوء الظّنّ: اعتقاد جانب الشّرِ وترجيحه على جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معا[2].

(١) ينظر: سلسلة أمراض على طريق الدعوة (٧) سوء الظن، مقال منشور على موقع ملتقى الخطباء.
(٢) نضرة النعيم ١٠/ ٤٦٥٢.

أما سوء الظن بين الدعاة فهو: هو اتهام الآخرين بأوصاف سيئة من غير بينة ولا دليل ولا برهان. أو: التخمين الذي ينتهي بوصف الغير بما يسوؤهم ويغمهم من كل قبيح من غير دليل ولا برهان(١).

✧ ثانياً: الأدلة على سوء الظن:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، «يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليتجنب كثيراً منه احتياطاً»(٢).

وقوله ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا)(٣)، وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد له في الخير محملا، ومن عَرَّض نفسه للتُهم فلا يلومن إلا نفسه»(٤).

قال ابن حجر: «وكل من رأيته سيئ الظن بالناس طالبا لإظهار معايبهم، فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه»(٥).

---

(١) سلسلة أمراض على طريق الدعوة (٧) سوء الظن.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٧٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣). ومسلم، كتاب البر الصلة، باب الظن والتجسس والتنافس والتناجش (٢٥٦٣).

(٤) تقدم تخريجه ص٢١٠.

(٥) الزواجر ١/ ١٤٣.

ثالثاً: خطر سوء الظن بين الدعاة:

سوء الظن بين الدعاة يؤدي إلى مخاطر كبيرة على الدعاة والدعوة ومنها:

١- أن من ثمرات سوء الظن التجسس على الدعاة، فإن صاحب سوء الظن يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، فيصل بذلك إلى هتك ستر الدعاة بعضهم لبعض وتتبع عوراتهم وزلاتهم، لذلك قرن الرسول ﷺ بين سوء الظن والتجسس والتحسس، قال ابن قدامة: «واعلم أنَّ من ثمرات سوء الظَّنِّ التَّجسُّس، فإنَّ القلب لا يقنع بالظَّنَّ، بل يطلب التَّحقيق فيشتغل بالتَّجسُّس، وذلك منهيٌّ عنه، لأنَّه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم»[١].

٢- سوء الظن يعبر عنه العلماء بالغيبة القلبية، فكما أن المسلم لا يجوز له أن يغتاب أخوه المسلم بلسانه، فكذلك لا يجوز له أن يغتابه بقلبه حتى ولو لم يعلم عنه أحد.

٣- سوء الظن بين الدعاة يوقع في الغيبة والبهتان والنميمة والقيل والقال، وهذا يقود حتما إلى الشحناء والبغضاء والتدابر وفساد ذات البين، لذلك قرن الله ﷻ بين سوء الظن وبين الغيبة، وهذه هي معظم الأمراض والآفات التي توجد في بين الدعاة.

٤- سوء الظن يصيب الدعاة بحالة من التوتر والقلق النفسي، فسيء الظن يوجه كل ظنونه إلى ما يعتقد أنه يبيض صفحته أو يدافع عن أهله ودعوته وطريقته ومنهجه، ومن كان موضع الظن السيئ يصيبه الهم والحزن من لوك الناس لسيرته وأخباره، ومن لم يقع في هذا ولا ذاك وقع عليه الهم في التفكير في مدى مصداقية هذه الظنون والأقاويل والشائعات.

٥- أن الناس يكرهون الدعاة أصحاب الظنون السيئة وينفرون منهم، ويتجنبون صحبته، فيعيش منبوذا لا صاحب له، ولا يثق فيه أحد، وهذا بلا شك يؤثر على الدعوة.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (١٧٢).

٦- تفريق الصف الدعوي، حيث يتراشق الدعاة بالتهم، ويسحبوا الثقة من بعضهم البعض، وتنتشر البغضاء والشحناء بينهم، وتنتقل هذه الحالة لأتباع كل داعية وشيخ، وتشتعل نيران الفرقة والخلاف والتباغض بين صفوف الدعاة.

٧- الحسرة والندامة، فقد ينتهي سوء الظن بصاحبه بعد البحث ومحاولة التحقق أو التأكد إلى عكس ما توهم، وهنا تكون الحسرة والندامة إن كانت لا تزال هناك بقية من خير في الفطرة.

٨- ضياع وقت الدعاة فيما لا يفيد بل يضر الدعوة والدعاة والمدعوين، حيث سيء الظن يجري وراء الظنون بغية التحقق والتأكد من صحتها، والمظنون فيه السوء يدافع عن نفسه.. وهنا تضيع الدعوة ويعيش المدعويين في حيرة.

✧ رابعاً: أسباب الوقوع في سوء الظن بين الدعاة:

١- غياب روح الأخوة بين المسلمين عموماً وبين الدعاة خصوصاً، وكذلك غياب واجبات الأخوة وآدابها.

٢- غياب المنهج الصحيح في الحكم على الناس، فالإسلام قد أقام نظاماً محكماً وفريداً في الحكم على الآخرين وعلى أقوالهم، ومواقفهم، وعامة ما يصدر منهم.

٣- اتباع الهوى، وذلك لأن الداعية إذا اتبع هواه، وحكَّم مزاجه، صار هذا الهوى هو إمامه وقائده ومعياره الذي يعاير به الناس ويحاكمهم إليه، واتباع الهوى يدور بين الحب والبغض بلا سبب.

٤- وقوع بعض الدعاة في الشبهات، وترك التبرير والتوضيح، فذلك من الأمور المغرية لأن يلوك سيرته الناس.

٥- نسيان الحاضر النظيف والوقوف مع الماضي الدنس وبناء التصور وسوء

الظن على داعية قد تاب مما كان يفعل من قبل.

✧ خامساً: علاج سوء الظن:

من الكلام الجامع في علاج سوء الظن، قول الإمام ابن قدامة المقدسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فليس لك أن تظنَّ بالمسلم شرَّاً، إلَّا إذا انكشف أمر لا يحتمل التَّأويل، فإن أخبرك بذلك عدل؛ فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنّك لو كذّبته كنت قد أسأت الظّنّ بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظّنّ بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرّق التّهمة حينئذ بسبب ذلك، ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإنّ ذلك يغيظ الشّيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السّوء خيفة من اشتغالك بالدّعاء والمراعاة، وإذا تحقّقت هفوة مسلم، فانصحه في السّرّ»[(١)].

فمن أهم وسائل علاج سوء الظن:

١- **ضرورة العلم بأنه:** «لا يجوز ظن السوء بأهل الصلاح والإصلاح في الأمة، فإن سوء الظن هو الذي قد يترتب عليه قول باطل أو فعل سوء أو تعطيل معروف»[(٢)].

٢- النظر إلى الظاهر وترك السرائر إلى الله، لأنه سبحانه وحده الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تخفي الصدور، ويعلم ما ظهر وما بطن.

٣- الاعتماد على الدليل والبرهان، وهذا أصل من أصول الإسلام الثابتة، فالإسلام دين البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة.

٤- التبين والتثبت، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ [النساء:٩٤].
وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ

---
(١) مختصر منهاج القاصدين ص١٧٢.
(٢) أيسر التفاسير ٤/ ٢٩٥.

﴿عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

٥- الابتعاد عن الأسباب التي تؤدي إلى سوء الظن.

٦- بناء العقيدة السليمة القائمة على إحسان الظن بالله، وبرسوله وبالمؤمنين الصالحين، فإن هذه العقيدة تحرسنا أن نظن ظن السوء بالآخرين من غير مبرر، ولا مقتضى، وحتى لو كان فإننا نبادر بالتوبة والرجوع إلى الله تبارك وتعالى.

٧- تجنب الوقوع في الشبهات ثم الحرص على دفع هذه الشبهات إن وقعت خطأ أو عن غير قصد.

٨- الحرص على سلامة البيئة الدعوية من أمراض القلوب، فإن ذلك له دور كبير في علاج سوء الظن.

٩ - مجاهدة النفس وقمع الهوى والشهوات، حتى تعرف النفس أنه ليس من السهل توجيه تهمة لأحد من الدعاة لمجرد ظن أو تخمين لا دليل عليه ولا برهان.

١٠ - معاملة التائبين من الدعاة بحاضرهم لا بماضيهم.

١١ - دوام النظر في كتب السيرة والتاريخ، فإنها مليئة بصور حية عن الظن السيء وآثاره وطريق الخلاص منه، بحيث يسهل على النفس التخلص من هذا الداء.

١٢ - التذكير الدائم بعواقب سوء الظن في الدنيا والآخرة، وعلى الفرد، والجماعة، فإن الإنسان كثيراً ما ينسى، وعلاج هذا النسيان بالتذكير.

المطلب الخامس
آفة الإقبال على الدنيا

من الأمراض التي تعترض طريق الدعاة في سيرهم إلى الله الإقبال على الدنيا وزينتها ومتاعها وشهواتها، وانشغالهم بذلك عن تربية أنفسهم والقيام بواجبهم تجاه دينهم وأمتهم؛ بل إن الأمر تجاوز حد التشاغل إلى مرحلة التساقط على طريق الدعوة وترك الطاعة ومبارزة الله بالمعاصي.

ويمكن بيان تلك الآفة في النقاط التالية[١]:

◈ أولاً: حقيقة الاقبال على الدنيا:

والمراد بالإقبال على الدنيا: مجاوزة حد الاعتدال في طلب الدنيا والانشغال بها[٢].

والمقبلون على الدنيا من الدعاة هم: الذين أشغلهم التوسع في العيش، والحرص على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم، الساعون إلى بلوغ الغاية في حاجات اللذات الحسية من مأكل ومشرب ومسكن ومركب.. الخ.

والإقبال على الدنيا ليس المقصود به الغنى مع قـائم عليه إلا أنه ليس بلازم له، فكم من غني وهو بخيل، يعيش هو وأهله عيشة البؤساء والمعوزين، وكم من فقير حرص على توفير النعم وتحصيل ملذات الحياة وشهواتها من أي سبيل!! مقبل على الدنيا حريص عليها.

---

(١) ينظر: كتاب الترف أ. ناصر عمار، وسلسلة آفات على الطريق، آفة التنافس على الدنيا، مجموعة مقالات منشورة على موقع الكلم الطيب، وأمراض على طريق الدعوة (١٢) والتنافس على الدنيا، مقال منشورة على موقع ملتقى الخطباء، وبحث قيم بعنوان الترف وخطره على الدعوة والدعاة د. فيصل البعداني منشور في مجلة البيان.

(٢) الترف أ. ناصر بن عمار، ص ٧.

◈ ثانياً: موقف الإسلام من الإقبال على الدنيا:

الاسلام ينهى عن الإقبال على الدنيا وأن تكون الدنيا هي غاية الإنسان ويحذر من تعلُّق القلب بها، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، ويحث على التقلل من الدنيا والانصراف عنها إلى ما هو خير في الدارين.

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

ثم ضرب للدنيا مثلا بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على

حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور»[(١)].

وقد أولاه النبي ﷺ عناية خاصة لعلمه بأنه سيكون المرض الأشد فتكا والأنكى أثرا في عمل كثير من الدعاة إلى الله، فقال ﷺ: **(فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)**[(٢)].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٤١.

(٢) مسند أحمد ١١/ ٢٩٢ (٦٦٩٥) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وسنن أبي داوود، كتاب اللباس، باب البس ما شئت، ما أخطأك سرف أو مخيلة (٣٦٠٥) وحسنه الألباني.

ودعوة الإسلام إلى ترك الإقبال على الدنيا، لا تعني ترك النعم والملذات، وإنما المراد الاقتصاد في الإنفاق وعدم تعلق القلب بها والركون إليها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فمنهج الإسلام وسط في التعامل الاقبال على الدنيا، فعبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة)[١].

وقد كان من دعاءه ﷺ: **(اللهم أصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي)**[٢].

◈ ثالثاً: مظاهر الإقبال على الدنيا في حياة الدعاة:

للإقبال على الدنيا مظاهر كثير، من أبرزها ما يلي:

- الإفراط في الطعام والشراب وتوفير متطلبات النفس مما لذ وطاب والحديث عنها، وصرف المال في الملابس الراقية والفاخرة جدًّاً والتوسع في السيارات الفارهة، والمنازل الضخمة والتباهي في إعدادها وتصاميمها البديعة داخليًّاً وخارجيًّاً.
- كثرة استخدام وسائل الترويح عن النفس من مزاح وألعاب ونزهة كثيرة تخرج بالترويح عن الأمر الذي شرع له.
- ضياع الأوقات في حياة بعض الدعاة والمصلحين، ويتتابع فناء أعمارهم دون أن يقضوا شيئاً منها في أمر ينفعهم في دينهم أو دعوتهم.
- التعلق بالتوافه، وضعف التفكير، وغياب القدرة على النقد البناء.
- ضعف الحرص على الطاعة، والتواني عن القيام بما يقِّرب للآخرة سواء أكان

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٢٦٩١) أول الباب.

ذلك فيما يتعلق بالواجبات أو النوافل، أو فيما يتعلق بشؤون الدعوة، إذ تكثر عند التنفيذ المشاغل وتتعدد المبررات للتقاعس عن العمل أو التأخر في أدائه.

◈ رابعاً: أسباب الإقبال على الدنيا عند الدعاة:

لانشغال بعض المتنسبين إلى الدعوة بالدنيا أسباب عديدة، منها:

١- طول الأمل ونسيان الموت، وقد قال الله ﷻ محذراً من ذلك: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣].

٢- طبيعة الإنسان في تغليبه لمتطلبات جسده، وإغفاله لمتطلبات عقله وروحه، وعدم القيام بالموازنة بين تلك الجوانب والأخذ بالهدي النبوي الرشيد الداعي إلى الموازنة بين تلك الجوانب المختلفة.

٣- حب التقليد أو التأثر بضغوط الواقع، فيرغب بعض الدعاة في أن يكون ابن بيئته - كما يقولون - فيرى أنه لابد له من الظهور بالمظهر اللائق به مطعماً ومشرباً ومركباً ومسكناً وخدماً وترفيهاً فيضطر لكي يصل إلى ذلك الهدف إلى تقليد المترفين.

٤- ضعف التربية والتوجيه الجاد والمناسب للدعاة في كيفية التعامل مع فتنة الحياة الدنيا وزخرفها، والتحذير من الانغماس فيها.

٥- كثرة المال ووفرة النعم، فزيادة المال ووجود النعم ووفرتها تكون أحياناً من أكبر دواعي طلب الزيادة من الدنيا، وذلك لأن المال يعمي ويصم، ويدعو إلى الركون والمتعة والراحة ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

خامساً: آثار الإقبال على الدنيا:

للإقبال على الدنيا آثار كثيرة من أهمها:

١- عدم القدرة على تحمل مشاق الدعوة والتجلد للشدائد والتأهب لمجيء الفتن وتقلب الأيام، وعجز الداعية وعدم تهيئته لنفسه وترويضه إياها على تحمل ذلك لو نزل به.

٢- ضياع الأموال والعبث بها فيما لا ينفع مما أدى إلى عجز بعض الدعاة عن القيام بالواجبات، فكيف بالمستحبات؟

٣- قساوة القلب وغلظة الحس وثقل البدن مما يؤدي إلى نسيان العلم وزوال الفطنة، والحرمان من متعة التطلع إلى ما وراء اللذة الآنية، بالإضافة إلى الحرمان للنفس من متعة الاهتمامات الكبرى اللائقة بالدور العظيم للدعاة في هذه الحياة.

٤- انتشار العجز والكسل، وشيوع التواني عن أداء الأعمال الدعوية، والتأخير لها، وكثرة الأعذار الحقيقية وغير الحقيقية.

٥- ضعف تقدم الدعوة، بل تأخرها، إن لم يصل الأمر إلى انشقاقها نتيجة اختلاف الرأي بين المنشغلين بين الدعاة بسبب الدنيا.

٦- المشتغلون بالدنيا غالباً ضعيفو الرأي، والعميق منهم في رأيه يكون الأصل فيه مراعاة استمرار أسباب معيشته الدنيوية.

٧- استعلاءٌ وكبرٌ خفيٌّ يحجزهم -في أكثر الأحيان- عن قبول الحق ممن ليس على شاكلتهم، مع التبرير وسوق الحجج.

٨- المشتغلون بالدنيا أكثر عرضةً للفتور والتراجع عما هم عليه من خير ودعوة أمام الفتن والعقبات التي تعترض مسيرة الدعوة، بل قد يتحول إلى الوقوف في وجه

الدعوة، وكَيْل التهم لها، وإثارة الشُبَه حولها، ومحاولة الوقيعة بين حَمَلتها.

٩- إن الداعية المشتغل بالدنيا أقل إفادة للمدعوين من غيره، وذلك لأن انغماسه في النعيم وتحصيل أسبابه مانع له من التزود بالعلم الشرعي، مما يعني اكتفاءه بتقديم ما عنده من معلومات، فإذا انتهت بدأ بتكرارها.

١٠- الاشتغال بالدنيا من أسباب زوال الدعوات وأفولها، ما لم يبادر كبار الدعاة إلى إصلاح الوضع وتسديد الأمر، لأن انتشار الإقبال على الدنيا بين مجموعة من الدعاة من غير نكير يؤدي إلى اتساع انتشاره بين فئات أخر، نظراً لحب النفوس لذلك واتخاذ كل فئة لمن قبلها قدوة، مما يؤدي إلى ضعف الأنشطة في البداية نتيجة فتور بعض الدعاة، وبعد ذلك يبدأ تساقط الفاترين مجموعة بعد مجموعة نتيجة الانهماك في الدنيا.

١١- الاشتغال بالدنيا يدفع الدعاة إلى عدم نشر الدعوة بقوة وجدية بين كافة فئات المجتمع، كما أنه يؤدي إلى فتور المربين عن ممارسة الأعمال التربوية نظراً لمشقة ذلك على النفس وما تتطلبه العملية التربوية من وقت وجهد وبذل، وذلك ما يعجز عنه المقبلون على الدنيا نظراً لعدم تعودهم عليه.

◈ سادساً: علاج الإقبال على الدنيا وكيفية تجاوزه:

لعلاج الإقبال على الدنيا وسائل كثيرة نجملها في النقاط التالية:

١- الاعتماد على الله وحده، واليقين التام بأن حظوظ الدنيا تجري بالمقادير، ومهما فعل الإنسان لتحصيل حظ منها، فإنه لن يصل إلى أكثر مما قسم الله ﷻ له.

٢- البصيرة بحقيقة الدنيا وأنها ليست الهدف أو الغاية فذلك من أكبر معينات الداعية في الخروج من شرك هذا المرض الخطير.

٣- يجب على الداعية الذي يعيش في بيئةٍ تنافسيةٍ، ووسطٍ حريصٍ على الدنيا؛ أن يقوم بتغيير هذا الوسط والخروج إلى البيئة الصالح أهلها، الذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً؛ فإن ذلك ينزع من قلبه هذا الداء الخطير.

٤- تربية الداعية على عدم تحقيق كل ما تشتهيه نفسه مع القدرة على تحقيق مطلوبها.

٥- النظر إلى ملذات الحياة الدنيا وشهواتها على أساس أنها وسيلة زائلة تقرب إلى الدار الآخرة، لا أنها غاية في ذاتها وهدف يطمح إلى تحقيقه والتشبث به، قال عثمان ابن عفان رضي الله عنه في آخر خطبة له: «إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطيكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، لا تبطركم الفانية، ولا تشغلكم عن الباقية، آثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله عز وجل»[(١)].

٦- التوسط في الإنفاق على النفس والأهل، مع الإنفاق في وجوه البر والخير.

٧- السعي في طلب الرزق بدون مغالاةٍ توصل العبد إلى التفريط في الطاعات.

٨- على الدعاة أن يشغلوا أوقاتهم بما ينفعهم في آخرتهم، والتحذير من البطالة والفراغ فهما يجعلان الإنسان مشغولاً بالدنيا.

٩- معرفة أن الإقبال على الدنيا مما لا يليق بالدعاة، واللائق بهم هو إيثار العمل لدين الله والذود عنه؛ فما عند الله خير وأبقى، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

١٠- على الداعية أن ينظر في حوادث الزمان ونوائب الليالي والأيام، وأنه إن كان غنيّاً اليوم فقد يكون فقيراً غداً، فقد تزول دنياه فجأة ويتحول غناه فقراً وعزه ذلاً، وعندها تضيق به الأرض بما رحبت وتسوء عاقبته.

١١- على الداعية أن ينظر في خسارة الاشتغال بالدنيا عن الآخرة، ومن تلك

---

(١) ذم المال لابن أبي الدنيا، ٧٧.

الخسائر على سبيل المثال: ذهاب المال والوقت والفكر والعمل الصالح لأن اشتغاله بملـذات الـدنيـا وشهواتها يؤدي به إلى حبها حبًّا يصد عن الطاعة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة»[(١)].

١٢- على الداعية أن يدرك أن حصوله على وسائل مغريات الحياة وشهواتها ليس من أسباب تحصيل السعـادة، فكم من رجل بلغ الغاية في الاستمتاع بزهرة الحياة ومتعها، ومع ذلك نجده كثير الخوف والهموم، شارد البال، قال الحسن: «أهينوا الدنيا، فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن هانها»[(٢)].

١٣- على الداعية أن يشغل نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة، وهنا تترتب الأولويات لديها؛ فتقدم الأنفع على النافع، والنافع على ما ليس فيه نفع، وحينها سيتعالى عن التعلق بمتع الحياة؛ قال سليمان الداراني: «لا يصبر عن شهوات الـدنيـا إلا مـن كـان في قلـبه مـا يشغله عن الآخرة»[(٣)].

١٤- على الداعية إدراك أن القليل من نعيم الدنيا يكفي لعبور هذه الدار والوصول إلى الآخرة، وبالتالي: فإن عليه التخفيف من الانغماس في الملذات، قال ﷺ حين دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا! فقال: **(مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها)**[(٤)].

١٥- تربية الدعاة على الاستقامة والجدية، وتعويدهم على أخذ الإسلام بقوة.

(١) الفوائد ص١٤٧.

(٢) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا، ١٣٨-١٣٩.

(٣) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ١٢٩.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٤٧٣ (٢٧٤٣) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

١٦- تصريف طاقات الدعاة وتوجيههم إلى حسن استثمار أوقاتهم في التطوير والتجديد للنفس لخدمة العمل الدعوي، لأن من دواعي الاشتغال بالدنيا الفراغ في أوقات الدعاة، مع وجود طاقات كبيرة بحاجة إلى استثمار وتوجيه وإرشاد.

١٧- تربية الدعاة وبخاصة في المجتمعات المترفة على منهج الإسلام في التعامل مع الدنيا، والسعي بجد إلى ممارستهم ذلك المنهج في واقع حياتهم العملية مع متابعتهم.

١٨- توجيه الدعاة وتربيتهم على الجلد والخشونة وترك الدلال والطراوة.

١٩- توجيه الدعاة إلى الاهتمام بمعالي الأشياء وترك سفاسفها، والبحث عن حقائق الأمور وعدم الاقتصار على ظواهرها.

٢٠- تربية الدعاة على أن قيمة الإنسان بحسب ما يكون عليه من تقوى لله وعمل لدينه ونصرة لإخوانه، لا بما هو عليه من زهرة الحياة الدنيا وزخرفها.

٢١- تربية الدعاة على الإيثار والكرم وحب البذل ودفعهم إلى المبادرة والتسابق في ذلك إيثاراً للباقية على الفانية، قبل أن يفاجئ أحداً منهم الموت أو تتبدل به الأحوال ويحدث ما يمنعه من القيام بذلك.

المبحث الثاني
الآفات السلوكية

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: آفة اليأس.

المطلب الثاني: آفة الفتور.

المطلب الثالث: آفة العجلة.

المطلب الرابع: آفة التسويف.

المطلب الخامس: آفة المعاصي.

المطلب الأول
آفة اليأس

اليأس والإحباط أصبح اليوم ظاهرة عالمية، لا يعاني منها الدعاة فقط؛ بل يعاني منها الكثيرون من أبناء العالم، ولبيان هذه الآفة نتطرق للنقاط التالية(١):

أولاً: مفهوم اليأس:

اليأس: هو القنوط وقطع الأمل، وهو ضد الرجاء(٢).

واصطلاحاً: قال المناويّ: اليأس: القطع بأنَّ الشَّيء لا يكون، وهو ضدَّ الرَّجاء(٣).

وقال ابن الجوزيِّ: القطع على أنَّ المطلوب لا يتحصَّل لتحقُّق فواته(٤).

واليأس في الدعوة: انقطاعٌ للرجاء في إمكانية إصلاح أوضاع الناس عموماً، ومَن حوله خصوصاً، وانقطاع جدوى أي عمل خير.

ثانياً: خطر اليأس عموماً:

وقد نعت الله سبحانه أهل القنوط بالضُّلال، فقال سبحانه: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

(١) بعض أفكار هذه الآفة تم تلخيصها من: سلسلة أمراض على طريق الدعوة (٣) اليأس والقنوط، أ. شريف عبدالعزيز، واليأس والقنوط: حقيقته وأسبابه ومظاهره وعلاجه، أحمد عماري، بحث منشور على شبكة الألوكة، وعندما يشعر الداعية باليأس، مقال منشور على الشبكة.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٧٥١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٤٦).

(٤) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٦٣٣).

وقد عد النبي ﷺ اليأس من الكبائر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: **(الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله)**[(١)].

و«إنما كان اليأس من رحمة الله من الكبائر؛ لأنه يستلزم تكذيب النصوص القطعية، ثم هذا اليأس قد ينضم إليه حالة هي أشد منه، وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له، وهذا هو القنوط، بحسب ما دل عليه سياق الآية: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ وتارة ينضم إليه أنه مع اعتقاده عدم وقوع الرحمة له يرى أنه سيشدد عذابه كالكفار، وهذا هو المراد بسوء الظن بالله تعالى»[(٢)].

➢ ثالثاً: خطر اليأس على الدعاة والدعوة:

من أعظم اليأس اعتزال حقول الدعوة، واعتقاد عدم جدواها، وهذا محرم شرعاً؛ بنصوص كثيرة، كقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إن اليأس من أخطر الأدواء والآفات والأمراض على طريق الدعوة إلى الله فهو سبب عظيم من أسباب عدم التحصيل والسير في طريق التغيير، وأكبر العقبات على سبيل التمكين؛ فمع اليأس يرتدي الداعية منظاراً أسود يرى به كل الأمور من حوله قاتمة لا نور فيها، ميتة لا حياة فيها، بائسة لا أمل فيها.

---

(١) قال الهيثمي في المجمع ١/ ١٠٤: رواه البزار، والطبراني، ورجال موثقون، وقال الشيخ الألباني: وهذا إسناد حسن. انظر السلسلة الصحيحة ٥/ ٧٩.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر بتصرف قليل ١/ ٨٢ – ٨٣.

مع اليأس يتحول الداعية من شعلة نشاط إلى رماد فاتر، ومن منارة للهدى إلى حطام إنسان، لا يفكّر ولا يعمل ولا يحلم، بل لا يفكر حتى في الحلم.

اليأس يجلب الهزيمة النفسية، فيتحول الداعية لمهزومٍ نفسيًّا، وينعكس ذلك على قراراته وخطواته وتحركاته وخططه ومشروعاته وسلوكه وهديه وسمته ودله.

اليأس يؤدي إلى القعود عن العمل والدعوة والتربية والبناء، بدعوى أن لا فائدة من هذا العمل ما دام أعداء الأمة ظاهرين وقاهرين لنا.

والجملة فإن المرء مع اليأس عدمٌ، وحياته وموته سيان، لذلك كان من أهم أولويات الدعاة الحذر من مزالق هذا المرض الخطير وآثاره وتداعياته وظواهره وأسبابه.

➢ رابعاً: نموذج لمقاومة اليأس:

نقف أمام أنموذج من عدم اليأس أثبته الله في كتابه لكي يكون نبراساً للدعاة يهتدون به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فقوله: «﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ أي: لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم. قالت لهم المنكرة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، كأنه على تقديره: هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب، أي: نفعل ذلك ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم»(١).

وقولهم: «﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: لنعذر فيهم، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتركون

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٩٤.

ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجع فيهم الوعظ، وأثر فيهم اللوم، وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل اللّه أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر، والنهي»[(١)].

وقوله: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى.

➢ خامساً: من أسباب اليأس:

١- الاستعجال في الدعوة إلى الله بدون تدرج، والرسول ﷺ يقول: **(إن الدين يسرٌ ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدُّلجة)**[(٢)].

٢- الاستعجال في نتيجة الدعوة، مع أن النبي ﷺ يقول محذرا من ذلك: **(والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)**[(٣)].

٣- عدم سلوك المسالك الشرعية في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فقد يمتطي الداعية صهوة وسيلة دعوية لا يرتضيها الشرع؛ فتثمر له ثماراً مُرة؛ لأن من زرع شوكاً لا يحصد عنباً، فيصدم الداعية بهذه النتيجة التي لم تكن بحسبانه.

٤- عدم مراعاة سنن الله الكونية، وذلك أن بعض الدعاة يريد ألا يعظ قوماً إلا وذرفت من وعظه العيون، ولانت منه القلوب! وانطلقوا يمدحون، وآخر يريد أن الدولة تكون دوماً في شتى الميادين هي للمسلمين، وأنه ينبغي أن تأتي قارعة من السماء فتذهب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٢).

بكل من خالف شرع الله وعادى أولياءه! ونسي سنة التمحيص، والصراع بين الحق والباطل، الذي منتهاه الجنة والنار، وما ينشأ عن هذا الإمهال من مصالح دنيوية وأخروية.

٥- الانبهار بما عند الغير -خاصة الكفار- من قوةٍ وتقدمٍ، والشعور المتنامي بالدونية أمام جبروت الخصوم وقوتهم.

٦- كثرة الإخفاقات والفشل: فتكرار الفشل، ودوام التعثر من الأمور التي تصيب الدعاة بالإحباط، وتجعل اليأس يتسرب إلى قلوبهم.

٧- الانفراد والبعد عن العمل الجماعي، فالعمل بصورة فردية، وشيوع ثقافة الاعتداد بالنفس، والانفراد بالرأي؛ أدى لسلسلة متتابعة من الإخفاقات، دفعت ثمنها الدعوة الإسلامية، والنتيجة الطبيعية الشعور بالإحباط واليأس.

٨- معايشة اليائسين: فالطباع سرّاقة، وأمراض القلوب معدية، ومعايشة ذوي الهمم الساقطة والعزائم الخائرة تقود حتماً إلى الفشل واليأس، فضعف الهمم وفتور العزائم ونزول الإرادات كلها مغذيات لليأس والإحباط.

➢ سادساً: علاج اليأس عند الدعاة:

فلا مجال لليأس عند الداعية من نفسه إذا كان ضعيفاً في دعوته أو لا يجد استجابة وأثر من قبل من يدعوهم، **وعلاج اليأس يكون بأمور:**

١- حسن الظن بالله ورجاء رحمته:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(قال الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي)**[1]. أي: «أجازيه بحسب ظنه بي فإن رجا رحمتي وظن أني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك؛ لأنه لا يرجوه إلا مؤمنٌ علم أن له ربّاً يجازي. وإن يئس من رحمتي وظن أني

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨] (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥).

أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك لأنه لا ييأس إلا كافر»[(١)].

قال السفاريني: «حال السلف رجاءٌ بلا إهمال، وخوفٌ بلا قنوط، ولابد من حسن الظن بالله تعالى»[(٢)].

٢- تعلق القلب بالله والثقة به:

لا بد على الداعية أن يعلق قلبه بالله، ويجعل الثقة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كل أحواله و«لا يليق بالداعية أن ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته، ولا يكون نظره مقصوراً على الأمور المادية والأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتاً في قلبه في كل وقت إلى مسبب الأسباب، إلى الكريم الوهاب، متحرياً للفَرَج، واثقاً بأن الله سيجعل بعد العسر يسراً، ومن هنا ينبعث للقيام بما يقدر عليه من النصح والإرشاد والدعوة، ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير، وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك»[(٣)].

٣- قراءة القرآن بتدبر ولاسيما آيات النصر والتمكين وقصص الأنبياء:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠].

وقد أمر الله تعالى موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أمراً مباشراً بحسن الظن وعدم اليأس، بقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

---

(١) تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري.

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ١/ ٤٦٦.

(٣) انظر: الهمة العالية لمحمد الحمد: ١/ ٥٠ بتصرف يسير.

٤- القراءة في سيرة النبي ﷺ الدعوية:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **(إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها)**(١).

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ ونهجه في تأهيل الدعاة؛ وجد أنه يعتني بتعزيز روح التفاؤل لدى أصحابه وطرد اليأس من قلوبهم، فحين أتاه خباب رضي الله عنه يشتكي له ما لقي من المشركين قال له: **(وَاللهِ لَيُتِمَن هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)**(٢).

وفي غزوة الأحزاب وفي الشدة التي واجهها المسلمون في تلك الغزوة، يهبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: **(باسم الله)** فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: **(الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا)**، ثم قال: **(باسم الله)** وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: **(الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا)**، ثم قال: **(باسم الله)** وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: **(الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)**(٣).

---

(١) مسند أحمد في مسنده ٣/ ١٨٣ (١٢٩٢٥) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمي (٦٢٣٦): رجاله أثبات ثقات.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم (٩٠).

(٣) مسند أحمد ٣٠/ ٦٢٦ (١٨٦٩٤) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين، وقال الحافظ ابن حجر إسنادها حسن في فتح الباري كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٧/ ٤٥٨.

المطلب الثاني

آفة الفتور

الفتور من أخطر الآفات الدعوية في العمل الإسلامي، سواء على مستوى الداعية أو على مستوى الدعوة، نتطرق لذلك في النقاط التالية[1]:

☜ أولاً: مفهوم الفتور:

المقصود بالفتور هو:

١- الانقطاع بعد الاستمرار، أو السكون بعد الحركة.

٢- أو الكسل أو التراخي، أو التباطؤ بعد النشاط والجد.

والفتور اصطلاحاً: داء يصيب بعض الدعاة إلى الله يتراوح بين الكسل والتراخي والتباطؤ، وقد يصل بهم إلى الانقطاع والسكون التام بعد النشاط الدؤوب.

☜ ثانياً: مظاهر الفتور:

وهو من الأمراض المنتشرة على طريق الدعوة إلى الله والتي نَدُرَ من سلم منها، ولها آثار وخيمة على الداعية والدعوة منها:

١- كثرة الاعتذارات عن التكاليف الدعوية.

٢- تأجيل المهام والأمور الدعوية.

٣- عدم الإتقان في أداء هذه الوظيفة الدعوية.

٤- كثرة الاختلافات بين الدعاة لضعف الأداء الدعوي أو التقصير في التكاليف.

---

(١) تم تلخيص مادة هذه الآفة من كتاب آفات على الطريق- السيد محمد نوح الآفة الأولى الفتور، ويمكن مراجعة: كتاب الفتور د. فيصل الحليبي، وكتاب الفتور أ.د ناصر العمر.

فلا بد للدعاة من الانتباه لهذه الآفة الخطيرة التي قد تقضي على جهدٍ كبيرٍ دعويٍّ قد تم، وتُوقف أعمالاً كبيرةً، الأمة في حاجة لها.

ثالثاً: أسباب الفتور في العمل الدعوي:

وهذا الفتور الدعوي له أسبابه منها:

١- الغلو والتشدد في الدعوة والعبادة، والأخذ بالعزائم كلها، قبل تأهيل النفس.

٢- الإسراف والترف؛ لأن الإسراف والترف ومجاوزة الحد في التنعم والمباح يؤدي إلى البطنة والسمنة وسيطرة الشهوات، وهذا يؤدي حتماً إلى الكسل والتثاقل ثم الانقطاع.

٣- الميل للوحدة والتفرد، لأن الداعية إذا آثر الوحدة واختار التفرد والعزلة سرعان ما يستوحش ويفقد طاقته ولا يجد من يشجعه على نشاطه، فيتراخى ويتباطأ، وربما انتهى به الأمر للانقطاع.

٤- قلة تذكر الموت والدار الآخرة، فإن ذلك من شأنه أن يؤدى إلى فتور الإرادة، وضعف العزيمة، وبطء النشاط والحركة، بل قد يؤدى إلى الوقوف والانقطاع.

٥- التفريط في واجبات اليوم والليلة، فالعبادات وعلى رأسها الفرائض هي رأس مال الداعية ومصدر قوته وعموده الفقري في مواجهة نوائب الدهر وصروف الزمان وأعباء الطريق، بدونها يفقد الداعية خطوط الإمداد والتمويل والزاد للطريق الطويل.

٦- الفوضوية الدعوية، لأن الداعية إذا لم ينطلق في دعوته بترتيب وتنظيم وتخطيط، واعتمد على العشوائية والعفوية والارتجالية في عمله، يطول عليه الطريق، وتضطرب عنده الرؤية فتضعف عنده النتائج، وعندها يصيبه الحزن والفتور وربما التوقف والانقطاع.

٧- دخول جوفه شيء محرم أو به شبهة، إما بسبب تقصيره وعدم إتقانه للعمل اليومي الذي يتعيش منه، وإما بسبب تعامله فيما نسميه شبهة، فمثل هذا يعاقب من سيده ومولاه، وأدنى عقاب في الدنيا، أن يفتر فيقعد ويرقد عن الطاعات، أو على الأقل يكسل ويتثاقل فلا يجد للقيام لذة، ولا للمناجاة حلاوة.

٨- اقتصار العامل على جانب واحد من جوانب الدين، كأن يجعل همه العقيدة فحسب، أو الشعائر التعبدية فحسب، أو يقتصر على فعل الخيرات والآداب الاجتماعية؛ فكل هؤلاء تأتى عليهم أوقاتٍ يصابون فيها بالفتور، نظراً لأن دين الله يستوعب الحياة كلها، فإذا اقتصر الداعية على بعضه فكأنما أراد أن يحيا بعض الحياة، لا كل الحياة.

٩- الغفلة عن سنن الله في الكون و الحياة، فإننا نرى صنفاً من العاملين لدين الله يريد أن يغير المجتمع كله - أفكاره ومشاعره، وتقاليده وأخلاقه وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في يوم وليلة، غير واضعين في حسابهم سنن الله في الكون والحياة: من ضرورة التدرج في العمل، ومن أن الغلبة إنما تكون للأتقى، فإذا لم يكن فللأقوى، ومن أن لكل شيء أجلاً مسمى لا يقدم ولا يؤخر.. إلخ فإذا ما نزلوا للواقع، وكان غير ما أرادوا، فتروا عن العمل إما بالكسل والتواني والتراخي، وإما بالقعود والانسلاخ والترك.

١٠- التقصير في حق البدن بسبب ضخامة الأعباء وكثرة الواجبات وقلة العاملين، فبعض العاملين ينفقون كل ما يملكون من جهد ووقت في خدمة هذا الدين، ضانين على أنفسهم بقليل الراحة والترويح، فلا بد وأن تأتى عليهم أوقات يفترون عن العمل.

١١- ضعف الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق، فبعض العاملين يبدؤون

الدعوة دون البصيرة بمعوقاتها، وبالتالي لا يأخذون أهبتهم، فيصدمون بالمعوقات، فإذا هم يعجزون عن مواجهتها، فيفترون عن العمل إما بالكسل والتراخي، وإما بالوقوف والانقطاع.

١٢- صحبة ذوى الإرادات الضعيفة والهمم الدانية، فقد يصحب الداعية نفراً خاوين فاترين في العمل، فإن مضى معهم أصابته العدوى بالفتور و الكسل.

١٣- الوقوع في المعاصي و السيئات ولاسيما صغائر الذنوب مع الاستهانة بها، فإن ذلك ينتهي بالعامل لا محالة إلى الفتور.

رابعاً: آثار الفتور على الدعاة والعمل الدعوي:

أما آثار الفتور على الدعاة:

١- قلة الطاعات، وربما قبض أحدهم وهو فاتر كسلان، فيلقى الله مقصراً مفرطاً.

٢- نقض العهد مع الله والميثاق ثم مع إخوانه.

٣- فقد الدعوة لشخص يمكن أن يشغل ثغرة وينفع المسلمين.

٤- انتقاد الدعاة الآخرين ومنهجهم، فيتحول أسلوب دعوته إلى انتقاص وانتقاد للآخرين فقط) بل ينتقد الأئمة والعلماء والمنهج ولا ينصح لهم.

٥- يصبح هذا الداعية حجة لأعداء الإسلام على عدم صلاحية الرجوع للإسلام.

٦- فتح مجال للسخرية والتندر بالصالحين والدعاة.

٧- سهولة استقباله الشبهات والأفكار الخاطئة الأخرى.

وأما آثاره على العمل الإسلامي:

١- طول الطريق، وكثرة التكاليف والتضحيات، إذ مضت سننه سبحانه: ألا

يعطى النصر والتمكين للكسالى والغافلين والمنقطعين، وإنما للعاملين المجاهدين الذين أتقنوا العمل، وأحسنوا الجهاد.

٢- ضعف الوسط الدعوي -الذي يعيش فيه الداعية الفاتر- المتمثل في ضعف المدعوين الذين يتولى الداعية دعوتهم، وكذلك النشاط الذي يتولى الداعية إعداده.

٣- السماح لأعداء الإسلام للدخول على الإسلام من خلال الثغرة التي تكون من قِبَل الداعية الفاتر.

☜ خامساً: علاج الفتور:

ولما كان الفتور يؤدى إلى الآثار والمخاطر التي ذكرنا لزم التحرز والتطهر منه ويستطيع الدعاة التحرز و التطهر منه على النحو التالي:

١- الحرص على البعد عن المعاصي والسيئات كبيرها وصغيرها.

٢- المواظبة على عمل اليوم و الليلة، من ذكرٍ ودعاءٍ وضراعةٍ، أو استغفارٍ، أو قراءةٍ قرآنٍ، أو صلاةٍ ضحى، أو قيامٍ ليلٍ فإن ذلك كله إيمانيٌّ جيد، يُنَشِّط النفوس ويحركها ويُعليَ الهمم، ويقويَ العزائم.

٣- تَرَصُّد الأوقات الفاضلة والعمل على إحيائها بالطاعات، فإن هذا مما يُنَشِّطُ النفوس، ويقوي الإرادات.

٤- التحرر من التشدد والغلو في دين الله، فإن ذلك مما ينشط ويساعد على الاستمرار، فقد قال رسول الله ﷺ: **(يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل)**[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه (٥٨٦١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢).

٥- العمل الدعوي الجماعي، وعدم الحياد أو الشذوذ عنه بحال من الأحوال.

٦- الانتباه إلى سنن الله في الإنسان والكون من استفراغ الطاقة وبذل الجهد الإنساني أولاً، ومن التدرج في العمل.

٧- الوقوف على معوقات الطريق من أول يومٍ في العمل، حتى تكون الأهبة، ويكون الاستعداد لمواجهتها والتغلب عليها فلا يبقى مجال لفتورٍ أو انقطاعٍ.

٨- الدقة والمنهجية في العمل بمراعاة الأولويات وتقديم الأهم، وعدم الدخول في معارك جانبيه، أو مسائل جزئيةٍ هامشيةٍ.

٩- صحبةً الصالحين من الدعاة، إذ لهم من التأثير الروحي ما يحرك الهمم والعزائم، ويقوي الإرادات.

١٠- إعطاء البدن حقَّه من الراحة والطعام والشراب، والترفيه عن النفس بالمباحات، مع الاعتدال في ذلك، فإن هذا مما يجدد نشاط الجسم ويعيد إليه قوته وحيويته.

١١- دوام النظر و المطالعة في كتب السيرة والتاريخ والتراجم، فإنها مشحونة بكثير من أخبار الدعاة والعلماء أصحاب العزائم القوية والإرادات مما يُولد فينا حب الاقتداء.

١٢- تذكر الموت والقبر وظلمته والبعث والحشر، والجنة والنار فإن هذا مما يوقظ النفس من نومها، وينبهها من غفلتها، فتنشط وتتابع السير.

١٣- حضور مجالس العلم، إذ العلم حياة القلوب، وربما سمع الداعية كلمةً من عالم صادقٍ مخلصٍ فينشط.

١٤- أخذ هذا الدين بعمومه وشموله، دون التخلي عن شيء منه، فإن ذلك يضمن الدوام والاستمرار، حتى تنقضي الحياة ونلقى الله.

١٥- محاسبة النفس و التفتيش فيها دائماً، فإن ذلك مما يبصر بالعيوب في بدايتها، فتسهل معالجتها.

المطلب الثالث

آفة العجلة

العجلة من الآفات الدعوية المؤثرة على الداعية وعلى استمرارية العمل الدعوي ونجاحه، ونبرز ذلك في النقاط التالية[١]:

أولاً: مفهوم العجلة في حياة الدعاة:

قال المناويُّ: العجلة: فعل الشّيء قبل وقته اللّائق به[٢].

وقال الرَّاغب: العجلة: طلب الشّيء وتحرّيه قبل أوانه[٣].

ومعناه في اصطلاح الدعاة: إرادة الداعية تغيير الواقع الذي يحياه بسرعة، دون نظرٍ في العواقب، ودون فهمٍ للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع، ودون إعدادٍ جيد للمقدمات أو للأساليب والوسائل.

ثانياً: موقف الإسلام من العجلة:

بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على سبيل الذم أن من صفات الإنسان العجلة فقال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقال ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

فالعجلة صفةٌ في طبع الإنسان وتكوينه، يريد أن يحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ولو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه، ولكن المؤمن بالله يثبت ويطمئن، ويكل الأمر لله فلا يتعجل، لأن الإيمان يثمر الثقة والصبر والطمأنينة.

---

(١) بعض أفكار هذه الآفة تم تلخيصه من كتاب آفات على الطريق- السيد محمد نوح الآفة الثالثة الاستعجال.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٧).

(٣) المفردات للراغب (٣٢٣).

والإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف، فلا يحمده مطلقاً، ولا يذمه مطلقاً، وإنما يحمد بعضه، ويذم البعض الآخر:

فالمحمود منه: ما كان ناشئاً عن تقديرٍ دقيقٍ للآثار والعواقب، وعن إدراكٍ تامٍّ للظروف و الملابسات، وعن حسن إعدادٍ وجودة ترتيب.

ولعل هذا النوع من الاستعجال هو المعنيُّ في قوله تعالى عن موسى عليه السلام ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣، ٨٤]. فإذ الظروف مناسبة والفرصة مواتية والعاقبة محمودة والنفس صافية مشرقة فما الذي يحمل موسى على التواني والتأخير؟

ومن العجلة المحمودة: المبادرة بالعمل الصالح، وكتابة الوصية وتعجيل الفطر للصائم، ورجوع المسافر لأهله انتهى غرضه، وإغاثة الملهوف، وغيرها مما نص عليه الشارع الحكيم، وفصله العلماء في موضعه[١].

المذموم منه: ما كان مجرد ثورة نفسية خالية من تقدير العاقبة ومن الإحاطة بالظروف و الملابسات، ومن أخذ الأهبة والاستعداد.

وهذا النوع الأخير هو الذي عناه رسولنا الكريم محمد ﷺ حين قال لخباب بن الأرت - رضى الله تعالى عنه- وقد جاء إلى النبي ﷺ يشكو ما يلقاه هو وإخوانه من الأذى والاضطهاد، ويطلب منه أن يستنصر ربه، وأن يدعوه قال له: **(والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)**[٢].

---

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق، الدرر السنية.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٢).

➢ ثالثاً: مظاهر الاستعجال المنهي عنه:

والاستعجال الذي لا بد وأن يُحذر منه في الدعوة يظهر في أمور:

١- الاستعجال في دعوة الناس دون مرحلية، أو مراعاة أحوالهم ومراعاة لأحوالهم.

٢- الاستعجال في القيام بأمر الدعوة قبل التأهل الكافي وملائمة الظروف المحيطة.

٣- الاستعجال في ثمرة الدعوة واستجابة الناس.

٤- الاستعجال في الحكم على المهتدين الجدد والرفع من مكانتهم وضمهم إلى قافلة الدعاة قبل الاستيثاق من هدايتهم.

٥- تقديم بعض الدعاة ورفعهم إلى مستوى كبير في العمل الدعوي قبل التأكد من مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم، واكتمال نضجهم واستواء شخصيتهم.

٦- الاستعجال في استخدام القوة والإنكار أو الأمر باليد، وعدم التدرج في ذلك.

٧- الاستعجال في الحكم على الأشخاص والمواقف.

➢ رابعاً: آثار العجلة:

فالعجلة: آفة تصيب الداعية فتَحرمه الوصول إلى غايته وإصابة هدفه، وتؤدي إلى:

١- تصدر الدعوة نماذج غير مؤهلةٍ قد تنفر من الإسلام والدعاة إليه، بل قد تتأثر الدعوة بالشبهات والشهوات فلا تقوم لها قائمة.

٢- نفور الناس من الدين، فلا بد للدعاة من الرفق والأناة مع المدعوين، فلا يستعجلون في ضخ المعلومات والأفكار والمواعظ والتوجيهات.

٣- العجلة تؤدي للفتور حيث لا يجد المستعجل النتيجة الفورية فيفتر ويمل.

٤- العجلة تؤدي إلى خسارة الدعوة قدراتٍ وجهودٍ وأعمالٍ دعوية مكتسبة.

٥- تعطيل العمل الدعوي أو تراجعه، وزيادة وضع الأحجار والعقبات في طريق الدعوة.

خامساً: أهمية التأني في الدعوة:

إن التأني صفة يحبها الله ورسوله، فلقد قال النبي ﷺ للأشج عبد القيس **(إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)**[١]، قال النووي: «الحلم هو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ»[٢].

وقال ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٣].

وورد عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قوله: «فإن التفهم في الخبر زيادة ورشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيباً، وإن العَجِل مخطئ، أو كاد أن يكون مخطئاً، وإن من لا ينفعه الرفق يضيره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي»[٤].

ومن الحكم المتداولة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»[٥].

فالأناة عند القائمين على الدعوة تسمح للدعاة بأن يحْكِموا أمورهم، فلا يقدِموا على أي عمل إلا بعد النظر والتأمل ووضوح الغاية الحميدة التي ستجنيها الدعوة، وهذا سيؤدي إلى فوائد كثيرة واتقاء شرور عظيمة وسلامة عن الزلل.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١٧).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٨٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).
(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٣/ ٢٩٠.
(٥) ورد في لطائف المعارف لابن رجب ص ١٤٧: «ومن تعجل ما حرم عليه قبل وفاته عوقب بحرمانه في الآخرة» ولم أقف على من أورد هذه الحكمة وهي مذكورة في كثير من المؤلفات من غير عزو خصوصا عند مسألة القاتل لا يرث.

«ومقتضى الحكمة أن يعطى كل شيء حقه، ولا يعجله عن وقته، ولا يؤخره عنه، فالأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ونهايات تصل إليها ولا تتعداه، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر»[١].

فلابد للداعية من مراعاة عنصر الزمن في الدعوة وثمرته، وكما قيل الوقت جزء من العلاج. فبعض القائمين على شؤون العمل الدعوي بمجرد أن يستشعروا عاطفة حارة من المقبلين على الخير، يبدؤون في إعطائهم مهمات وإلقاء كثير من التبعات عليهم، ظناً أن هذه العاطفة تكفي لأن يحملوا التبعات، وأن يقوموا بالمهمات، كلا! فلا بد أن نعطي للزمن حظه، ولا بد أن نعطي للتدرج منزلته وأهميته، وأن نسير شيئاً فشيئاً، ومرتبة فمرتبة، فإن الأمر الذي يأتي سريعاً، يذهب سريعاً، والعاطفة المقبلة على الخير إذا زدناها اشتعالاً ربما تهب عليها ريح لا تلبث أن تطفئها، ولا يعود لها بعد ذلك اشتعال من جديد[٢].

➢ سادساً: أسباب العجلة:

هنالك أسباب كثيرة توقع في الاستعجال نختصرها في النقاط التالية:

١- الدافع النفسي المتمثل في فطرة الإنسان، وإذا لم يعمل الداعية على ضبط نفسه وإلجامها بلجام العقل والتخفيف من غلوائها فإنها تدفعه لا محالة إلى الاستعجال.

٢- الحماسة أو الحرارة الإيمانية، وذلك أن الإيمان إذا قوى، وتمكن من النفس، ولَّد طاقة ضخمة، تندفع - ما لم يتم السيطرة عليها وتوجيهها - إلى أعمال تؤذى أكثر مما تفيد وتضر أكثر مما تنفع.

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للقحطاني ٢/ ٥٦٨.

(٢) ينظر: الاستيعاب والاقتباس في الدعوة، د/ عمر بادحدح، بتصرف. محاضرة صوتية مفرغة، ومنشورة على موقع إسلام ويب.

٣- طبيعة العصر، حيث إننا نعيش في عصر السرعة مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال لمواكبة ظروف العصر والتمشي معه.

٤- واقع الأعداء حيث يحكمون القبضة، ويلاحقون العمل الدعوي في كل مكان، مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال، قبل أن يتفاقم الخطر ويصعب الخلاص.

٥- الجهل بأساليب الأعداء الظاهرة والخفية وعدم البصيرة بها وبكيفية التعامل معها.

٦- شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب وفقه تغيير المنكر، حيث إنه ليس كل منكر تجب إزالته أو تغييره على الفور، وإنما إن أدى إلى منكر أكبر منه وجب التوقف بشأنه، مع الكراهة القلبية له ومقاطعته والبحث والأخذ بأنجح الوسائل لإزالته ومع العزم الصادق على التغيير حين تتاح فرصة التغيير.

٧- العجز عن تحمل مشاق الدعوة، حيث إن بعض الدعاة يملك شجاعة وحماساً لعمل وقتي، ولو أدى به إلى الموت، لكنه لا يملك القدرة على تحمل مشاقّ الدعوة لزمن طويل، مع أن الرجولة الحقة هي التي يكون معها صبر، وجلد، وتحمل، لذلك تراه مستعجلاً ليجنب نفسه المشاق والمتاعب.

٨- الظفر ببعض المقدمات، أو ببعض الوسائل مع عدم تقدير العواقب من زيادة تسلط أعداء الله ومن حدوث فتنة وردة فعل، لدى المدعوين.

٩- عدم وجود برنامج أو منهاج يمتص الطاقات، ويخفف من حدتها وغلوائها، ذلك أن نفس الإنسان التي بين جنبيه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل.

١٠- العمل الدعوي بعيداً عن ذوى الخبرة و التجربة، فتعلم فقه الدعوة لا يكون من الكتب وحدها، بل يتم أيضاً بواسطة التجربة، و الممارسة، والداعية الواعي هو الذي ينتفع بخيرات وتجارب من سبقوه على الطريق.

١١- الغفلة عن سنن الله في الكون وفي النفس وفي التشريع، المتمثلة في التدرج والبدء بإصلاح الداخل.

١٢- نسيان الغاية التي يسعى إليها المسلم، فالمسلم يسعى أساساً لتحقيق مرضات الله، وهذا إنما يتحقق بالتزام منهجه، وعدم التفريط فيه، والثبات عليه قدر الطاقة مع الإخلاص، أما النتائج فلا يسأل عنها، لأنها بيد الله يأتي بها حيث يشاء وكما يشاء.

١٣- الغفلة عن سنة الله مع العصاة و المكذبين، فمن سنة الله مع العصاة والمكذبين الإمهال وعدم الاستعجال، وإذا غفل الداعية عن هذا استعجل قائلاً: نناجزهم قبل أن يستفحل شأنهم، وقبل أن يمسكوا بزمام الأمور، فتستحيل إزاحتهم.

١٤- صحبة ذوى العجلة وعدم التأني لأن الطبع يعدى، و المرء على دين خليله، خصوصاً إذا كان هذا الصاحب قوى الشخصية.

➢ سابعاً: طريق علاج الاستعجال:

طريق علاج الاستعجال تنطلق من النقاط التالي:

١- إمعان النظر في الآثار والعواقب المترتبة على الاستعجال، فإن ذلك مما يهدئ النفس ويحمل على التريث و التأني.

٢- دوام النظر في كتاب الله عز وجل، فإن ذلك يبصرنا بسنن الله في الكون وفي النفس، وفي التشريع ومع العصاة والمكذبين والبصيرة بهذه السنن تهدئ النفس وتساعد على التأني والتروي، قال الله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

٣- دوام المطالعة في السنة والسيرة النبوية، فإن ذلك مما يوقفنا على مقدار ما لاقى النبي ﷺ من الشدائد و المحن، وكيف أنه تحمل، وصبر ولم يستعجل، حتى كانت العاقبة له، وللمنهج الذي جاء به.

٤- مطالعة كتب التراجم و التاريخ، فإن ذلك مما يعرفنا بمنهج أصحاب الدعوات والسلف في مجابهة الباطل، وكيف أنهم تأنوا وتريثوا حتى مكن لهم.

٥- العمل مع ذوى الخبرة والتجربة ممن سبقوا على الطريق، فإن ذلك من شأنه أن يجعل خطوات العاملين دقيقة محسوبة، وأن يوفر عليهم الكثير من الجهد والوقت وباقي التكاليف.

٦- العمل من خلال برنامج واضح محدد يستوعب الحياة كلها، ويأخذ بيد العامل من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة، فيشبع تطلعاته، ويجيب على تساؤلاته، ويرفع من مستواه.

٧- الفهم الدقيق لأساليب ومخططات الأعداء؛ فإن ذلك من شأنه أن يحمل العامل على النظر في عواقب الأمور، وعلى التريث والتأني.

٨- عدم الرهبة أو الخوف من تسلط الأعداء وإحكامهم القبضة على العالم الإسلامي لأن ذلك يمكن أن يزول في لحظاتٍ وما هو على الله بعزيز، بشرط بأن نقيم الإسلام في أنفسنا وفيمن حولنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

٩- مجاهدة النفس وتدريبها على ضرورة التريث والتأني والتروي، فإنما الحلم بالتحلم ومن يتصبر يصبره الله، والرجولة لا تكون إلا بذلك.

١٠- الانتباه إلى الغاية أو الهدف الذي من أجله يحيا المسلم، فإن ذلك يحول دون الاستعجال، ويحمل على إتقان المقدمات والوقوف عندها وعدم تجاوزها إلى النتائج.

١١- الانتباه إلى موقف المسلم من المنكرات وأسلوب تغييرها، فإن ذلك يبصره بمعالم الطريق ويحول بينه وبين الاستعجال.

المطلب الرابع

آفة التسويف

من الآفات الخطيرة على الدعاة إلى الله، آفة التسويف وبيان ذلك في النقاط التالية[١]:

- **أولاً: مفهوم التسويف:**

التسويف لغة: يطلق على التأخير والمماطلة.

واصطلاحا: المماطلة والتأجيل بلا مبرر معقول، ولا عذر مقبول.

- **ثانياً: كلام السلف على ذم التسويف:**

والتسويف «من جنود إبليس»[٢] وهو كما قال ابن القيم: «إنّ الـمُنى رأس أموال المفاليس»[٣].

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غداً لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم»[٤].

وكتب أحد السلف لأحد إخوانه يقول له: «أي أخي! إياك وتأمير التسويف على نفسك، وإمكانه من قلبك، إنه محل الكلال، وموئل التلف، وبه تقطع الآمال، وفيه تنقطع الآجال، فإنك إن فعلت ذلك أَدِلته من عزمك فاجتمع وهواك عليك فغلبا واسترجعا من

(١) بعض أفكار هذه الآفة تم تلخيصها من مقال بعنوان: سلسلة أمراض على طريق الدعوة (١٦) التسويف، أ. شريف عبدالعزيز، منشور على موقع ملتقى الخطباء، وآفات على الطريق د. سيد نوح الجزء الثالث.

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص١١٤.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٥٦-٤٥٧.

(٤) قصر الأمل لابن أبي الدنيا برقم (٢١٩).

بدنك من السآمة ما قد وَلّى عنك، فعند مراجعته إياك لا تنفع نفسك من بدنك بنافعة، وبادر يا أخي فإنك مُبَادرٌ بك، وأسرع فإنك مسروع بك، وجِدَّ فإن الأمر جد»[(١)].

وأوصى أحد الحكماء ابنه فقال له: «يا بني إياك والتسويف لما تهم به من فعل الخير، فإن وقته إذا زال لم يعد إليك، واحذر طول الأمل فإنه هلاك الأمم»[(٢)].

▪ ثالثاً: خطر التسويف على الدعاة والدعوة:

التسويف يجمع بين العديد من الخصال الذميمة، فهو يجمع بين الكسل والفوضى، وسقوط الهمة، وضعف الإرادة، وعدم الشعور بالمسؤولية، كما يدخل فيه الخوف المذموم، والتردد والسلبية، وخصال أخرى كثيرة، كلها تتكامل فيما بينها لتنتج شخصاً سلبيّاً متردداً لا يجيد إلا الهروب من المسئولية ورفض المواجهة.

وهو آفة تدمر الوقت وتقتل العمر، فليحذر الداعية من التسويف، فالعمر قصير، والفرصة التي هو فيها للتعريف بدين الله في المجتمع قد لا تتكرر، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

ولاشك أن التسويف إذا أصاب المسلم -فضلا عن الداعية الدال على طريق الخير- فإنه يؤثر عليه في حياته ودعوته أيما تأثير، ومن ذلك الحسرة والندامة على إضاعة الفرص الواحدة تلو الأخرى، وتراكم الأعمال، وصعوبة الأداء، وضياع الهيبة وفقدان التأثير، فجزء كبير من عمل الداعية يقوم على أساس ثقة الناس فيه، وهيبته في قلوبهم، ومصداقيته عندهم، والداعية إذا كان مسوفاً كثير التأجيل فإن مكانته ومنزلته وهيبته تضيع عند الناس.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ص ٧٦٥.

(٢) المجالسة وجواهر العلم لأحمد بن مروان بن محمد الدينوري ص٤٢٤.

فالتسويف مرض خطير سريع الانتشار إذا ما وقع في مجتمع خاصة مجتمع الدعوة فإنه يهدر الطاقات ويضيع الملكات ويحبط المشروعات، فلابد من أخذ النفس بالعزيمة والحزم، فالنفس إذا ما تعبت اليوم فإنها ستستريح غداً، لأنها لو ارتحت اليوم، ستتعب غداً، فمكر الله غير مأمون، والموت يأتي بغتة، وإذا لم يأت بغتة سبقه مرض وتعب ومعاناة.

ومن خطورة التسويف تأجيل الأعمال حتى تتراكم ولا يستطيع الداعية القيام بها، وكذلك ما يظهر على الداعية من التنصل من المسؤولية، والهروب من مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرارات الحاسمة، والميل نحو الكسل والتراخي في أداء المهام، وإيثار السلامة والراحة في سائر تحركاته، وكذلك التردد في دخول أي مجال جديد، أو تطبيق أي أفكار جديدة.

فالتسويف عجز وضعف، وخور وجبن، والداعية لا يكون عاجزا أو خائرا، بل كيف يكون ذلك وقد انتصب في مقام الدعوة الذي هو أشرف المقامات وأعلى المهمات؟! كما يجب على من أراد أن يتخلص من داء التسويف أن يبادر بالتوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي حتى لا يحرم توفيق الله ومدده وعونه على القيام بأعباء الدعوة كما عليه أن يضع الموت والخاتمة نصب عينيه، فلا تدري نفس متى وبأي أرض وعلى أي حال تموت.

■ رابعاً: أسباب التسويف:

أما عن الأسباب والبواعث التي تؤدي بالداعية للوقوع في داء التسويف فمنها:

١- البيئة المفسدة، فقد ينشأ الداعية في وسط أسري أو محيط اجتماعي يغلب عليه طابع التسويف، والترف وعدم قدرة على مواجهة الصعاب وركوب العزائم، ولن يكون قادراً في كبره على اتخاذ القرارات الهامة، أو مواجهة الأخطاء بعلاج حاسم.

٢- الصحبة المتلفة، فقد تكون صحبة الكسالى والمسوفين وأصحاب الهمم السفلية، لاسيما لو كانت قبل التأسيس والتحصين.

٣- ضعف الإرادة، وهو من الأسباب الرئيسة في مرض التسويف، فضعف الإرادة يقود إلى فتور العزيمة، وسقوط الهمة، والكسل والتراخي.

٤- الثقة الزائدة بالنفس، فقد يعتمد المرء على بعض ما وهبه الله ﷻ من نعم وملكات أو قوة جسدية، فيستهين بالأمور ويرى في نفسه المقدرة والكفاءة على إنجازها متى شاء اعتماداً على هذه المواهب والملكات.

٥- عدم المحاسبة والمتابعة من المسؤولين؛ فالمرء إذا لم يجد من يحاسبه على عمله المكلف به، ويتابعه في كيفية أدائه، فإنه يكسل ويسوف في أداء هذه الأعمال.

٦- طول الأمل، فنسيان الموت، ونسيان الدار الآخرة، ونسيان فجائية أمر الله على عباده المفرطين، يورث العبد تسويفاً وتأجيلاً في كل أموره.

▪ خامساً: علاج التسويف:

١- التربية على المسارعة في الخيرات:

الإسلام أراد من المسلم ابتداء أن يكون فرداً إيجابيًّا منتجاً فاعلاً مؤثراً في بيئته ومجتمعه، لذلك حض على المسارعة إلى فعل الخيرات وبذل الطاعات والتوبة من المعاصي والمنكرات، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

والآيات كثيرة في بيان المسارعة إلى الخيرات ورفض التسويف والمماطلة وذلك لخطورة أمر التسويف وأنه يفقد به المسلم عامة والداعية خاصة خير كبير.

كما نبه الرسول ﷺ على الأمر نفسه فقال: **(بادروا بالأعمال الصالحة سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسيًّاً، أو غنىً مطغيًّاً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)**[(١)]، وقال: **(اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)**[(٢)].

٢- القراءة في سير السلف المسارعين في الخيرات:

وإن جولة لطيفة في حياة السلف والعلماء، ومعايشة لحياة بعض النشطاء من الدعاة تدفع في النفس جرعات وطاقات من العزم والجد الذي يقضي على داء التسويف.

٣- التخطيط الجيد وكتابة الأهداف:

فإن التخطيط وكتابة الأهداف ووضوحها لدى الداعية من أهم الأسباب التي تعين على القضاء على التسويف، حيث تقي من الفوضوية في العمل الذي يترتب عليها ضعف الإنتاج وعدم ظهوره ومن ثم يحس الإنسان بالإحباط.

ومن جانب آخر فإن التخطيط وكتابة الأهداف يجعل الداعية يعمل بمرحلية ويجعله يتأنى في قرارته وبرامجه الدعوية، فلا يكلف نفسه مالا يطيق ولا يعيش في مثالية بعيدا عن الواقعية والتدرج، فيوسف حتى يجد الوقت المناسب ولن يأتي.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل (٢٣٠٧) وقال: حسن، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٥٠، وقال حديث حسن.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ٣٠٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وذكره المنذري في الترغيب ٤/ ٢٥١ وعزاه الى الحاكم في المستدرك.

٤- محاسبة النفس:

أي المتابعة المستمرة للإنجاز والواجبات ومدى تحقق تنفيذها، ومحاسبة النفس على التقصير في ذلك، وأسبابه، حتى يتدارك أي تقصير بسرعة ولا يتراكم.

المطلب الخامس

آفة المعاصي

المعصية من الآفات المؤثرة على الفرد والمجتمع عامة، ومؤثرة بشكل كبير في مسيرة الداعية، ونبين هذا من خلال النقاط التالية:

أولاً: خطر المعاصي عموماً:

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

وكان الفضيل بن عياض يقول: «إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خُلُق دابتي وجاريتي»[١].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] أي: «أن تقوى الله، وسيلة إلى حصول العلم، وأوضح من هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: علماً تفرِّقون به بين الحقائق، والحق والباطل»[٢].

---

(١) ينظر: صيد الخاطر ١/ ٢٠ لابن الجوزي، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ١٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٦١.

وقد ورد أن أحد السلف قال: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القبر والقلب، وَوَهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق»(١).

وعن ابن أبي ليلى، قال: كتب أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى مسلمة بن مخلد: «سلام عليك. أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله: أبغضه الله؛ فإذا أبغضه الله، بغضه إلى عباده»(٢).

﴿ ثانياً: خطر المعاصي على الدعاة خصوصاً:

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية، وتلا قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]»(٣).

ورحل الإمام الشافعي إلى الإمام مالك لطلب العلم، فقال الشافعي لمالك رحمهما الله: «أصلحك الله إني رجل مُطَلِّبي من حالي وقصتي.. فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة وكانت لمالك فراسة، فقال لي ما اسمك؟ فقلت: محمد. قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن..»(٤).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (٥)

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاص

---

(١) عزاه ابن القيم لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ينظر: الداء والدواء ص ٣٥، ولم أقف عليه في كتب السنة، وقد ورد نحوه عن الحسن البصري عند ابن أبي شيبة ٧/ ١٨٧، وكذلك عن مالك بن دينار في حلية الأولياء ٦/ ٢٨٧.

(٢) مصنف عبدالرزاق ١٠/ ٤٥١ برقم (١٩٦٧٥).

(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان ٣/ ٤٦٢.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥١/ ٢٨٦.

(٥) ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد عفيف الزعبي ص ٥٤.

يكمن بيان خطر المعاصي على الداعي في أربعة أمور:

١- شدة العقوبة، قال رسول الله ﷺ: (**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**)[١].

٢- الدعوة إلى الله والعمل لدين الله نعمة من الله، والمعاصي تزيل النعم، ولذا فإن المعصية من الآفات التي تؤدي بالداعية لترك الدعوة وحرمانه من هذا الأجر العظيم.

٣- والمعصية تجعل قلب الداعية عنده وحشة دائمة مع العلم والدعوة؛ لأن من لم يصلح حاله بينه وبين الله لا يعطى نور الله ولن يستطيع أن يوصل نور الله للناس.

٤- الداعية صاحب المعاصي الظاهرة خصوصاً أنموذج يسيء للإسلام ولأهل الدعوة، بل قد يكون مانعا للناس من الدخول في دين الله والهداية، وقد يكون حاجزاً أيضاً في أن ينتسب الناس للدعوة.

ثالثاً: وسائل علاج المعاصي:

يقول ابن القيم رحمه الله الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءَتها، وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل، كما يحمى الوالد الشفيق والده عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد بالعذاب.

السبب الثاني: الحياءُ من الله سبحانه، فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع- وكان حييًّا- استحى من ربه أن يتعرض لمساخطه.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة (٣٢٦٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله (٢٩٨٩).

السبب الثالث: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك، فإن الذنوب تزيل النعم ولا بد، فما أذنب عبد ذنباً إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع رجعت، وإن أصر لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة حتى تسلب النعم كلها.

السبب الرابع: خوف الله وخشية عقابه. وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به وبكتابه وبرسوله. وهذا السبب يقوى بالعلم واليقين ويضعف بضعفهما.

السبب الخامس: محبة الله هي أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه. فإن المحب لمن يحب مطيع.

السبب السادس: شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوى بينها وبين السفلة.

السبب السابع: قوة العلم بسوءِ عاقبة المعصية، وقبح أثرها والضرر الناشيء منها.

السبب الثامن: قصر الأمل، وعلمه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو مزمع على الخروج منها، أو كراكب قال في ظل شجرة ثم سار وتركها. فهو لعلمه بقلة مقامه وسرعة انتقاله حريص على ترك ما يثقله حمله ويضره ولا ينفعه، حريص على الانتقال بخير ما بحضرته، فليس للعبد أنفع من قصر الأمل ولا أضر من التسويف وطول الأمل.

السبب التاسع: مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس، فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأُ من هذه الفضلات، فإنها تطلب لها مصرفاً فيضيق عليها المباح فتتعداه إلى الحرام، ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد.

السبب العاشر: وهو الجامع لهذه الأسباب كلها: ثبات شجرة الإيمان في القلب، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمّ وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، ومن ظن أنه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط[١].

السبب الحادي عشر: مصاحبة الصالحين، وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال: «لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن حياء منه يمنعه من المعاصي لكان في ذلك خير»[٢].

تنبيه:

لا بد للداعية من الاستمرار في الدعوة والحذر من تلبيس الشيطان، فإن الوقوع في المعصية ليس مسوغاً لترك الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان أولى الناس بالامتثال هو الداعية.

وإن الذي يترك الدعوة إلى الله بحجة أنه واقع في المعصية، قد جمع على نفسه إثم المعصية والتفريط في واجب الدعوة وتفويت الأجر المترتب على دعوة الناس إلى التمسك بدين الله.

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر»[٣].

---

(١) طريق الهجرتين ١/ ٢٧٠ وما بعدها مختصرا.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٢٣.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فهذه لمحة عن الدعاة إلى الله تمثلت في بيان مفهوم الداعية وفضله وأهميته، وأخلاقه وقيمه ومقوماته، واحتياجاته، وحقوقه، وواجب الدعاة فيما بينهم، والآفات التي لا بد للدعاة أن يحذروها.

ويمكن تلخيص ما جاء في هذا البحث في النقاط التالية:

- **مفهوم الداعية في اللغة يدور حول:** الطالب والسائل والمنادي والحاث على الشيء.
- للعلماء وجهات نظر كثيرة في تعريف الداعية اصطلاحاً، ومن أشملها: كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، سواء كان شخصاً حقيقيًّا أو اعتباريًّا، وفق منهج الدعوة القويم، حيث جمع بين (التأهيل، والدعوة، والمنهج).
- **المكلف بالدعوة إلى الله هو:** كل مسلم ومسلمة فلا يختص بالعلماء فقط، وإنما يختص العلماء بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه، نظراً لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته.
- التكليف بالدعوة يتنوع بين، التكليف الشرعي: أي كل من يستطيع تبليغ دين الله أو بعضه، ويتعين على العلماء، والتكليف النظامي: أي تكليف ولي الأمر أو الجهة المخولة بالدعوة.

- تكمن أهمية وفضل الدعاة في أهمية وجودهم لنشر التوحيد واستنقاذ الناس من الشرك، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولتعريف الناس بالقرآن وتربيتهم عليه وتعليمهم له، وليكونوا شهداء على الناس ليحصل الفلاح لهم ولمجتمعهم، ووجودهم يقي الأمم من الهلاك فهم المبلغون لدين الله تعالى ووحيه، وحاملو ميراث النبوة، ومتبعو سبيل الرسول، فهم بذلك من أحسن الناس قولاً عند خالقهم جل وعلا، ووجودهم من أسباب حصول الخيرية للمجتمعات.

- الداعي إلى الله لن يكون ناجحاً في القيام بالدعوة إلى الله موفقاً مسدداً إلا حين يلتزم بالمقوِّمات التي تجعله مستقيماً معتدلاً، بلا إفراط ولا تفريط، ومعرفة الداعي للمقوِّمات التي تجعله ناجحاً في دعوته من أهم المهمّات؛ فذلك موقوف على مدى التزامه بتلك المقوّمات ونصيبه منها، وأهم مقومات الداعية هي، الإخلاص، وسلامة العقيدة، والاتباع لا الابتداع، والعلم الشرعي، والفهم الصحيح، والثقة في الإسلام، والتجرد للحق.

- لا بد من تربية الدعاة على الأخلاق الإسلامية الدعوية، وأن يغرسوها في شخصيتهم وذلك لسببين: **الأول**: ليكون الداعيةُ صالحاً في نفسه؛ فينجو من العذاب وينال الثواب من الله تعالى في الدنيا والأخرة، **الثاني**: أن أفضل وأسهل طرق الدعوة إلى الله وأشدها تأثيراً هو الدعوة من خلال القدوة الحسنة التي يلتزم فيها الداعية أخلاقيات وقيم الإسلام العامة، وأهم الأخلاق التي لا بد أن يتحلى بها الدعية، هي الصبر، والرحمة، والصدق، والأمانة، والرفق، والحلم، والشجاعة، والعفة.

- وأهمية حسن الخلق في حياة الداعية تنطلق من أنها سمة الأنبياء والمرسلين،

وأن صلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه، وقد جعل النبي ﷺ الغاية من بِعثته الدعوة للأخلاق، وهو من أسبابِ المودة، وإنهاء العداوة، ومن أسباب نجاح الدعوة.

◆ إن جوامع الأخلاق التي تُؤهل الداعية، جمعها ابن القيم في قوله: «وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل».

◆ القيم تشكل إطاراً مرجعيّاً يحكم تصرفات الداعية ويضبط سلوكه ويوجهه، وهي تنتظم مع بعضها لتحقيق أهدافه، فتزوده بالطاقات، وتمكنه من التفاعل الإيجابي مع المواقف التي ستمر به، فالقيم هي الشرط المسبق الذي يحدد سلوك الذات الإنسانية، وينظم مقومات الفعل الإنساني، وهي العلة الكامنة وراء كل سلوك هادف، وأهم قيم الداعية هي، العزة، والثبات، والتضحية، والمسؤولية، والإيجابية، والإتقان، وعلو الهمة، والورع، والنظافة وحسن المظهر، والاهتمام بأمور المسلمين.

◆ للداعية إلى الله حقوق على المدعوين، أو على الجهات القائمة على الدعوة، أو على ولي الأمر المناط به أمور الدعوة، وهي إجمالاً ترتكز على: حق التوقير وحسن الخلق مع الدعاة، والمناصحة وعدم التقليد لأخطائهم، والنصرة والتأييد، وحفظ أعراض الدعاة والنهي عن تتبع زلاتهم، واحترام خصوصيات الدعاة، وتحقيق الأمن لهم وعدم أذيتهم، والصبر على ما يصدر منهم، مع الدعاء لهم.

◆ للداعية إلى الله احتياجات ضرورية تعينه على الدعوة إلى الله، والثبات على طريق الدعوة، وإقامة حياة كريمة له مع مواكبة التطورات الجديدة في الساحة العلمية والعملية، ويمكن إجمال تلك الاحتياجات في: الحاجة إلى الرعاية والتأهيل المستمر،

و الحاجة للمرجعية الإدارية، وتلبية الاحتياجات المالية للدعاة، والحاجة إلى الاستقرار الأسري والنفسي للداعية.

- لا بد للدعاة من العناية بحسن علاقتهم فيما بينهم، فلا بد أن يكون بين الدعاة إلى الله تجاه بعضهم البعض: تآخٍ، وتعارفٍ، وتآلفٍ، وتفاهمٍ، وتكاملٍ، وتعاونٍ، وتشاورٍ، وتكافلٍ، وتناصحٍ، وتناصرٍ، وتغافرٍ، وتغافلٍ، وتعاذرٍ، وإقالة للعثراتِ، وتطاوعٍ، إن لم يستطع الدعاة ذلك كله فليكن **التعايش**، بأن يكف أحدهم الأذى عن أخيه، وإلا حصل التنازع والتفرق المتوعد عليه.

- هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض الدعاة فتقعد بهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم، فلا بد للدعاة من التعرف عليها وقاية وعلاجاً، ومن أهم تلك الآفات: **الآفات القلبية** المتمثلة في: فساد النية، والتحاسد، والتعالي، وسوء الظن، وحب الدنيا، كذلك **الآفات السلوكية**، المتمثلة في: آفة اليأس، والفتور، والعجلة، والتسويف، والمعاصي.

وختاماً فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال وهذه محاولة بشر، أراد بها الخير له ولأمته ولإخوانه في طريق طلب العلم والدعوة إلى الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل، فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، فمن وجد خللاً فليقومه، ومن وجد نقصاً فليكمله فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين وأسأل الله تعالى أن يغفره لي، وأن يتجاوز عني.

والله نسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يهتدون بهدي

سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته إلى كل البشر، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأمة العظيم.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يحرمنا وإياهم الأجر وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرى، أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، المحقق: رضا معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ.

٢- أثر قلة الموارد المالية على الداعية وسبل علاجها، د. عبدالرحمن السيد جويل رسالة ماجستير، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٩هـ.

٣- أحكام القرآن، محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق: على البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٤- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٥- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، حسين الصيمري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٦م.

٦- أخذ المال على أعمال القرب، لعادل بن شاهين، دار كنوز إشبيليا، ط١٤٢٥- ٢٠٠٤.

٧- الإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء القرآن والسنة النبوية، د. رائد محمد العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٦م.

٨- الإخلاص والنية، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار البشائر، ط ١، ١٤١٣هـ.

٩- الإخلاص، حسين العوايشة، المكتب الإسلامي، عمان، ط١٤٠٥هـ.

١٠- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، دمشق، دار القلم، ط١، ١٣٩٩هـ.

١١- أخلاق العلماء، للآجري، تحقيق بدر البدر، دار الخلفاء، الكويت.

١٢- الإخوان، ابن أبي الدنيا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، بيروت.

١٤- آداب الصحبة، محمد بن الحسين النيسابوري، أبو عبدالرحمن السلمي، المحقق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا - مصر، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

١٥- أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي تحقيق مصطفى السقا، الطبعة ٤، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٦- الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل البخاري، دار الصدّيق، الطبعة: ط١، ١٤٢١هـ.

١٧- الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الشاذلي الخَوْلي، دار المعرفة - بيروت، ط ٤، ١٤٢٣هـ

١٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث، بيروت.

١٩- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط ٢، ١٤٣١هـ.

٢٠- أصول الدعوة؛ عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١هـ.

٢١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - ط١(١٤٢٦هـ).

٢٢- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية - دار الجيل - بيروت.

٢٤- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، للسخاوي، نسخة رقمية في المكتبة الشاملة.

٢٥- آفات على الطريق، د. السيد نوح. دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر. ط٧، ١٤١٣هـ.

٢٦- اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، تحقيق: ناصر العقل.

٢٧- اقتضاء العلم العمل، أحمد بن علي البغدادي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧.

٢٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- أحمد بن محمد الخَلّال، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٩- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي بن محمد، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٠- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، المؤلف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١- الأنساب، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، المحقق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٨٢ هـ.

٣٢- الإنسان بين علو الهمة وهبوطها، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة.

٣٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٤- إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، لابن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥- بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

٣٦- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي - دار الفكر - بيروت ط٢(١٤٠٣هـ).

٣٧- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط ٢٠٠٣م.

٣٨- بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، (١٤١٦هـ).

٣٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٠- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي، المحقق: عبدالكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٤١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، دار الهداية.

٤٢- تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ،١٩٩٠م.

٤٣- تاريخ الإسلام في وفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٤١٠،٢هـ.

٤٤- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث - بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.

٤٥- تاريخ بغداد - أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٦- تاريخ دمشق، على بن الحسن، المعروف بابن عساكر، دار الفكر بيروت، ط١٤١٥هـ.

٤٧- التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع - دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٨- تدريب الراوي، السيوطي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط٢.

٤٩- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٥٠- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي، وابن السبكى، والزبيدي، استِخرَاج: أبي عبدالله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧م.

٥١- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف.

٥٢- التدوين في أخبار قزوين، عبدالكريم بن محمد القزويني، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية.

٥٣- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.

٥٤- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكناني، مع تعليقات المحقق السيد محمد هاشم الندوي، دار المعالي ط ٣(١٤١٩هـ).

٥٥- التربية الأخلاقية الإسلامية، لمقداد يالجين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

٥٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط ١.

٥٧- الترغيب والترهيب، لزكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٥٨- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية - بيروت.

٥٩- التعريفات، للشريف الجرجاني مكتبة لبنان، بيروت سنة١٩٧٨م.

٦٠- تعلم القيم وتعليمها، د. ماجد زكي، دار الميسرة، ط٤.

٦١- التعليق على شرح صحيح مسلم، حسن أبو الأشبال، نسخة مفرغة، المكتبة الشاملة.

٦٢- تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٦٣- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت.

٦٤- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، ط ١٤١٧.

٦٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.

٦٦- التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٦٧- تفسير المنار، رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية: ١٩٧٣م.

٦٨- تفسير جزء الذاريات، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.

٦٩- التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبدالله علوان، دار السلام، القاهرة، ط٧، ١٤٢٨هـ.

٧٠- التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

٧١- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط الطبعة ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالبر النمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط ١٣٨٧هـ.

٧٣- تهذيب الأخلاق للجاحظ، دار الصحابة للتراث، القاهرة.

٧٤- تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٥- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٧٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

٧٧- توجيهات نبوية على الطريق د. السيد محمد نوح، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط١.

٧٨- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٧٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب لتوحيد، سليمان بن عبدالله آل الشيخ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

٨٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط١(١٤٢٠هـ).

٨١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي - طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية - ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٢- التيسير بشرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٨٣- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د: عبدالله التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة،ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١مـ.

٨٤- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٨٩مـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٨٥- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٨٦- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالرب، دار الفكر، بيروت لبنان.

٨٧- الجامع في الحديث لابن وهب، عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي المصري، تحقيق د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، الناشر دار ابن الجوزي، سنة النشر ١٩٩٦م.

٨٨- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٨٩- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض.

٩٠- الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٥٢م.

٩١- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

٩٢- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، محقق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٩٣- جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين، ابن سعدي، دار ابن القيم - الدمام، ط ١٤١١هـ.

٩٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: علي بن حسن، عبدالعزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ.

٩٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٦- حاشية ابن عابدين، حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ.

٩٧- حاشية الأصول الثلاثة، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، دار الزاحم، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٩٨- حاشية البيجوري في شرح جوهرة التوحيد، المسمى تحفة المريد علي جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة، دار النشر: دار السلام - القاهرة، ٢٠٠٢، ط١.

٩٩- حاشية الصاوي على الشرح الصغير، أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي، دار المعارف.

١٠٠- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ.

١٠١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٠٢- حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة؛ ١٤٢٢هـ.

١٠٣- الحور بعد الكور، د. محمد بن عبدالله الدويش- مدار الوطن للنشر، السعودية، الخرج.

١٠٤- خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ.

١٠٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٠٦- دراسة لبعض المشكلات الوظيفية الخلقية للمدرسة الثانوية، عبدالودود مكروم، رسالة ماجستير، جامعة المنصورة، كلية التربية ١٩٨٣م.

١٠٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدراباد، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م - ط ٢: تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان.

١٠٨- الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، المحقق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

١٠٩- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها، د. رؤوف شلبي، دار القلم، ط٣.

١١٠- الدعوة الإسلامية ودعاتها د. طلعت أبو بصير، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٨١هـ.

١١١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، (١٤٠٥هـ).

١١٢- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤م.

١١٣- ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

١١٤- الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، ط ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م.

١١٥- ذم الدنيا، لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٤هـ.

١١٦- ذيل طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، الدمشقي، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١ ١٤٢٥ هـ.

١١٧- الرسالة القشيرية، د. عبدالحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

١١٨- رعاية الله تعالى لنبينا محمد ﷺ، الكتاب السادس، تحت فصل الرعاية الأمنية، ضمن موسوعة رعاية طلاب العلم، إشراف مركز الدار للاستشارات التربوية والتعليمية، التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١١٩- روح البيان (تفسير حقي)، إسماعيل حقى البروسوى ط دار الفكر بدون تاريخ.

١٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

١٢١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٣٩٧،١هـ تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

١٢٣- روضة المحبين، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٣هـ.

١٢٤- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، عبدالله المالكي، دار الغرب الإسلامي.

١٢٥- زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مطبوع ضمن كتاب (الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

١٢٦- زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.

١٢٧- الزهد، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: ضياء الحسن السلفي،الناشر الدار السلفية، الطبعة ١، ١٤١٣ هـ.

١٢٨- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٢٩- الزهد، عبدالله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

١٣٠- الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، نشر المكتبة العصرية، لبنان، صيدا - بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٣١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (السيرة الشامية)، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد - نشر وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

١٣٢- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، من أوائل المطبوعات العربية - مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م.

١٣٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - ط ٤، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.

١٣٤- سلسلة ليدبروا آياته حصاد سبع سنوات من التدبر، إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر- عام١٤٣٧هـ.

١٣٥- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ،١٩٨٩م)، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١٣٦- سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ،١٩٨٩م، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١٣٧- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٣٨- سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبدالصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ.

١٣٩- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.

١٤٠- سنن النسائي - عبدالرحمن بن أحمد النسائي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ،١٩٨٩م)، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١٤١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط السادسة: ١٤٠٩هـ.

١٤٢- سير السلف الصالحين، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. كرم حلمي، دار الراية.

١٤٣- سيرة ابن هشام، محمد عبدالملك بن هشام، مؤسسة علوم القرآن، دمشق بيروت، ودار القبلتين للثقافة الإسلامية، جدة، تحقيق مصطفى السقا.

١٤٤- السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٦ م

١٤٥- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي، المحقق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

١٤٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الدمشقي، دار الكتب العلمية.

١٤٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ.

١٤٨- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢.

١٤٩- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٩هـ.

١٥٠- شرح زاد المستقنع- د. محمد المختار الشنقيطي- مذكرة مفرغة، نسخة المكتبة الشاملة.

١٥١- شرح سنن ابن ماجه، السيوطي، عبدالغني الدهلوي، قديمي كتب خانة - كراتشي.

١٥٢- شرح صحيح البخاري لابن بطال، علي بن خلف بن عبدالملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٥٣- شرح لامية العجم، وهو مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسجم، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري، تحقيق: د. جميل عبدالله عويضة، ط ١٤٢٩هـ.

١٥٤- الشريعة، للآجري، المحقق: د. عبدالله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.

١٥٥- شعب الإيمان، أحمد بن الحسيني البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٤١٠،١هـ.

١٥٦- الصحاح تاج اللغة، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ٤، ١٩٩٠م.

١٥٧- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٥٨- صحيح الأدب المفرد، محمد الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٥٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١٤١٩هـ، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

١٦٠- صحيح الترغيب والترهيب، محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٥.

١٦١- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٢- صحيح جامع الترمذي، محمد الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٣- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٤- صحيح سنن أبي داود - محمد الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي، بيروت - ط١(١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

١٦٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

١٦٦- الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، السيد الشحات، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٤٠٨هـ.

١٦٧- صفوة الصفوة، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي. تحقيق: محمود فاخوري ومحمد قلعه جي. بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ١٩٧٩.

١٦٨- صلاح الأمة في علو الهمة، سيد عفاني، مؤسسة الرسالة، دار العفاني، ط ١: ١٩٩٧م.

١٦٩- صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد محي الدين الأصفر، دار الإشراق، ط١،١٤١١هـ.

١٧٠- الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٧١- طبقات الحنابلة، محمد بن الحسن بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة، المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ.

١٧٢- طبقات الحنفية، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي.

١٧٣- طبقات الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣ هـ.

١٧٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

١٧٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، دار ابن القيم - الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٧٦- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، ط ٣، ١٤٠٩هـ.

١٧٧- العزة في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة موضوعية، لوائل بن محمد علي جابر، رسالة ماجستير، في جامعة أمر القرى.

١٧٨- العزة مصادرها أسبابها مواقف وأحداث للشيخ محمد الهبدان، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض.

١٧٩- عقبات في طريق الدعاة، عبدالله علوان- دار السلام، ط١، ١٩٨٧م.

١٨٠- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

١٨١- العقل وفضله، عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي، دار الراية - الرياض، الطبعة ١، ١٤٠٩، تحقيق: لطفي محمد الصغير.

١٨٢- علو الهمة، محمد اسماعيل المقدم، دار الإيمان، الإسكندرية ٢٠٠٤م.

١٨٣- عمدة التفسير عن ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، دار الوفاء، جدة، ط٢ ١٤٢٦هـ.

١٨٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨٥- عيون الأخبار، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٨٦- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٣ هـ، ط٢.

١٨٧- غريب الحديث، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٥م، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي.

١٨٨- الغيبة وأثرها السيئة على المجتمع، د. حسين العوايشة، دار ابن حزم، الدمام.

١٨٩- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة - بيروت، ط١(١٣٨٦هـ).

١٩٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ.

١٩١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن على الشوكاني - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ط١(١٤١٥) هـ.

١٩٢- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، المحقق: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٩٣- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، ابن علان، المحقق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

١٩٤- الفتور، أ. د ناصر العمر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ.

١٩٥- الفتور، مظاهره، وأسبابه، وعلاجه، د. فيصل الحليبي، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ.

١٩٦- الفرق بين النصيحة والتعيير، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٩ هـ.

١٩٧- الفروسية، لابن القيم الجوزية - دار التراث - المدينة المنورة - ط١٤١٠،١هـ.

١٩٨- الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، مدينة: قُم، ط١، ١٤١٢هـ.

١٩٩- فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد- فضل الله الجيلاني- مصر سنه ١٩٦١م.

٢٠٠- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن وهف القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠١- فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي -بيروت.

٢٠٢- فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٨م، تحقيق: محمد الألباني.

٢٠٣- الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية ط ٢، ١٤٢١هـ.

٢٠٤- الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.

٢٠٥- فيض القدير، عبدالرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط١، ١٤١٥هـ.

٢٠٦- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٢٠٧- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٢٠٨- قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، د. علي خليل - دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠٩- قصر الأمل، أبو بكر عبدالله بن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر دار ابن حزم، سنة النشر ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، مكان النشر: لبنان/ بيروت.

٢١٠- قواعد ابن رجب- القواعد في الفقه الإسلامي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، المحقق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٩١هـ.

٢١١- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكي،ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، مطبعة الأمينية، الرباط، الطبعة ١، ١٩٥٨م.

٢١٢- قوت القلوب في معاملة المحبوب، لمحمد بن عطية الحارثي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٢١٣- القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى، المدينة المنورة، مكتبة الحلبي، ١٤٠٨هـ.

٢١٤- القيم السلوكية، د. محمود عطا، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٢١٥- القيم في الفكر الغربي، د. عبدالودود مكرم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١: ٢٠٠٥م.

٢١٦- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢١٧- الكامل في الضعفاء، الامام الحافظ أبي أحمد بن عدي الجرجاني، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٨- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعارف، بيروت.

٢٢٠- كشف الكربة في وصف أهل الغربة، لابن رجب، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢٢١- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، طبعة دار الصادر، بيروت، ط ١.

٢٢٣- لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣.

٢٢٤- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين السواس، دار ابن كثير، بيروت، ط الخامس، ١٤٢٠هـ.

٢٢٥- مبادئ علم أصول الدعوة دراسة تأصيلية، د. محمد يسري، دار اليسر القاهرة.

٢٢٦- المتحابين في الله، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الطباع، دمشق ط١، ١٤١١هـ.

٢٢٧- المتواري علي تراجم أبواب البخاري، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ابن المنير الجذامي، المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا - الكويت.

٢٢٨- المجالسة وجواهر العلم، أحمد الدينوري القاضي المالكي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٢٩- مجمع الزوائد -على بن أبي بكر الهيثمي- دار الريان للتراث و دار الكتب العلمية - القاهرة، بيروت.

٢٣٠- المجموع شرح المهذب للنووي، النووي، دار الفكر، ١٩٩٧م.

٢٣١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين بإشراف رئاسة شؤون الحرمين، (١٤٠٤هـ).

٢٣٢- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

٢٣٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٢٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - (١٤١٣هـ ١٩٩٣م).

٢٣٥- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣٦- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م.

٢٣٧- المخصص، ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٣٨- مدارج السالكين - ابن القيم الجوزية - دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ (١٩٩٦م).

٢٣٩- مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٤٠- المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، مؤسسه الرسالة، الطبعة ١، بيروت: ١٩٩٥.

٢٤١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، ط ١: بيروت ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٤٢- مسألة حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم بين المجيزين و المانعين، د. أحمد عبدالرزاق حسين، الناشر: كرسي القرآن الكريم و علومه - جامعة الملك سعود،، ٢٠١٥.

٢٤٣- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢٤٤- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.

٢٤٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٢٤٦- مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق بن خلاد المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.

٢٤٧- مسند الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري، عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر - بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

٢٤٨- مسند الشهاب، حمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م.

٢٤٩- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي - بيروت - ط٤ (١٤٠٥ - ١٩٨٥). تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

٢٥٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،المكتبة العلمية - بيروت.

٢٥١- مصرع التصوف، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، المحقق: عبدالرحمن الوكيل، عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

٢٥٢- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

٢٥٣- مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٢٥٤- معالم السنن لشرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية - حلب، ط ١ ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢م.

٢٥٥- معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، دار السير للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٥٦- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٢٥٧- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمار بعمان، الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٥٨- المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢(١٤٠٤هـ).

٢٥٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبدالحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.

٢٦٠- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٢٦١- معجم لغة الفقهاء، حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط ٢ ١٤٠٨هـ.

٢٦٢- معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، المحقق: عبدالمعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي، باكستان)، دار قتيبة (دمشق،بيروت) ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٢٦٣- مغازي الواقدي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الطبعة ٣، ١٤٠٤هـ، عالم الكتب، الرياض، تحقيق: مارسدن جونس.

٢٦٤- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.

٢٦٥- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٦٦- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٦٧- المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - دار الفكر.

٢٦٨- مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ.

٢٦٩- مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٧٠- مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.

٢٧١- مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، نسخة المكتبة الشاملة.

٢٧٢- المقصد الأسنى شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي - قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٧٣- مقومات الداعية الناجح د. عمر بادحدح، دار الأندلس الخضراء، ط١٩٩٦م.

٢٧٤- مقومات الداعية الناجح، سعيد بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٢٧٥- مكارم الأخلاق، محمد بن جعفر الخرائطي، ط١، ١٤١١هـ. مطبعة المدني.

٢٧٦- المنتقى في فتاوى الشيخ صالح الفوزان، جمع: عادل الريدان، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦هـ.

٢٧٧- المنهاج شرح صحيح مسلم (شرح النووي)، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ١٣٩٢هـ.

٢٧٨- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله د. ربيع المدخلي، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٢٧٩- منهج التعارف الإنساني في الإسلام، الباشا حسن، من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٨٠- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، د.: عدنان عرعور، كتاب منشورة على الانترنت.

٢٨١- الموافقات في أصول الشريعة - لأبي إسحاق الشاطبي - مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢٨٢- موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبدالقادر السقاف، مطبوع ومنشور على موقع الدرر السنية على الإنترنت.

٢٨٣- موسوعة له الأسماء الحسنى، أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

٢٨٤- الموطأ، مالك بن أنس، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩١ م، تحقيق: د.تقي الدين الندوي.

٢٨٥- ميثاق الشرف الدعوي، د. هشام الطالب، كتاب إلكتروني.

٢٨٦- ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٢٨٧- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٨٨- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبدالكريم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٨٩- نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المتخصصين، دار الوسيلة - جدة، ط١(١٤١٨هـ).

٢٩٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ط٢(١٤١٣هـ).

٢٩١- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب الثقافية، بيروت - ط١ (١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٢٩٢- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، دار الفكر، بيروت، ط ط أخيرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٩٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٩٤- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٩٥- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام، ط٩، ١٣٩٩هـ.

٢٩٦- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، محمود محمد الخزندار، ط ١٤١٧ هـ.

٢٩٧- الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، د. محمد الحمد، دار ابن خزيمة.

٢٩٨- الهمة طريق القمة، محمد بن حسن الشريف، دار الأندلس الخضراء، ط ٣، ١٤١٤هـ.

٢٩٩- الورع، أحمد بن محمد بن حنبل، رواية: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، دار الصميعي - الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٠٠- الورع، عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، المحقق: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الناشر: الدار السلفية - الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٠١- وسائل الإصلاح، للخضر حسين، دار الإصلاح، الدمام.(نقلت عنه بالواسطة).

٣٠٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر، بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

الأبحاث المنشورة في المجلات وعلى الشبكة:

١- الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم، ناصر عبد الله العمار، أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ٢٠٠٥م.

٢- الترف وخطره على الدعوة والدعاة د. فيصل البعداني منشور في مجلة البيان.

٣- التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، للشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥١، ص٢٢٨،١٩٥.

٤- الدعاة إلى الله بين التكامل والتخاذل، عبدالصمد سليمان، منشور على موقع: التصفية والتربية السلفية.

٥- الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبدالحميد الكبتي، منشور على موقع مداد.

٦- العُجْبُ وخطرهُ على الداعية، عبدالحكيم بن محمد بلال، منشور على موقع صيد الفوائد.

٧- القيم الدعوية في السنة النبوية دراسة حديث: (**يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**) د.ة هند بنت مصطفى شريفي، بحث محكم في جامعة طيبة.

٨- اليأس والقنوط حقيقته وأسبابه ومظاهره وعلاجه، أحمد عماري، بحث منشور على شبكة الألوكة.

٩- حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء، د. محمد بن شاكر الشريف، بحث منشور على موقع صيد الفوائد.

١٠- حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة د. محمد السكر، د. عماد الزيادات. كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

١١- خصائص الأخلاق في الإسلام منشور على موقع د. علوي سقاف.

١٢- التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، أ.د صالح بن حميد، منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥١، لسنة ١٤١٨هـ.

١٣- ندوة عليمة بعنون: أسباب الغلو والتطرف ومعالجتهما في ضوء الكتاب والسنة لفضيلة الشيخ د.: إبراهيم بن ناصر الحمود، وفضيلة الشيخ د: يوسف بن محمد السعيد، منشورة على مجلة الفرقان الكويتية، على الشبكة العنكبوتية.

المقالات المشورة على الشبكة:

١- مقال: التعاون بين الدعاة أهميته وثماره الشيخ: مراد القدسي، منشور على موقع علماؤنا قادتنا.

٢- مقال: الحسد أسبابه وأضراره وعلاجه، السيد طه أحمد، مقال منشور على موقع الألوكة.

٣- مقال: أبعاد الحسد على العمل الإسلامي، عبدالله آل يعن، منشور على موقع صيد الفوائد.

٤- مقال: آفة التنافس على الدنيا، ضمن سلسلة آفات على الطريق، مجموعة مقالات منشورة على موقع الكلم الطيب.

٥- مقال: الاتباع لا الابتداع في الدعوة، د. خالد الربيع منشور على موقع الفرقان.

٦- مقال: الإخلاص في الدعوة: أهميته، ما يعين عليه، ما ينافيه، وآثاره على الداعية، د. خالد المسقري، منشور على موقع طريق الإسلام

٧- مقال: الأخلاق أهميتها وفوائدها، د. عبدالسلام حمود غالب منشور على الشبكة.

٨- مقال: الإيجابية لحسام العسوي إبراهيم منشور على موقع الألوكة.

٩- مقال: الإيجابية، حسام العسوي، منشور على موقع الألوكة.

١٠- مقال: التسويف، ضمن سلسلة أمراض على طريق الدعوة، أ. شريف عبدالعزيز، منشور على موقع ملتقى الخطباء.

١١- مقال: التغافر والتغافل سياج الأخوة د. محمد أبو غدير، مقال منشور على نافذة مصر.

١٢- مقال: الداعية الإيجابي لعادل مناع منشور على الشبكة في موقع صيد الفوائد.

١٣- مقال: الداعية وحسن المظهر، منشور على موقع تيار الاصلاح.

١٤- مقال: الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، د. حمزة بن سليمان الطيار، منشور على موقع مجلة أخبار الثقافة الجزائرية ابريل ٢٠١١م.

١٥- مقال: الشورى عند قادة الدعوة معلمة أم ملزمة؟ عبدالحميد الكبتي، منشور على موقع مداد.

١٦- مقال: العزة في حياة رسول الله، لسحر الشيمي، منشور على موقع نداء الإيمان.

١٧- مقال: العلاقات الاجتماعية بناؤها وتوظيفها في الدعوة، د. الربيع مليحي، مقال منشور في مجلة البيان، عدد ٢٣٨.

١٨- مقال: الفرق بين المنافسة والحسد، لسعيد هلاوي، منشور على موقع حركة الإصلاح.

١٩- مقال: الفهم الشمولي الصحيح للإسلام، د. عاطف الفيومي، منشور على شبكة الألوكة.

٢٠- مقال: المسؤولية: أمانة في قوة، عبدالكبير البغدادي١٩ فبراير، ٢٠١٣مـ.

٢١- مقال: المسؤولية، لمروان محمد أبو بكر مقال منشور علة موقع الألوكة.

٢٢- مقال: النظافة من منظور التربية الإسلامية، محمد سلامة الغنيمي، منشور على شبكة الألوكة.

٢٣- مقال: اليأس والقنوط، أ. شريف عبدالعزيز سلسلة أمراض على طريق الدعوة.

٢٤- مقال: تحاسد الدعاة، منشور على موقع تيار الإصلاح.

٢٥- مقال: تنافس على الدنيا، مقال منشورة على موقع ملتقى الخطباء.

٢٦- مقال: جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، د. إيهاب برهم، منشور على موقع إسلام ان لاين.

٢٧- مقال: حاجة الدعوة إلى البذل والتضحية، لعبدالحكيم بن محمد بلال، موقع صيد الفوائد.

٢٨- مقال: سوء الظن، ضمن سلسلة أمراض على طريق الدعوة، منشور على موقع ملتقى الخطباء.

٢٩- مقال: صراعٌ بين الدعوة والدعاة، مشاري الشثري، مقال منشور على موقع صدي الفوائد.

٣٠- مقال: عندما يشعر الداعية باليأس، مقال منشور على الشبكة.

٣١- مقال: قيمة الإيجابية والفعالية، أم كلثوم أنوار، منشور على موقع مغرس.

٣٢- مقال: قيمة التطاوع وعدم الاعتداد بالرأي أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

٣٣- مقال: مظهر الداعية، موقع هدي الإسلام.

٣٤- مقال: مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، أحمد الصويان، منشور في مجلة البيان عدد ٣١١.

٣٥- مقال: معنى العقيدة الصحيحة، للشيخ سعد ندى منشور على شبكة الألوكة.

٣٦- مقال: معوقات في طريق التعاون بين الدعاة د. هشام عقدة.

٣٧- مقال: نواسف الفهم السليم مقال. د. جمال زواوي أحمد، منشور على الشبكة الدعوية.

٣٨- مقال: هل نحن متفاهمون د. جمال ماضي، بتصرف منشور على الشبكة.

٣٩- مقال: والتحاسد بين العلماء مسعد سالم، مقال منشور على موقع الألوكة.

٤٠- فتاوى عن حكم أخذ الأجرة على الدعوة، موقع الإسلام سؤال وجواب، الفتاوى رقم: (١٢٨٠٩٣)، (٢٠١٠٠)، و (٩٥٧٨١).

المواد الصوتية والمرئية:

١- خطبة جمعة: نظرات في الدعوة ومسالك الدعاة للشيخ صالح بن حميد، خطبة منشورة على موقع إسلام ويب.

٢- محاضرة: الورع يا رجال الصحوة، د. محمد الدويش، مادة مفرغة منشورة على اسلام ويب.

٣- مقطع مرئي بعنوان: حكم أخذ المال على الدعوة والتعليم الشرعي، للشيخ عبدالعزيز الطريفي.

٤- محاضرة: الاستيعاب والاقتباس في الدعوة، د/ عمر بادحدح، محاضرة صويتية مفرغة، ومنشورة على موقع إسلام ويب.

٥- محاضرة: والورع يا رجال الصحوة - محمد الدويش، مادة مفرغة منشورة على اسلام ويب.

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: أخلاق الداعية

الفصل الرابع: أهم قيم الداعية

الفصل الخامس: حقوق الداعية

الفصل السادس: احتياجات الداعية

الفصل السابع: واجبات الدعاة فيما بينهم

الفصل الثامن: آفات الدعاة